BAKER ABUBAKER

الوتر المشدود

أبناء فتح بين الفكر والتنظيم والسياسة

بكر ابو بكر



الوتر المشدود

أبناء "فتح" بين الفكر والتنظيم والسياسة

الوتر المشدود

أبناء "فتح" بين الفكر والتنظيم والسياسة

بكر أبو بكر

الطبعة العربية الاولى

2019

دار الامين للنشر والتوزيع



رام الله فلسطين

وطنية +970568549769

جوال +970599649769

e:mail:daralamin2010@gmail.com

تصميم الغلاف: رامي قبج



المونتاج الفني: دار البيرق العربي

دراسات

الوتر المشدود

أبناء "فتح" بين الفكر والتنظيم والسياسة

بكر أبو بكر



المحتويات

مقدمة

عند الكتابة في حركة التحرير الوطني الفلسطيني- «فتح» فإنك تجد الكثير مما تقوله، ليس فقط لطول التاريخ الحركي منذ النشأة عام 1957 أو الانطلاقة عام 1965 أو منذ الانتفاضة عام 1987 أو غيرها من المراحل الهامة.

أن تكتب عن حركة فتح فأنت تكتب عن ثورة فلسطين، ثورة الأمة، ليس فقط لامتلاء الصفحات بالمنجزات أو الاخفاقات من التجارب مع الراحل الخالد ياسر عرفات الذي لفّت كوفيّته العالم واخوانه، وصولاً للرئيس أبومازن، وانما لأن معدل النقد والصراع والحوار الداخلي المرتبط بالأداء والعمل في إطار النهج النضالي في حركة فتح هو في حالة ثورة وهيجان وتفجر دائم لا يهدأ.

في حركة فتح أنت تستطيع من بين عديد العناوين المتقاطعة أوالمتناقضة أو المتجاورة أن ترسم لك مسارا داخل الحركة رغم الوتر المشدود بين الواثقين والمتشبهين وبين المتمردين واولئك المترددين، وبين الكمون والتجدد.

أن يكون لك مسارٌ أو دورٌ أو إسهام هو ما نحاول أن نسبره في هذا الكتاب من خلال العناوين المقترحة، سواء تلك التي تتعرض للجماهير أو القيادة أو التنظيم أو السياسة أو للعقل الحر والنضال وادارة الصراع، أو البناء الجماعي أو الذاتي للاستنهاض الوطني والعروبي، والنصر باذن الله.

بكر أبوبكر

مسؤول التعبئة الفكرية

مفوضية الاعلام والثقافة والتعبئة الفكرية

في حركة فتح

2019

الفصل الاول:
الصلابة النضالية وشجاعة الصراع

الصلابة الوطنية النضالية

كيف نتعلم من الناس؟

في النقد والحركة الوطنية

في صُلب {التنظيم} و{الهوامش}

حركة فتح والفكر التنظيمي

النضال الداخلي و شجاعة الصراع

النقد والتوبة وقوى الرفض، وانحراف الرسول!

المصالحة التنظيمية والرجم بالحجارة

المتشبّهون بحركة فتح والحاسدون.

الحجر المانع في حركة فتح!

الاستقواء على حركة فتح

الصلابة الوطنية النضالية

ما الاختلاف الذي يمكن أن تراه بين شخصيتين أحداهما بالتقييم النهائي مُنجزة والثانية غير منجزة، لكن للمفاجأة أن كليهما تتميزان بالوعي النظري. وكلاهما يُقدِم ويعمل، وكلاهما يلجآن لوضع الأهداف والتخطيط، وكلاهما مؤمن بما يعمله بل وإن كلّ منهما يقدّر الوقت، ويحترم فريق العمل معه، ويتواصل معه دوريا دون إغفال وإهمال...

إذن ما الفرق بين هاتين الشخصيتين التي أدت بأحدهما أن (يتجاوز) الكثير من العقبات، وهو يحتفظ بصفات الاستمرار الثلاثة وهي: التفاؤل والإيمان والايجابية، بينما لم يكن من الآخر إلا أن عمله يتضاءل مع تكاثر المعيقات والعقبات، وبدأ يلجأ للشكوى والتذمر والتشاؤم وإلقاء اللوم على الآخرين وأصبح منظاره أسود كالح؟

قدرة الاستمرار ومقياس التجاوز

ما الفرق؟

يمكننا أن نعزو الفرق الى الوعي النظري و العملي أولا، والى القدرة على تجاوز المعيقات ثانيا وامتلاك القدرة على (الاستمرار)، لعوامل عدة ذاتية وتنظيمية، وتلك المتعلقة بتأثيرات المحيط المختلفة.

لكن الوعي بأن أي عقبة او مشكلة لا تعني نهاية العالم كقناعة راسخة والقدرة على الاستمرار وقدرة التجاوز المرتبطة بكل الصفات التي ذكرناها لكل من القائدين أو الكادرين هي قطعا مختلفة بالنسبة أوبالشدة والقوة، إذا افترضنا مقياسا مدرجا من 7 نقاط، فقد يتناقص لدى الأول مع كل مصيبة أو نائبة أومحطة كابحة، لتصل أدناها بينما يظل الوعي وتظل قدرة الاستمرار وتجاوز المعيقات محتفظة بألقها عند الثاني عند المحطة/ التدريج 5 أو 6 أو 7 وهي محطة (اليقين).

الصلابة الذاتية

دعونا نناقش السبب الذي أراه هاما وربما مؤثرا وذو أولوية على غيره من الأسباب وهو قطعا يتعلق بما ذكرناه من امتلاك (الوعي) و(القدرة) على (التجاوز) وخاصية (الاستمرار) إلا وهو الصلابة، الصلابة الذاتية والصلابة الوطنية، والصلابة النضالية فماذا نعني بذلك؟.

يقول العرب أن الصلب هو الشديد، وفي الرأي: شديد الرأي، وهو القوي.

ويقول علماء النفس إن الصلابة النفسية هي: (عملية التكيف السليم والجيد في أوقات الشدة والضغوط والصدمات مع بقاء الأمل والثقة بالنفس والقدرة على التحكم بالمشاعر...).

إن الشعب الفلسطيني قد مرّ بمراحل تدفق في العمل والانجازات في الرجال والمآثر في عديد المجالات، وجابه من المصاعب والمآسي الكثير منذ وطأت قدم الفلسطيني[1] هذه الأرض.

ودون أن نوغل في التاريخ فإن لنا في القرن الثامن عشر وسيرة ملك فلسطين ظاهر العمر الزيداني مؤسس أول دولة فلسطينية[2] حديثة حُسن

1- (الفلسطيني=الفلستي جماعة دينية، أو قبيلة عربية قديمة وهم أتباع الإله العربي فلس في اليمن كانوا يسمون فلستيين نسبة لهذا الإله، وهم من أوائل من سكن هذه البلاد مع الكنانيين (الكنعانيين) المنسوبين لقبيلة كنانة من طيء حيث تلفظ الألف في بعض لهجات العرب عينا فتصبح كنان كنعان-راجع أبحاث فاضل الربيعي وفرج الله صالح ديب وأحمد الدبش وجواد علي...الخ)-مراجعة فاضل الربيعي واحمد الدبش وفرج الله صالح ديب.

2- ظاهر العمر الزيداني (1106 - 1196 هـ/ 1695 - 1775 م) كان أحد الحكام الفلسطينين في فلسطين في فترة الحكم العثماني، عين ظاهر العمر عام 1705 حاكماً على عكا وعمل على تقوية مركزه وأعاد تحصين عكا ضد أمراء الدروز. وفي عام 1742م تمكن من احتلال طبرية. عمل على جذب التجار الأوروبيين وبمساعدة وزيره إبراهيم الصباغ أدخل سياسة اقتصادية جديدة وهي الاحتكار لأهم المنتجات في إمارته (دولته الفلسطينية الاولى في التاريخ الحديث). ولما شكت الدولة العثمانية في نواياه تحالف مع علي بك شيخ البلد في مصر وساعده على غزو بلاد الشام ثم تحالف في العام التالي مع الأمير يوسف الدرزي وتمكن بمساعدة الأسطول الروسي من الاستيلاء على بيروت وطرد حاكمها أحمد باشا الجزار. وحكم

التأسي في مجالات كثيرة، ولكن القرن العشرين بدا قاهرا مع تعاظم الهجمة الصهيونية منطلقة خاصة مع الصعود الثوري الفلسطيني الرافض للتهويد ونهب الأرض والهجرة.

ما أريد التركيز عليه أن المصاعب والأزمات والمصائب والنكبات والمظالم تكالبت في كثير من العصور على العربي وعلى الفلسطيني، واستطاع في كل مرحلة ان «يعي ويتجاوز ويقفز» ويُكمل الطريق في درب الأشواك الذي طالما تحدث عنه وسار فيه ياسر عرفات (1929-2014م) حامل مفتاح الدولة الفلسطينية الحديثة.

صلابة الفكرة، وفلسطين

صلابة الفكرة من مقومات الصلابة، لا تعني التحجر أو التكلس أو انقطاع سيلان الماء مطلقا، فالتحجر أو التكلس يفترض صلاحية الفكرة في كل زمان ومكان،[3] ويفترض صلاحية فهم وتطبيق الفكرة بشكل أوحدي، والتحجر لا يقبل النقاش أو الحوار كما لا يقبل التعديل أو التطور أو التغيير... ما لا نعنيه أبدا بصلابة الفكرة، التي نميز فيها بين الفكرة العليا أوالتي تقف في مصاف العقيدة، والتي تصبح الغاية وبين الفكرة الدنيا الناشئة لخدمة العليا وهي كِسَر أو أجزاء الأهداف التي تخدم الغاية.

إن الغاية في الحركة الوطنية الفلسطينية عامة وفي حركة فتح وفكرتها الرئيسة هي (تحرير فلسطين) وحول هذه الفكرة القاعدة أو الفكرة العليا تنشأ مجموعة من الأفكار المنبثقة أو اللاحقة، ومهما جاز الحوار والتغيير والتفهم لهذه الأفكار فإنه حتما في خدمة الغاية أوالفكرة العليا، لذا فإن

ما يقارب 60 عاما في مساحة طالت معظم فلسطين الحالية واستمر حتى جاوز الثمانين من عمره وقتل غيلة، ولمزيد من الاطلاع على سيرته العطرة الاطلاع على كتاب/ رواية (قناديل ملك الجليل) للأديب الفلسطيني ابراهيم نصر الله.

3- لا ننزه إلا كلام الله عن التغير والتبدل، وما أفهام الناس حتى لمعاني كلام الله إلا حالة من التغير والتبدل.

الصلابة بمعنى انقطاع التأثيرات عن الفكرة/ العقيدة هي الصلابة التي يجب أن يتحلى بها الفلسطيني والى الأبد.

قد يجول في الخاطر عن ماهية القاعدة/ الفكرة/ العقيدة لنقول أنها وطنيا وسياسيا ونضاليا لدينا هي:إن «فلسطين كلها لنا» مهما حصل أو كانت المرحلة، ومن هنا نفرق بين التعبئة الاستراتيجية وتلك المرحلية.

إذن من مقومات الصلابة صلابة الفكرة بمنطق الفكرة العليا أوالفكرة العقيدة أوالفكرة الغاية، مع حركية الأفكار الأخرى الملحقة أوالناشئة أو الساندة للأولى، ومن هنا نرى الحق الفلسطيني يدخل في هذا النطاق بكل وضوح.

ثبات الفكرة العليا وصلابة الإرادة

أما الصلابة من حيث صلابة الدفاع عن الفكرة فإنها تتضمن تنويع الوسائل حتماً، وتتضمن تعدد الخطط والبرامج أو التكتيكات في ظل ثبات الفكرة العليا في السراطية (=الاستراتيجية).

إن صلابة الدفاع عن الفكرة يعني صلابة الإرادة فكما أن صلابة الفكرة تعني عمق الايمان لدرجة اليقين (وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين...)[4] فإن صلابة الدفاع عن الفكرة تعنى صلابة الإرادة.[5]

في الإرادة قد يقع الخيار، وقد يقع الدفع أو التأثير أوالضغوط ليظهر الشخص صلب الإرادة في قامة عالية لا يخضع للضغوط، وإن أتقن التعامل معها بمرونة لأن إرادة الصمود لديه وصلابة الإرادة تُكمل لديه الصلابة الفكرية.

4- ضمن تفسيرات اليقين أنه الموت وضمن التفسيرات أيضا قال القرطبي: والمراد استمرار العبادة مدة حياته، كما قال العبد الصالح: وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً. انتهى، والعبادة في الاسلام تتضمن العمل الصالح دوما فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهو عمل وأصل الاستخلاف عمل أي اعمار الأرض.

5- الصلابة النفسية لدى العالم "كوبازا" تتكون من السيطرة (التحكم)، الالتزام والتحدي.

من حقائق المواجهات الباسلة مع العدو في غزة والضفة ما قاله الرئيس أبو مازن (لا نملك الطائرات والمدفعية ولكننا نملك قوة الحق والعدل، ولن نركع إلا لله الواحد القهار) وهذه الصلابة هي ما تمثل - رغم المخرصين والمحرّضين والكذابين- عناق العمل الميداني مع السياسي والقانوني والإعلامي لتصبح مطالب المقاومة والميدان هي مطالب السياسي ويزيد عليها.

إن صلابة الفكرة/ العقيدة لدى ياسر عرفات -وحركة فتح- رغم ما مارسه من واقعية ومرحلية وعمليانية بدت للبعض تنازلاً أو خضوعا للضغوط أو إنحساراً للإرادة حتى وُصِف بأوصاف نابية كثيرة، وما أصابوا أبدا، هذه الصلابة للفكرة لياسر عرفات شحذت الإرادة لديه (ولدى المناضلين عامة، ومنهم العربي والفلسطيني والفتحوي اقتداءا به) فلم يتزلزل أمام ضغوط رئيس أكبر دولة في العالم (بيل كلنتون) ليتنازل عن القدس أو أرض فلسطين فينهي الصراع للأبد[6] ظانّين آثمين أننا لا نفرق بين الفكرة العليا/ المعتقد تلك التي تسندها الحقائق الحضارية والتاريخية والقانونية والدينية، وبين إمكانيات التعامل مع متغيرات السياسة.

الحقيقة والإيمان تسنِد الصلابة

إن فلسطين كأرض هي لنا نحن العرب الفلسطينيين، وهذه حقيقة علمية وتاريخية لا يصمد أمامها تزييفات التوراة أو الصهيونية، أو ضلالات العرب الذين انصاعوا لتاريخ التوراة في استعادة واسقاط تاريخها المزيف على تاريخ الأنبياء وإلصاقه بفلسطين، وما الحقيقة الوحيدة التي تصادفنا إلا أن الاسرائيلي الجديد[7] قد أقام دولته، ولكن أين أقامها؟ أقامها على جزء من (أرض) فلسطين التي لم تكن يوما سوى ذلك، وهو أيضا ما نص عليه القرار

6- وذلك في (كامب ديفد2) عام 2000

7- لماذا نقول الاسرائيلي الجديد لأن الاسرائيلي اليوم أي ساكن فلسطين في الجزء السياسي الذي يطلق عليه اسم (اسرائيل) لا علاقة له البتة بالاسرائيلي العربي اليمني القديم لا علميا ولا جينيا ولا تاريخيا ولا إثنيا/ قوميا-يمكن مراجعة الكاتب اليهودي آرثر كوستلر والكاتب شلومو ساند وغيرهما.

الأممي بالتقسيم، فلا مجال للحديث إلا عن أن فلسطين كلها لنا، أوعن البدائل مثل دولتين على (أرض فلسطين) أودولة واحدة على (أرض فلسطين)، وغير ذلك سفه.

إن صلابة هذه الفكرة والايمان بها، وصلابة إرادة الدفاع عنها[8] بصلابة صمود الفلسطيني اليومية حين يزرع حقله، ويسقي زرعه ويحصده، وصلابته في البذر والزرع والإثمار، منذ آلاف السنين، وصلابة البناء والتنمية والمقاومة بكل أشكالها في فلسطين.

الصلابة النفسية والحائط

وإن كان مبحثنا سياسياً ووطنياً إلا أن تدعيم عامل الصلابة النفسي يأخذ حيزا هاما في الفكرة ولدى الناس وهو جزء من التفاعل مع الذات والجماهير، حيث القناعة والإيمان والوعي واستمرار وتواصل شحذ الفكرة وفي الصلابة.

يقول عالم النفس «وليامز وأخـرون»: «أن الصلابة النسبية ترتبط

8- أشارت عالمة النفس كوبازا (kobasa 1984)الى أن الصلابة النفسية تعمل على تسهيل أنواع عمليات الادراك والتقويم والمواجهة التى يقوم بها الفرد، وبالتالى تقوده نحو الحل الناجح للموقف والناجم عن شعوره بالأحداث السالبة الضاغطة لأن دور الصلابة النفسية يظهر في تعديل العملية الدائرية التي تبدأ بالضغوط أو مجموعة الضغوط وتنتهى بالارهاق وما يصاحبه من أمراض نفسية أو جسمية.
ويتم ذلك من خلال طرق متعددة:

1. الصلابة تعدل من إدراك الأحداث وتجعلها تبدو اقل وطأة وتأثيرا سلبيا.
2. تؤدى الصلابة إلى أساليب مواجهة نشطة أو تنقل الفرد من حالة أخرى أى يغير الفرد من أسلوبه بحيث يستطيع المواجهة للأحداث الضاغطة.
3. الصلابة تؤثر على أسلوب المواجهة بطريقة غير مباشرة من خلال تأثيرها على الدعم الاجتماعي.
4. الصلابة توجه الفرد إلى التغيير في أسلوب حياته مثل التغيير في النظام الغذائي، الممارسات الصحية، ممارسة الرياضة وهذا بالطبع يقلل من الإصابة بالإمراض الجسمية

بأسلوب المواجهة حيث أن الأفراد الذين يمتلكون صلابة عالية يميلون إلى استخدام أسلوب المواجهة التحويلي، وأسماه (المواجهة الفعالة) وفيه يقوم الأفراد بتغيير الأحداث التي يمكن أن تولد ضغوطا إلى فرص للنمو»، أنظر المقاومة الشعبية والمقاطعة للمنتجات الاسرائيلية وأنظر لتعدد أساليب النضال الفلسطيني، لذلك يضيف وليامز "نجدهم يتوافقون مع الأحداث الضاغطة بطريقة ايجابية وفعاله ومتفائلة وعلى النقيض من ذلك الأفراد أصحاب الصلابة المنخفضة يميلون إلى أسلوب المواجهة غير الفعال وهو أسلوب تراجعي تجنبي وفيه يتجنب الأفراد المواقف التي يمكن أن تحدث لهم ضغوطا، وبالرغم من هذا التجنب أو الابتعاد فهو يكون مؤقتا حيث أن المواقف الضاغطة لا تنتهي فيظل هؤلاء الأفراد يعانون من التشاؤم والهموم». ونقول بل ربما يكررون نفس الأسلوب الذي ثبت فشله بالتجربة فلا يتعلمون أبدا ويصطدمون بالحائط فيُحبَطون وربما يحبِطون.

لقد ظهر للعالمة "كوبازا" في دراستها حول الصلابة النفسية أن هناك سمات ثلاثة ميزت الذين يتمتعون بالصلابة النفسية:

1. درجة عالية من الالتزام. اعتقاد قوى بما يقومون به، وغياب شعور الاغتراب أثناء تأدية المهام المطلوبة منهم.
2. درجة عالية من التحدي للقيام بمهامهم من منطلق الاعتقاد بأن التغير حقيقة ينبغي التعامل معه واستثماره للنمو الشخصي.
3. درجة عالية من التحكم في الأمور الوظيفية والحياتية مع إدراك شخصي في قدرتهم على التحكم في مسرات ومضرات الحياة. أو الثواب والعقاب في الحياة وتبين بأنه السمة الرئيسية عند هؤلاء.

وكذلك الأمر ما يمكن أن نعكسه نحن على الكادر التنظيمي اولا في قناعاته الخاصة، وقناعاته العامة بأهداف التنظيم والعمل فيه بجهد وقوة، وبالتالي بقدرة وصلابة التنظيم ككل إذ في الدرجات او المستويات العالية من الالتزام والتحدي والتحكم تكمن الدرجة العالية من الصلابة ومن هنا يظهر معدن الكوارتز او التوباز أو الكورندوم أو الالماس لدى الكادر أويبقى يلعب

في مساحة بودرة التلك أو الجبس.[9]

التدريب على الصلابة

أما كيف نربّي (نعلم/ ندرب) أنفسنا وأبناءنا وكوادر التنظيم السياسي، وأبناء الأمة من جماهيرنا على الصلابة الوطنية والنفسية، وصلابة الإرادة والقيم فهي ترتبط بالتالي:

1. من موقعك المسؤول في أي عمل تجنب تلبية جميع احتياجات الأشخاص (عامة ومنذ الطفولة)...فمثل هذا الأمر في التنشئة والتربية وفي مجالات التدريب التنظيمي لاحقاً أو التعليم يعطل قدرتهم على التفكير وعلى حل المشكلات التي قد تعترضهم ويجعلهم يتوقعون أن كل شيء في حياتهم مرتب ولاداعي للقلق. أي يجب أن يقلقوا ويتعلموا عدم الركون للغير كلياً، يجب أن لا تكون الرعاية أو الإدارة أو القيادة هنا بمنطق السيطرة المطلقة أو بمنطق الدلال المفضي للقعود عن العمل عند أول عقبة أو مشكلة.
2. تجنب الحماية الزائدة للشخص/ الكادر والخوف المفرط عليه من التعرض للخطر..فمنعه من القيام بنشاط ابداعي أو التفكير بحرية ضمن ضوابط التنظيم خوفاً عليه يحرمه خاصية التعود على مخاطر الحياة والعمل المبدع والتفكير الحر.
3. علينا تعليم أبناءنا ثم كوادرنا في التنظيم السياسي مهارات عدة وقدرات

9- من باب المقارنة فقط هل يمكننا تصنيف درجة الصلابة الوطنية مع (الصلادة) لدى (موس) التي تعني: مقياس موس لصلادة المواد هو مقياس يستخدم للدلالة على قدرة المواد المختلفة على مقاومة الخدش. ويتم ذلك بفحص قدرة مادة صلبة على خدش مادة أقلّ صلابة منها. وضع هذا المقياس عام 1812م على يد عالم المعادن الألماني فريدرش موس. ويعتبر مقياس موس مقياسًا ترتيبيًا، أي أنه يعطي المواد ترتيبًا معينا في قائمة المواد ولا يعطي القيمة المطلقة للصلابة. فمثال ذلك الألماس الذي يلي الكورندم حسب مقياس موه مع أن صلابته تقارب أربع أضعاف صلابة الكورندم. (المقياس من 10 يبدا بالتلك ثم الجبس، كالسايت، فلورايت، أباتيت، أورثوز، كوارتز، توباز لينتهي بالكورندوم ثم الألماس الأشد صلادة)

عدة ننميها منها مهارة التخطيط ومهارة اتخاذ القرار ومهارة حل المشكلات..فإذا كان الشخص يشعر بالقلق من ممارسة عمل معين.. عرّفه كيف يحدد أسباب مخاوفه وكيف يتعامل معها ويضع الحلول لها، واطلقه ليبدع في ظل قيم وضوابط التنظيم حيث مركزية التخطيط والمتابعة ولا مركزية التنفيذ.

4. عندما يخطئ الشخص/ الكادر، لا بأس فكل ابن آدم خطاء (وخير الخطائين التوابون كما يقول الرسول عليه السلام) وعليه أن يتعلم الالتزام بالنظام والقيم والأفكار الجامعة وقوانين العمل وباعتبارها قيما وموجهات للسلوك لا معيقات للعمل..وتوجه للمخطيء واسأله: كيف ستصلح ما أفسدته؟..يجب أن يشعر بالمسؤولية عن أعماله وأن يحل المشكلات التي تسبب فيها، وأن يتعلم الانضباط للقوانين والنظام.
5. لا تقدم للشخص/ الكادر كل الأجوبة للأسئلة التي يطرحها...شجعه على أن يبحث عن إجابات لها بنفسه..وأن يتحمل التعامل مع الغموض في الحياة ونقص المعلومات.
6. تجنب القلق أو التشاؤم أو الظهور بسلبية طاغية وبشكل مفرط أمام الآخرين، فكثيرا ما لا يستحق الموقف ذلك القلق الشديد..ولا تكرر الردح أو الشتم أو اللطم مثل قول: هذه كارثة أومصيبة لا نستطيع التعامل معها..ما يعني تهويل الأمور واخراجها من سياق القدرة على المعالجة.
7. ادفعه دوما للعمل (وقل اعملوا...) ولا تجعل من قوله مقياسا للأداء لوحده فاقتران حسن الكلام بالعمل في الكادر التنظيمي يعلمه الانخراط بالميدان ومواجهة المشاكل والعقبات والتفكير والقدرة على التجاوز والالتزام بالمباديء في وجه الضغوط فيتصلب.

نلخص فنكرر ما ذكرناه أعلاه في أن الحقيقة والإيمان تسنِد الصلابة النضالية والوطنية حيث إن فلسطين كأرض هي لنا نحن العرب الفلسطينيين وهذه حقيقة علمية وتاريخية لا يصمد أمامها تزييفات التوراة أوالصهيونية، وما الحقيقة الوحيدة التي تصادفنا إلا أن الاسرائيلي الجديد قد أقام دولته، ولكن أين أقامها؟ أقامها على (أرض) فلسطين التي لم تكن يوما سوى ذلك،

وهو أيضا ما نص عليه القرار الأممي بالتقسيم، فلا مجال للحديث إلا عن أن فلسطين كلها لنا، وعن البدائل مثل دولتين على (أرض فلسطين) أودولة واحدة على (أرض فلسطين)، وغير ذلك سفه.

إن صلابة هذه الفكرة، وصلابة الوعي وصلابة إرادة الدفاع عنها[10] بصلابة صمود الفلسطيني اليومية حين يزرع حقله، ويسقي زرعه ويحصده، وصلابته في البذر والزرع والإثمار، منذ آلاف السنين، وصلابة البناء والتنمية والمقاومة بكل أشكالها في فلسطين، وهي في ذاتها صلابة التنظيم النضالي الوطني الذي يجعل من أهدافه العليا (مبادئه) الايقاع الذي يضبط تفكيره ويحمل مخاوفه ويربط أداءه العملي أو الواقعي بفكره.

10- الرجوع لعالمة النفس كوبازا (kobasa 1984).

كيف نتعلم من الناس؟

إن سألت أحدهم: مَن معلّمك؟ قد يسرح بعيدا في تاريخه الشخصي محاولا تذكر (المدرّس) أو(النموذج) الذي أثّر فيه، فلربما زاده هذا المدرس عِلماً أو ثقافة أو أدباً أو قوّم في مسلكه، أوغيّر من طريقة نظره للحياة أو الناس أوالأشياء، وقد يسرع بالردّ ليورد اسم نبي أو شخصية شهيرة باعتبارها معلمَهُ، ولربما يتعصب البعض ليفترض أن معلّمه الأوحد هو هذا أو ذاك، أكان نبيا أو مصلحا أو شخصية تاريخية أو دينية أو فكرية...أو فنية، أو أمه أو أبيه، ولربما يأخذ منحى فكري ويقول:علمتني تجارب الحياة، أو تعلمت من أخطاء الآخرين، أو ينخرط في ذاتية مفرطة ليفترض أنه فقط هو معلّم ذاته.

السؤال كبير وقد تصح فيه كثيرٌ من الإجابات، فلكل رأيه فيمن علّمه، بمعنى نقل اليه علماً نافعا أوثقافة ما أثّرت به، أو غيّر سلوكياته أو اتجاهاته أو قوّمه وأرشده وفتح أمامه دروبا أو أغلق أبواب شر مستطير.

نتعلم من الناس أكانوا مشهورين أم مغمورين، متعلمين أم أميين بالقراءة والكتابة، ونتعلم من كل شيء (نعم شيء) وهذا الشيء أكان بشراً أم حيوانا أم نباتاً، أم كان ريحا صرصراً عاتية، أو نسمة مساء لطيف، أو نازلة نزلت على رؤوسنا أو صاعقة ونتعلم من موج البحر، بغض النظر عن حجم العلم أو تأثيره فينا من أيها.

التعلم من الناس والتنظيم

الوعي أن العِلم متاح في بطون الكتب وفي الحياة، وفي صدور الرجال والنساء دلالة انفتاح فكري، وسعي خالص لنُشدان الحقيقة تلك القابعة هناك، أو عند طرف عينك، أوفي ذرة التراب أو خليّة القلب، ولربما في أنين الفراشة أو صدى صوت الصحراء في يوم حر قائظ.

عنواننا كيف نتعلم من الناس؟ يفترض أننا من الناس – على اطلاق الناس أي بَرّهم وفاجرهم، من أحسن منهم ومن أساء – نتعلم ونتلقى الدروس فإن لم يكن لتجارب الحياة من تقدم وتراجع وصعود وهبوط وفشل وتردد ونجاح مُعلّم، فهل نسبق ذلك بالتعلُّم من الآخرين أم لا؟

في التنظيمات السياسية عامة تُعتبر الجماهير»جماهير التنظيم» وقود الفعل أو كما تقول حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح (وقود الثورة) أوكما تقول الأدبيات اليسارية (مادة الثورة)، والتنظيم مع الجماهير مثل (السمكة في الماء) أومثل (الجمل المتسيّد على عرش صحرائه وواحاته) والجماهير بالنسبة لابن التنظيم هي المؤشر لاتجاه الرأي العام، وإن لم يكن فهي إشارة على المزاج العام، والدليل على ضرورة التغيير أو التمسك بالفكرة أوالرأي أوالأسلوب أو تنويعه.

الاعتراف والإقرار قبل التعلّم

كيف نتعلم من الناس؟ من الجماهير؟ أفرادا وجماعات وتنظيمات سياسية يفترض بنا فهم وإقرار ثلاثة مبادئ أهمها:

أننا نُقِرّ ونعترف، ويجب أن نعتبر أنفسنا جزء من الناس، لا طبقة متسيّدة، طبقة منفصلة، صفوة، (طليعة) أو(خاصّة)، أو (أهل حل وعقد)، أو (قيادة) دون غيرنا أو... جاءت من المريخ لتهدي سكان الأرض (الجماهير) الجهلة الأغبياء (العامة)، وكلما ساد خطاب الفصل بين القائد أوالمُصلِح أو النبي أوالمفكر... أو المسؤول عن الناس في نطاق مسؤوليته أوخارجها، كلما سارا في اتجاهين متعاكسين.

لذا وجب الإقرر أولاً: أننا (جزء من الشعب) وجزء غير متمايز إلا بالمسؤولية الممارسة فعلا، وجزء لأنه (مسؤول) يعني أن مهمته الكبرى (خدمة الناس) لا صفع وجوههم والتكبر عليهم.

ثانيا: علينا الإقرار بأننا لم –ولن- نختم العلم، لذا نحن نتعلّم، دوما وأبدا، وكما الحكمة العربية الشهيرة (أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)، ونتعلم من كل شيء (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ-الاسراء 44).

يقول الله تعالى (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ)(النحل: 78) فالذي خلق السماوات والأرض عزّ وجلّ ينير لنا طريق التفكير والتأمل والتعقل والتدبر في أحكام القرآن الكريم وقصصه، وفي خلجات النفس وصدر السماء الحافية، وفي ما خفي من أسرار الكائنات أكانت حجرا أم شجر أم بشرا في حث واضح الدلالة، والآيات الكثيرة، تحثنا على التفكر وعلى التعلم لذلك كانت الأسماع والأبصار والعقول، وفي ذات الأمر قال عليه السلام (الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم أو متعلم) وقال: « مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ «

ومن هنا فنحن نتعلم من كل شيء مادي أوحيوي، وقطعا نتعلم من كلّ الناس برّهم وفاجرهم، من شيخهم الجاهل وذاك كبير الأفعال، ومن شبابهم الطائش والنزِق وذاك المهذّب، كما نتعلم من النساء والأطفال.

أما ثالثا فإننا نُقرّ: أننا يجب أن نتعلم من الناس، كمعادلة هي نتيجة الاقرار أننا من الناس بلا طبقية أو انفصال أو تميز (مهما اختلفت المسؤوليات والصلاحيات والمهمات وطرائق التفكير ومستواها).

مداميك تعلمنا من الناس

من هنا يصح أن ننطلق لنضع بعض مداميك (كيف) نتعلم (أو أتعلم) من الآخر في كل شيء ونخصص هنا من الناس:

أولاً: علينا أن نستمع، نُحسِن الأصغاء، نُحسن التأمل، والتفكر والتدبر في كل ما يقوله الآخرين وللاستماع والإصغاء فن قائم بذاته (فن الإصغاء

ومستوياته المختلفة قابل للتعلم والتدريب) فلا نقاطع ولا ندافع ولا نصرخ ولا نغفل ولا نسهو ولا نتعصب ولا نتغافل ولا نتهكم...ولحُسن الانصات نحث الآخر على الحديث، ونسأل حيث وجب بلطف ونعلّق حيث اقتضى

ثانيا: علينا أن نعطي «وقتاً محدداً» للحوار والمحادثة أو الاتصال، وعلينا أن نهتم، ونثني، ونستجيب سواء بالشكل أو الكلام، بالحركة والإيماءة، أو بالتعبير اللفظي... فلا إنصات ظاهر إن أدرنا الظهر للمتكلم أو تغافلنا عنه بحديث جانبي أو بحديث هاتفي أو على الحاسوب، ولا اهتمام كما لا استفادة إن اخرجنا العيون من ميدان الاصغاء... لذا فنحن نرغب ونهتم حقا، والوقت معك، وقد نثني ونمدح حيث نرى الإيجابي، أو(ننقد) دون قدح أو جرح أو اتهام، لذا نحن نستجيب بأناقة حسب تقديرنا لشخصية المتحدث أمامنا: أكان خجولاً أم ثرثاراً أرعنا، أم موجها أم عدوانيا أومنفتحا...الخ

أما ثالثا: فنحن نتعلم ونتثقف ونستفيد من الناس بشكل مباشر أو غير مباشر بشكل آني أولاحق عبر إدخال (تعديلاتهم) التي تفاعلت فينا، في داخلنا، إدخالها في مضامين (منظومة) أفكارنا أوأفعالنا أوسلوكنا، وفي هذا إقرار حقيقي عملي بأننا نتعلّم، وإلا يصبح الإصغاء كمشاهدة الرائي (التلفزة) لمجرد قضاء الوقت أو الاستمتاع الحر، أو يصبح كأننا نتعامل مع الناس بالاستماع السطحي لمجرد إعطاء الانطباع أو التأثير المزيف أننا نهتم، لمكاسب شخصية.

الالتزام والتعلم

إن التمسك بالأفكار والأهداف الممثلة لمؤسسة أو تنظيم أو جماعة ضروري وهام، ويعني قبول انخراط الشخص فيها، وتفاعله داخل التنظيم في إطار الموافقة منه على الأفكار أوالغايات وعلى الآليات التشاركية (الالتزام والحوار والديمقراطية والنظام)، وهذا لا يعني في حال من الأحوال الجمود والتكلس كما لا يعني التقديس، ولا يعني التحجر، فالإيمان قاطع بالدليل

والبينة، والشك جائز ويحتاج لبينة، والقرار وإن رفضته الأقلية واجب الإتباع في ظل الممارسة المعارضة الرشيدة، من هنا تظهر العلاقة الصحيحة بين الأيمان بالفكرة، والانصباط للأوامر داخل التنظيم، وتقبل الآخر، وبالتالي الإنفتاح للتعلّم والإستزادة فلربما ضمن عقلية البدائل والاحتمالات نرى طريقاً (أو طُرقا) مختلفا فنلُجه.

إن لم نتعلم من الناس فتدخل أفكار وتوجهات واحتياجات الناس في برامج وخطط الأحزاب والتنظيمات السياسية وغير السياسية والجماعات، فهذه التنظيمات قطعاً منقطعة لفكرها أولذاتها تعيش في عزلة، ليست بعيدة عن عزلة التنظيمات القومية أوالدينية أو الفكرانية (الأيديولوجية) المتطرفة، التي تراها بذاتها الشمولية والكليّة و الحصريّة تُمسِك بسيف الحق ومفتاح الجنة.

في النقد والحركة الوطنية

إن مفهوم النقد للسياسات أو الأفكار أو التوجهات لا يعنى قطعاً الطعن في ذات الشخص أو عائلته، أو خياراته الشخصية، أو التهجم عليه وفق مرفوضات الحديث الشريف (طعّان، لعّان، فاحش، بذيء) أبدا، لأن النقد مضمون تركيب جديد للصورة أو الرؤية أو النظرة، أو تبيان لنواقص ومثالب، من الممكن أن يكون المنقود قد أغفلها أو أهملها، وقد تكون طُغمة الحكم حول الزعيم "السلطان/ الرئيس/ المدير" أو البِطانة أوذوي المصالح الضيقة قد ضلّلوه، بل و ربما يكون الشخص القائد أو المسؤول قد وصل فيه الغرور أو النزق و الهوى الى نهايته (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، ان الله لا يهدي القوم الظالمين – القصص 50) كما اتبع هواه النموذج القرآني الجليّ قبيلة بني اسرائيل العربية اليمنية المنقرضة فيما أشارت له الآيات الكريمة في أكثر من موضع فاستبدّوا ونزّهوا أنفسهم فسقطوا.

النقد ونموذج الهدهد

إن مفهوم النقد يكون لذات الموضوع أو الحالة أو الموقف أو الرأي، ومتى تعداه للطعن في ذات الشخص أو (التنظيم) أو الجماعة بإطلاق أحكام مطلقة وكليّة مثل التهم بالكفر أو الخيانة أو العهرأو الكذب الكليّ، أو العنصرية، أو... الخ، فان الناقد هنا يكون قد خرج من مساحة النقد الى مساحة أخرى هي ما بين الطعن المعاقب عليه قانونياً، وبين الانزلاق الكلي نحو الهاوية.

نأخذ العبرة في كثير من المجالات من تاريخنا العربي الاسلامي المليء بالايجابيات كما السلبيات والثغرات (بمعنى أنه تاريخ وتراث قابل للنقد والتصحيح والنظر والحوار والتغيير) ولنا في الأئمة والصحابة والمجتهدين عِبَر في ذلك كثيرة، كما لنا في تاريخ الأمم الأخرى، بل وفي تاريخنا العربي

الفلسطيني ما نحترمه ونقدّره ونجلّه في فهم معنى الاختلاف، وفهم ضرورة النقد وفهم كيف ومتى والى أين يتم توجيه النقد.

يقول الإمام إبن القيم في نقده اللطيف لشيخه (أستاذه) قبل أن يسطّر رأيه المختلف فيما قاله شيخه (مثلي ومثل الشيخ الهروي كمثل الهدهد مع سيدنا سليمان، حيث وقف الهدهد على باب سيده سليمان ذليلا وهو يستدرك عليه بعض ما نسيه أوأخطأه قائلا «أحطتُ بما لم تُحط به، وجئتك من سبأ بنبأ يقين»، ويبقى الهدهد هو الهدهد وسيدنا سليمان هو النبي والملك العظيم).

النقد في الحركة الوطنية وعمر

إن كان النقد في الحركة الوطنية مقبولاً، بل و يُحث عليه في اللقاءات الداخلية بمعنى أن هذه التنظيمات تضع في جدول أعمال اجتماعاتها التنظيمية بند (النقد والنقد الذاتي) ما كان ممارسا لتنظيف الذات أولا بنقدها وتبيان أخطائها، قبل البحث في عورات الآخرين، لكن هذا الأمر قد ضعُف في كثير من التنظيمات الى الدرجة التي علا فيها صوت النقد منتقلاً من النقد الصامت (الداخلي) الى النقد الصاخب (خارج الأطر) والى الدرجة التي تناسى فيها الشخص الناقد ذاته ووجّه كل سهامه للآخر أو للمحيط أوللظروف، وما هذا أبدا هو غاية فكرة النقد و النقد الذاتي.

يقع الضرر في التنظيمات السياسية من إهمال الاجتماعات المثمرة أو الفعالة، فما بالك حين انعدام عقدها أصلا؟! وان عُقدت فيأتي الضرر من عدم دوريتها، ما يُفقِد الكادر وحدة الخطاب ووحدة الموقف وتعميق روح الانتماء والالتزام ويحرمهم مساحة التواصل الحروالحوار والقرار، بل ويحرمهم مساحة تنظيف الذات أولاً بالنقد الذاتي أمام الملأ، فالبداية دوما من عندي قبل أن أشير بأصبعي للآخر بنقد فما بالك باتهام!

وفي المقابل يكون الآخر تحت العين ومتأهباً بمحبة لتقبل النقد وفق

حكمة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي كان يردد (رحم الله امرأ اهدى إليّ عيوبي) وقيل بصيغة (إن أحب الناس اليّ من أهدى إليّ عيوبي)، لا كما قال أحد الخلفاء الأمويين حين صعد المنبر: (من قال برأسه كذا قلنا بسيفنا وكذا) مهددا كل من يعارضه من اليوم الأول وهو الشخص ذاته مَن أعتبر تذاكر سيرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مفسدة للرعية! وهذه من تلك، و لنا العبرة لمن يعتبر حيث قيل لبعض العلماء وقد اعتزل الناس وكان منطوياً عنهم لم امتنعت عن المخالطة فقال: وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي؟

يقول لينين: «موقف الحزب السياسي تجاه أخطائه يمثل واحداً من المقاييس الأكثر دقة في تقييم جدية وإخلاص هذا الحزب، وكذا أمانته في التزاماته تجاه طبقته. التعرف بصراحة على الخطأ، التأكد من الأسباب التي أدت إليه، تأمين طريق تصحيحه – تلك هي السمات المميزة للحزب الجاد، والتي هي كيف يمارس دوره ويؤدي واجباته، وكيف يجب عليه تثقيف وتدريب طبقته، ومن ثم الجماهير».

مارست حركة فتح النقد والنقد الذاتي في مؤتمراتها وفي اجتماعاتها، وكثيرا ما أبدى قادتها رأيا مغايرا في لقاءاتهم الداخلية حتى أن كل من القياديين خالد الحسن (أبو السعيد) وصلاح خلف (أبو إياد) كانا وغيرهما يمثلان خطان مختلفان كما كان ماجد أبوشرار، ولم يعني ذلك نقضا للالتزام الداخلي والانضباط في آلية توازن الوطني مع الحركي وفي إطار واضح من الحرص لا التدمير.

لدغة الأفعى والانتماء

قد يلجأ الكادر الحركي في التنظيم على رفع صوته عاليا خارج الأطر وذلك في ظل إنحسار مساحة التواصل الداخلي في آلياته المعروفة (اجتماع، لقاء، ندوة، مؤتمر...)لا سيما وأن مجالات التعبير في ظل علنية التنظيم (أو شبه علنيته) قد أعطت الكثيرين الرغبة في التعبير العلني حتى لو كان خروجا

عن منطق الالتزام وكأن لسان حالهم يقول وهل يُلام الذي لدغته الافعى أن يصرخ؟

قد يجد الكثيرون العذر أيضا لضعف الانتماء ولضعف الالتزام عندهم، وكيف لا يتأتى ذلك ولا لقاءات دورية أوتواصل فعّال يستطيع فيها الكادر أن يبرز نفسه ويثبت ذاته ويحسّ أنه محترم ويتم تقدير رأيه وليس خروفاً ضمن قطيع يتم الهشّ عليه كما يَهش الراعي على غنمه.. الرغبة في النقد تترافق عند الكثيرين مع مفهوم الحرية والديمقراطية، رغم عدم الفهم لمعنى المساحات المتاحة أوالمفروض التعبير فيها، وفي كل منها بقدر مختلف أو شكل مختلف أو مضامين مختلفة، وما ذلك إلا لفهم -عند البعض-لا يصح لمعنى الديمقراطية، والتي لا تعني قطعاً الفوضى أواتخاذ المنابر للطعن والشتم والتعريض بالآخرين، والتي تغفل أن الديمقراطية: حوار والتزام في شراكة وتواصل.

التواصل الاجتماعي، والتقريع الشخصي

بلا شك أن وسائل التواصل الإعلامي والاجتماعي قد أتاحت مساحات واسعة للحريات، ما هو شيء جيد وهنا برز أيضا خطورة فهم الحرية بمعنى إسقاط الحدود والالتزامات، فللبيت حدود، وكمثال: فإن من يريد تزويج ابنته لا يشوهها، فلا يكرر أمام كل من هبّ و دبّ بالقول انها تأتي يوميا متأخرة بعد 12 ليلا، أو انها كثيرة السهرات أو... أو... ما هو إن صح عنها وجب أن يكون نقدا داخليا، ويصدق ذات الأمر مع التنظيم.

قال أحد الصحابة وهو مسعد بن كدام (رحم الله من أهدى الى عيوبي في سِتر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع)، وبالطبع فان هذا يصدق في الأمور الذاتية والشخصية، أو حالة إقران الناقد بين الموقف وذات الشخص، لا في أمور الرأي والموقف والاتجاه ما له مجالاته الديمقراطية وطرق تعبيره المعروفة.

هل تتصور أنك تضيّق على عضو في تنظيم سياسي فيرى نفسه رقما أوبطاقة انتخابية أو شخص ضمن حشد (لا ضمن تنظيم) أنه سيكنّ احتراما أو انتماء عاليا لتنظيمه؟ بالطبع لا، فالإهمال أو الإنكار أوالاستصغار للآخرين أو التعالي عليهم أوتحقيرهم، واستخدامهم فقط كوقود لمعارك داخليه لن يكون ثمنه إلا مزيد من التمزق الذي نراه في الفصائل الفلسطينية اليوم.

مساحات النقد

يجد الشخص العادي كما العضو المنتمي لفصيل، يجد المساحة مفتوحة أمامه للتعبيرعبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، فلا يظن أحد أن فكرة التنظيم المغلق على ذاته فكرة قابلة للحياة في هذا الزمن، في هذه الوسائل يقول الشخص ما يشاء وقد يتخطى الحدود بين الخاص والعام، بين الشخصي و الرأي المعلن، أو بين التنظيمي الداخلي والجماهيري العلني فيصبح كمن يريد تزويج ابنته ويشهّر بها، فلا يستقيم الأمر أبداً.

إن الاهتمام بوسائل التواصل الاجتماعي ضرورة وهو ما يقوم به العديد من كادرات التنظيمات، ولكنه لا يُغني مطلقا عن الواقع، فالواقع الافتراضي يبقى افتراضي والواقع المُعاش يتنفس الهواء ويسعى بين الناس فيُحِدث التأثير الكبير ولا بديل عن الاتصالات المباشرة بين الناس.

مساحة الحرية المتاحة في النقد تلك التي للشخص مع ذاته وبين ذاته بلا حدود، وتلك من صديقه لشخصيته بينهما فقط، وتلك لتصرفاته الشخصية بين أقرانه أو في محيط ضيق تبقى في المحيط، وتختلف هذه المساحة عن المساحة الأخرى أي تلك المتوجب نزع غلاف الشخصنة عنها كليا بمعنى إبعاد توصيف الشخص بأي شكل حينما يتخذ رأيا أو موقفا، ويتم نقد الرأي أو الموقف لا نقد ذات الشخص (فلان لأنه قال كذا "رأي" فهو طويل قصير"ذات"...الخ) ما يخلط بينهما الكثيرون لضلالة مقصودة أولتشهير أولسوء فهم آلية الفصل.

إذن المساحة الأولى للنقد هي مساحة شخصية بحتة، المساحة الثانية هي مساحة الرأي العام للفرد، ولها 3 مجالات: مجال في الإطار الضيق لابن التنظيم (إطاره المباشر) أوالإطار الأوسع (للمسؤول الأعلى أو عبر المؤتمر أو الجلسات العامة)، أو قد تصل حال شدة الإهمال والانكسار الى رفع الصوت عالياً في وسائل الإعلام ما يجب التعامل معه بحذر.

النقد لدى الفكرانيين صفر

يقع الاختلاف واضحاً بين التنظيمات الديمقراطية وتلك الفكرانية (الأيديولوجية) فالثانية لا تفصل بين الشخص و الموقف وإنما تربط بين إطلاق التُهَم ونقد الموقف بحيث أن الموقف إن أتخذ من أحد قادتها وإن كان مخالفا وشاذا فهو رحمه الله وسامحه أو يتم تأييده وحتى تنزيهه، وإن أخذ الرأي من شخص آخر خارج التنظيم يتم إلصاق أبشع التُهم فيه لذات الموقف.

تتصل القداسة أو النزاهة أو الصواب المطلق في التنظيمات الفكرانية بالفكرة لتنعكس على ذات التنظيم وتتنزّل على ذوات قادة التنظيم، فيصبحون غير قابلين للنقد لأن مآل النقد في مثل هذه التنظيمات الفصل أوالإبعاد والنبذ، أوالخروج من التنظيم كما قال الحاج مصطفى مشهور أحد قادة "الاخوان" مستصغرا المخالفين ومقزّما لهم ورافضاً النقد حيث قال هم: (كالورقة الصفراء التي تسقط من الشجرة الخضراء اليانعة).

لا تكف غالب التنظيمات الفكرانية الأيدولوجية سواء القومية الشوفينية أوالشيوعية أو الإسلاموية عن الربط بين الشخص والموقف بشكل متعمد، لتحقيق المفاصلة بين المعسكريين (الفسطاطين) والبرنامجين و الفكرين وكأن الدنيا خير مطلق في ركابهم وشر مطلق مصاحب للآخر.

النقد لتنظيف الذات أولا لا لتنزيهها

إن النقد و النقد الذاتي ضرورة لتنظيف الذات أولا، ولتصحيح المسار ثانيا و لتحقيق التواصل والإشارة لسُبُل أو مخارج جديدة ولإقالة العثرات، وحل المشاكل والأزمات لا للطم والشتم والاتهام، و لا لبعث كوامن السلبية والظلامية والانحسار، وإنما للتفكير المشترك ببعث جديد ونهضوية، لا تنقطع، وصراع يسعى للتجديد والتغيير، وإيجابية تعني قطعا الصعود لا الهبوط.

في صُلب {التنظيم} و{الهوامش}

إن التنظيم السياسي يشكّلُ جسداً تتكامل فيه مكوناته، وتتفاعل، بلا انقطاع، وهي في تفاعلها الدائم تحافظ على حيوية الجسد وديمومته في حركّية دؤوبة لاتهدأ، أكانت هذه الحركية مرتبطة {بالحوارأم الفعل}.

إن التفاعل المكتمل الدائرة في داخل جسد التنظيم يقتضي حُسن التعاطي مع المسار (المسارات)، وهذا الحُسن يقتضي التبادلية، ولا يعني مساراً باتجاه واحد أبدا، بمعنى أن مجرى الحركة ومسارها المتدفق (السلوك: الحوار والفعل) يسير من أعلى إلى أسفل، وأيضا بالعكس أي من أسفل إلى أعلى (في تراتبية الهيكل التنظيمي الهرمي)، كما يسير في داخل المرء ذاته وحواره النفسي-الروحي الفكري، كما يسير أفقيا (داخل الوحدة التنظيمية من خلية إلى إقليم في حركة فتح، وكافة التنظيمات، أو داخل آليات الاتصال في الاجتماعات والندوات والدورات...)، وهذا يقتضي إتاحة الفرصة اللازمة للأعضاء لأن يقدموا ما لديهم من أفكار وتجارب واقتراحات بحرية، دون بخس لآرائهم أو مبادراتهم، ودون تقليل من شانهم ودون محاولات لفرض الرأي الواحد.

في التفاعلات الكيميائية يتم ترتيب الذرات في الجزيئات الكيميائية، وفي مثل هذا التفاعل نشهد اتحاد بعض الجزيئات بطرق أخرى لتكوين شكل من مركب أكبر أو أعقد، أو تفكك المركبات لتكوين جزيئات أصغر، أو إعادة ترتيب الذرات في المركّب. والتفاعلات الكيميائية تشمل عادة تكسّر أو تكوين روابط كيميائية. ومن أنواع التفاعل: ما يؤدي لتغيير جزئي أو كلي، ومنه ما يؤدي للاندماج والانصهار وتكوين مركب جديد، ومنه ما يؤدي لتفكك وبالتالي خروج وانهيار.

ومن التفاعلات (الكيميائية) ما يكون ناشراً للحرارة ومنها الماص للحرارة على ما يذكر علماء الكيمياء، وهل ترى التفاعلات الإنسانية ببعيدة عن هذا التوصيف؟ لا أظن ذلك. رغم تعقد الذات الإنسانية والتعامل معها،

إذ أنها تحتاج لتحقيق التوازن فيها –ومعها- على المتعاملين مع الكادر ومع الناس-بل ومع أنفسهم- أن يدركوا أولا أهمية وضرورة وحساسية المكونات (الذات/ الناس) والبيئة أو الوسط المحيط، وطبيعة التعامل محكوما بالفعل ورد الفعل، وأيضا الهدف والنتيجة، وهنا نحن نرى أن التفاعل المكتمل نريده في التنظيم أن يكون ناشرا لحرارة الإيمان والعمل للجميع، وأن يُحدث تغييرات بالشخصيات داخل التنظيم بما يمكّن من حصول الاندماج واحتكاك وانصهار الأفكار في بوتقة تحقق نتيجة واحدة مأمولة.

إن التفاعل داخل جسد التنظيم يسير من أعلى إلى أسفل، فنرى الاتصالات المتيسرة والمتابعة والتخطيط وصدور القرارات والرقابة، وتسير من أسفل إلى أعلى (في الهرم التنظيمي) فنرى الأعمال ونسمع الآراء والمقترحات وتُقدّم التقارير ومحاضر الاجتماعات وسجلات النشاطات والاشتراكات المالية، وبدون هذه الحركية الرائقة، التي وجب تميّزها بالسلاسة واللّيونة والتدفق ينسد مجرى النهر التنظيمي ويتوقف التدفق.

حوض الماء والتفاعل في التنظيم

إن مستوى الماء في الحوض (والحنفية مفتوحة عليه) يرتفع حتى يفيض في نهاية الأمر. ماذا يحدث إن تدفق الماء خارجاً أسرع من تدفقه للداخل؟ يبدأ مستوى الماء بالنزول. وأخيرا، نرى أننا إن استمررنا بتدفق الماء بنفس المعدل لتدفقه إلى الخارج فإن مستوى الماء سيبقى ثابتاً؟

إن محاكاة حوض الاستحمام هذه تبين هيكلية "التجميع و التدفق" التي توجد في أنظمة مختلفة من حولنا ومنها في التنظيم السياسي.

إن الخزن هو تراكم.، والماء في الحوض هو المخزون المتراكم. فإن استطعنا تحقيق التوازن في أطار المخزون المجمع، والتدفق الناتج فإننا نكون قد أدخلنا التنظيم في مرحلة الاستقرار وفي التفاعل المكتمل الذي نتحدث عنه ونهدف منه لتحقيق هذا التوازن

من أشكال التفاعل الاجتماعي (ومنه التنظيمي: حيث أن التنظيم تفاعل بين جماعة إنسانية لديها فكر وأهداف مشتركة وقوانين وتقوم بعمل) التعاون والتنافس والتوافق والصراع، ويتضمن التفاعل الاجتماعي (كما يشير موقع بذورالكوكب العلمي-بلانت سيد)التفاعل أو التأثير المتبادل لسلوك الأفراد والجماعات الذي يتم عادة عن طريق الاتصال الذي يتضمن بدروه العديد من الرموز وهناك علاقة بين أهداف الجماعة وما يتطلبه تحقيق تلك الأهداف من تفاعل اجتماعي يُيَسّر وصول الجماعة إلى تحقيق أهدافها.

استنتج مظفر شريف (أحد مؤسسي علم النفس الاجتماعي) من خلال تجاربه انه عندما يتفاعل أعضاء الجماعة قاصدين تحقيق هدف مشترك فانه مع الوقت يبرز بناء الجماعة، ينظم الأعضاء في مراكز وادوار تحددها معايير تحكم السلوك الاجتماعي وتكون أساس الاتجاهات الاجتماعية نحو الموضوعات والأشخاص ويحدث تفاعل اجتماعي بين جماعتين أو أكثر يلونه التنافس وتسوده المواقف المحبطة وتنمو إتجاهات سالبة نحو بعضها البعض، ووجد أيضا عندما تكون الجماعات حتى وان كان بينها توتر ويتم بينها تفاعل اجتماعي نحو هدف مشترك لا يمكن تحقيقه بجهد جماعة واحدة فإن الجماعات تميل إلى التعاون ويقل من خلال هذا التفاعل ما بينها من صراعات واتجاهات سالبة.

النظرية التفاعلية في القيادة

في فن القيادة نظريات عديدة منها نظرية الرجل العظيم التي سقطت، ونظرية السمات/ الخصائص للشخصية التي أصبحت ماضي، ومن النظريات الحديثة: النظرية الوظيفية، النظرية الموقفية، النظرية التفاعلية/ التكاملية، النظرية الإلهامية، النظرية التبادلية، النظرية التحويلية، نظرية مركزية المبادئ (يراجع الباحث أحمد بن عبد المحسن العساف في بحث مهارات القيادة وصفات القائد، الرياض)

ونحن في إطار حديثنا هنا عن التفاعل التنظيمي وصلب التنظيم، من الأجدر أن نركز على النظرية التفاعلية التي يطلق عليها أصحابها أيضاً النظرية التوافقية، وتقوم هذه النظرية على فكرة المزج بين متغيرات النظريات السابقة، فهي تأخذ في الاعتبار السمات الشخصية والظروف الموقفية والعوامل الوظيفية معاً، وتعطي النظرية أهمية كبيرة لإدراك القائد لنفسه، وإدراك الآخرين له وإدراكه للآخرين، فالحياة التنظيمية مثلاً تتطلب سمات معينة للكادر والقائد، وتختلف هذه السمات باختلاف الموقف الذي يوجب استخدام بعضها وتوفره، كما يختلف سلوك الكادر/ القائد باختلاف موقعه أو مهمته التي تحدد له المهام والصلاحيات التي سيتصرف بموجبها (أنظر القيادة الإدارية للدكتور سالم القحطاني، العدد23 مجلة البحوث الأمنية السعودية، 1423هـ).

إذن تؤكد هذه النظرية على التكامل والتفاعل بين المتغيرات الرئيسة التالية التي تحقق نجاح القائد:

- ◊ القائد، شخصيته ونشاطه في الجماعة.
- ◊ الأعضاء، اتجاهاتهم وحاجاتهم ومشكلاتهم.
- ◊ الجماعة نفسها، من حيث العلاقة بين أفرادها وخصائصها وأهدافها وعملية التفاعل بين أفرادها.

من الواضح هنا أن "النظرية التفاعلية"، تؤكد على أهمية المرؤوسين (الأعضاء في الإطار التنظيمي)، كعامل مؤثر في نجاح القيادة أو فشلها. وإذا كانت النظرية التفاعلية، تقيم فهمها لخصائص القيادة، على ربط نجاح القائد بقدرته على التفاعل مع المرؤوسين، وتحقيق أهدافهم، فإن ذلك لا يعنى من الناحية الواقعية توفر القدرة لدى القائد، على إحداث تكامل في سلوك الجماعة العاملة كلها، وإنما يعني قدرته على إحداث تكامل، لدى معظم أعضاء الجماعة العاملة.

ونعود للقول ثانية أن خلاصة مفهوم "النظرية التفاعلية» هي: أن القائد الناجح هو الذي يكون قادراً على التفاعل مع المجموعة، وإحداث التكامل

في سلوك أعضائها، أو سلوك معظمهم، آخذاً في اعتباره آمال أفرادها، وقيمهم وتطلعاتهم. (أنظر بكر أبوبكر، وجوه القيادة، المركز الفلسطيني للدراسات، رام الله، 2005).

كان ياسر عرفات لا يعكس خلافاته السياسية أو التنظيمية على علاقته التفاعلية بالأعضاء داخل منظمة التحرير الفلسطينية وداخل حركة فتح ولاحقا» السلطة، بمعنى أنه كان يعزل الخلاف السياسي بالرأي عن طبيعة علاقاته –اتصالاته الانسانية معهم، فلم يقطع تواصله مع مخالفيه وإنما أبقى دائما على العلاقة معهم في فهم لقيم وتطلعات الأفراد التي تمزج بين الموقف السياسي وبين احتياجاتهم الفردية، فإن اختلف مع أحدهم لم يكن هذا في عرفه أن يعاقبه أو يحد من طموحاته أو يُقصيه أبداً.

لذا نستنتج مما سبق وفي إطار التوافق والتكامل في نطاق النظرية القيادية التفاعلية إن متطلبات التفاعل المكتمل الدائرة (الايجابي وليس السلبي) داخل التنظيم السياسي تتمثل في تحقيق مبادئ اتصالية ثلاثة هي: الانسيابية والتبادلية وتوسيع المساحات، سواء للفعل أو الحوار في ظل أسس الهيكل، وطبيعة الأهداف المقررة والخطط المقررة.

مساحات رحبة

يقول الكاتب عبدالكريم العامري في شبكة النبأ: إن الازدحام الشديد بين المجموعة البشرية يخلف آثاراً مذهلةً ونتائج بالغة الخطورة، منها تحطم وانحلال الحياة الاجتماعية (فما بالك التنظيمية)، أما العادات والتقاليد العامة والرادع الديني اللذان يتحكمان في ضبط النفس والسيطرة على عدم استعمال العنف، فتطرحان جانباً دون اكتراث أو مبالاة.

ثم يعلق بالقول: ليس علينا إلا أن نفهم من أن ما يحيط بالإنسان من فراغات ومساحات تباعدت أوتقاربت انما هي نتيجة لإحساساته من لمس، شم، شعور، رؤيا، إن هذه الفراغات هي ليست مجرد حيز من الفراغ أو

الهواء فحسب، بل هي وسيلة الإنسان لاتصاله بالعالم الخارجي وما يحيط به وهي في عين الوقت تحميه منه. أما زيادة الضغط على هذه الفراغات الحيوية والضرورية لبقاء الإنسان على نحو يرضيه فقد تسبب له متاعب وأمراضا لا حصر لها ولا دواء.

إن توسيع مساحات التفاهم والحوار والعمل تعنى أن كل عضو أو شخص لديه الفرصة المتاحة ليطرح رأيه، أو يعبر عن ذاته أو يقدم مقترحه، ولأن يقوم بجهد أو مبادرة أو نشاط أو عمل ويشاركها الآخرين، فلا يستأثر رئيس الجماعة (الوحدة التنظيمية مهما علت) وكأنه صاحب الأمر وليس للأعضاء سوى التنفيذ.

◊ إن توسيع مساحات التفاهم تعطى للمياه (التنظيمية) قدرة إن تنقي نفسها، ونشربها في النتيجة شفافة نقية.
◊ إن توسيع مساحات التفاهم يعني كسر عقل الاحتكار وعقل الاستبداد وعقل السيطرة وعقل الأنا والعقل القمعي الكامن لصالح الرحابة والانفتاح والتسامح والجماعية.

مساحات التفاهم (وهذه المساحات وإن كانت معنوية، داخل العقل أو داخل النفس أو في أسلوب التعامل، فهي باتساعها تماما كالمساحات المادية من حيث هي ساحات عامة وفضاءات تجلب الانشراح والشعور بالانطلاق والرحابة لدى الإنسان) ومساحات أو أدوات التعبير من خلال الاجتماعات أو اللقاءات أو إتاحة فرصة ذات قدر كبير من الأهمية بما تقلل من الاحساس بالقهر أو النبذ و من عوامل الاضطراب والحنق والضغط الشديد الذي قد يعاني منه الشخص.

التبادلية والاجتماع وسيادة النظام

أما التبادلية: كأحد شروط التفاعل المكتمل في صلب التنظيم فإنها تفترض أولاً أن حقوق الأعضاء واحدة ومصانة، فلا يتقدم أحدهم الصفوف ليقول معترضاً: أهي هكذا فعلا؟ مضيفا: نحن نعلم أنها هكذا حسب ما هو

مكتوب بالنظام، ولكن على الأرض أهناك حقوق للعضوية متساوية؟ بمعنى هل يستطيع أي عضو أن يرفع شكوى أو اقتراح أو سؤال كما يريد ضمن التسلسل؟ أم هل يستطيع مساءلة أومقاضاة مسئوله أمام الجهة الأعلى؟ أم هل تراه يستطيع أن يعارض – في إطاره – دون خشية من عقاب ما؟ أم هل يشعر بالرحابة والمساواة والندية الممزوجة بالمحبة حين يتحدث أو يعترض أو ينتقد؟ وكلّها أسئلة مشروعة.

إن هذا ما يجب أن نراه عملياً في مسألة مساواة الحقوق للأعضاء، كشرط أساس لتحقيق التبادلية، فكيف أقتنع أن هناك (تبادلية) تفترض تحقق: المساواة والندية والحرية، وأنا لا أعترف أصلا أو أستهين بحقوق الآخرين؟ لنقول نحن: إن الرد على هذا الجدل يستدعي منا العمل معا على تحصين النظام، كيف ذلك؟ نقول: بأن نقوم بتطبيقه. وفي إطار التبادلية يأتي الحوار والالتزام كقانون محدد لتسليس تدفق مجاري المياه الديمقراطية.

يقول الرسول (صلّى الله عليه وسلم): (لا تكن إمّعة تقول أنا مع الناس، إن أحسنوا أحسنت، وإن أساءوا أسأت، بل وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم) وفي الحديث النبوي على توطين النفس بالإحسان إشارة واضحة لضرورة الحوار والرفض والنقد، فكما يجب تحقيق الانضباط والالتزام والطاعة فإن التبادلية هنا في الحديث الشريف اقتضت أن يمتلك الشخص إرادة الإحسان بألا يكون تابعا جهولا مسيئا، ما ينطبق مع كافة العلاقات والتفاعلات الإنسانية السوية.

يجب أن تتسع المساحة الداخلية للحوار، من خلال الاجتماعات التنظيمية الدورية، و إلا أصبحت صفحات الشابكة (الانترنت) والمقاهي، وربما وسائل الإعلام الأخرى هي مساحة التنفس المستهدفة.

إن دورية عقد الاجتماعات تدخل في صلب العمل التنظيمي، إذ لا يمكن بناء الخطط والمشاريع وتوزيع التكليفات بالعمل، وتقييم ومتابعة مسار العمل، وتقديم التوصيات، وممارسة النقد والنقد الذاتي إلا من خلال

الاجتماع. كما لا يمكن تحقيق الصِّلة الصحيحة بين الأطر المختلفة وبين القيادات إلا عبر الاجتماع الذي يرفع التوصيات ويقدم المقترحات، وفي المقابل (من أعلى إلى أسفل) يتلقى التوجيهات كما يتلقى مفردات وتحليلات الوضع السياسي والتثقيفي لعرضه داخل الاجتماع.

إن الاجتماع التنظيمي الدوري محطة لازمة للحوار لا غنى عنها مطلقا، وتوزيع العمل والمتابعة واتخاذ القرار فيما هو من شأن الإطار (الوحدة التنظيمية) والنقد والتخطيط، ما يعنى أنه كلما اتسعت هذه المساحة كان المردود ايجابيا على العضو، بحيث يشعر بكيانه ودوره وإنسانيته، وأنه يمارس فعليا حقه التنظيمي، وإلا فإن التفلّت واللجوء لوسائل تعبير أخرى يصبح لديه أكثر قبولاً، لاسيما في ظل سيل المعلوماتية الذي يتدفق ليل نهار في أذنيه وأمام بصره، في كل آن ولحظة، ويدعوه للكلام واثبات الذات، والصراخ وأحيانا البكاء والعويل.

سيادة النظام: في طرفة تُذكر أثناء خطاب جماهيري لرئيس نظام قمعي عربي، همس الأول من الجالسين المستمعين في أذن الثاني: أأنت مع سيادة القانون أم مع سيادة الرئيس؟ رد عليه الثاني باسماً: هل بإمكاني اختيار الإثنين معا؟ الأول وقد رمقه حراس المستبد بنظرة حادة تعنى أن أغلق فمك فالزعيم يتكلم، وإلا! فابتعد عن زميله جازعاً، وقال في نفسه: عرفت الجواب.

إن سيادة النظام لا سيادة المسؤول يجب أن تكون الحَكَم، وهذا لا يعني فرط عقد الالتزام مطلقا، وإنما تأتي معادلة الالتزام بمقدار الالتزام بالنظام الداخلي، والصلاحيات المحددة والقيم والأهداف بالجامعة.

وكما (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) فلا طاعة لمسؤول في معصية القانون أو النظام، ولكن الرد بوسائل النظام، أي معالجة خرق القانون بتفعيله، لا خرقه، وهنا تظهر معادلة الالتزام وتحقيق سيادة النظام.

معادلة باتجاهين: إذ لا يمكن تحقيق التبادلية والعضو مطلوب منه دوما

(الانصياع) للأوامر والالتزام بالقرارات والتنفيذ للأعمال والتصفيق للانجازات والإشادة حتى بالإساءات، فهذا في حقيقته ممارسة استبدادية تحت ستار (التزام الأطر الدنيا بأوامر الأطر العليا) ما يجب أن يصح فقط على قاعدة النظام/ القانون أولا والالتزام بالقيم ثانيا والتبادلية في اتجاهين بحيث يُمكّن العضو من الحديث والحوار والنقد والمبادرة ورعاية منجزاته ضمن الجماعة وإبداء الرأي والدفاع عنه.

لا نفترض التزاما حقيقيا أن بخسنا حق العضو في أن يفتح فمه أو في أن يقترح أو في أن يتم شكره والإشادة بما أنجز، وعليه فإن مبدأ الاتجاهين تعني الحقوق والواجبات وتعني صعودا ونزولا في الهرم التنظيمي وتعني مسار متقدم وراجع هي (الاتصالات) الإنسانية المكتملة، وتعنى إرسال واستقبال، ولا تعني مطلقا تكميم الأفواه وفرض حُراس على الكلمات داخل الاطار التنظيمي.

إن التفاعل المكتمل يتحقق في الوحدة (الإطار) التنظيمية في أي منظمة أو تنظيم سياسي أواجتماعي في الانسيابية وفي التبادلية وفي المساحات الواسعة.

الانسيابية والعوائق والتعطيل

وفي الانسيابية نقول أنه من المتوجب:

◊ عدم وضع عوائق للحوار وإبداء الرأي، وإثبات الذات في إطار التنافس لتحقيق المصلحة العامة، وفي ذات الوقت عدم استخدام سيف النظام بشكل قهري، إذ يصبح التهديد ببند العقوبات في كل ما هب ودب عجزاً في المسؤول، وسيفاً على رقبة العضو الذي قد يرى نفسه مجبراً أما على الثورة والرفض، أو الانصياع دون قناعة، أو إحداث الشغب والفوضى والتخريب، وقد يتحول لمعوّق للعمل بوضوح.

◊ عدم تعطيل أدوات النظام وهي الاجتماع والتقرير والمؤتمر واللقاءات، والاتصالات مع القيادة ضمن الأطر، لما ذكرناه في أهمية الاجتماع

الدوري ما ينسحب على الأدوات الأخرى.

وفي الانسيابية تسامح ولين وسهولة، وفي الحديث الشريف: «أَتَدْرُونَ عَلَى مَنْ حُرِّمَتِ النَّارُ؟»، قالوا: الله ورسولُه أعلم، قال: «عَلَى الهَيِّنِ، اللَّيِّنِ، السَّهْلِ، القَرِيبِ».

◊ حُسن استخدام النظام (القانون)، وذلك بتحقيق التوازن بين ضرورة (الالتزام والانضباط) وبين (النقد والنقد الذاتي) وفي إطار معرفة مساحات السرية مقابل العلنية، وفي التقابل الواضح في النظام الداخلي (الدستور) بين واجبات العضو وحقوقه، وبين صلاحيات المسؤول بلا عسف.

إذن ف»التفاعل المكتمل الدائرة» كما أسميناه داخل جسد التنظيم (صلب التنظيم) من ثلاثية: الانسيابية والتبادلية وتوسيع المساحات، يغلق الدائرة أو يحقق مقدارا متوازنا بين مساهمات الأعضاء داخل التنظيم وبين المردود أو النتائج التي تعود بالفائدة والنفع علينا (كمجموعة) وعلى القضية وعلى الشخص ذاته.

يتفاعل الأعضاء في صلب (صلب التنظيم) تفاعلا مكتمل الدائرة في سياق توازن مرغوب، وهو على صعوبته إلا أن الاقتناع به، ثم تنفيذه، يمهد لحياة تنظيمية مستقرة، غير متوترة أو مستفِزّة أو تناحرية.

الصراع وديغول و المعوِّقين و «الهوامش»

يقول الله تعالى في محكم التنزيل (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً) (الأحزاب18-) وفي التفسير للآية الكريمة يقول ابن كثير ما نصه: ((يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين- والعوق هو شدة المنع والصرف- لغيرهم من شهود الحرب (والجهاد بكل أنواعه هنا)، والقائلين لإخوانهم أي أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم {هلم إلينا} أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك {لا يأتون البأس إلا قليلاً. أشحة عليكم} أي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم، وقال

السدي {أشحة عليكم} أي في الغنائم، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت {أي من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال} فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حـداد} أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاماً فصيحاً عالياً، وادعـوا لأنفسهم الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك، قال ابن عباس: {سلقوكم} أي استقبلوكم، وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة أعطونا أعطونا، قد شهدنا معكم، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق، وهم مع ذلك {أشحة على الخير} أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجُبن والكذب وقلة الخير}.

فهم كما قال في أمثالهم الشاعر: أفي السلم أعيار جفاء وغلظة ** وفي الحرب أمثال النساء العوارك؟ (الأعيار: جمع عير وهو الحمار) أي في حال المسالمة كأنهم الحمُر، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض، ولهذا قال تعالى: {أولئك لم يؤمنوا فأحبط اللّه أعمالهم وكان ذلك على اللّه يسيرا} أي سهلاً هيناً عنده.))

ويقول د.محمد المجالي عميد كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية تعليقا على الآية الكريمة عن المعوقين (عجيب أمر القرآن وهو يتحدث بصراحة عن فئة من الناس لا همّ لها إلا إعاقة الخير، بأية وسيلة متاحة، ولو بالكلمة؛ لا يعجبها الخير، وانتشاره، ولا المجتمع النظيف الآمن، ولا حتى الخيرية لها، لأن فكرها مشوّش وبوصلتها تائهة ومعاييرها منقلبة، جمعت الضلال والظلام معاً، فماذا نتوقع من أمثال هؤلاء إلا الوقوف عثرة في طريق الحق؟ والأعجب مما سبق، أن يظن الإنسانُ نفسه أنه على حق، في مبدئه ومنهجه، ويسارع إلى تخطئة الآخرين ونقدهم النقد اللاذع، وهو يعتقد أنه متبع رأياً سديداً).

ونحن نقول إن كان المعوِّقين يفترضون بأنفسهم أحيانا أنهم على حق كما يعتقد د.محمد المجالي، فإن هناك فئة ضالة مُضِلّة فاسدة مُفسِدة،

هي في الأصل ليست من صلب "التنظيم"، تعلم أنها مضلِّلة (بكسر اللام)، وذات أهواء، ولكنها تتمادى غَيًّا وتتمادى في الخطايا وتتمادى فسادا خفية أو علنا، فقط تحقيقا لمصالحها الذاتية أو لمُشغّليها، ولو كان الثمن هو أن يدوسوا الآخرين جميعا أمامهم، إنهم معوّقين (بكسر الواو) وهم انتهازيين وهم في نفس الوقت متسلقين استطاعوا أن يركبوا رأس الهرم الاجتماعي أو السياسي أوالاقتصادي أو التنظيمي وتربعوا على عرش النظام قاصدين هدمه أو استبداله أو إحلال من يشابهونهم مكانهم وهم في المجتمع الأخطر والأكثر صعوبة في ذات الوقت أن تصل لهم وتكشفهم، إنهم "الهوامش" المعوقين للحق، الذين سادوا.

إن التفاعل وفي شكله الآخر (الصراع) قد يبقى مقبولا ما دام في نطاق البيت الواحد ولهدف جامع، ويصبح ذو طابع تخريبي ممجوج عندما يخرج من بوابة المنزل الرحب – هذا إن كان رحباً فعلاً – وهنا يظهر من نسميهم «الهوامش»: وهم الطبقة الطفيلية أوالانتهازية أوالمتسلقة التي لا تتمتع لا بالوعي ولا الحس ولا بالثقافة ولا بالقيم ولا بالتجربة التنظيمية ولا بالفكر والأهداف التنظيمية، لتستغل قربها مجرد قربها– لغفلة من الزمن– مع القيادة، وتحاول أن تفرض شروطها وأفكارها المنحرفة.

أن الهوامش في جسد التنظيم مجموعة من التجار المتربّحين من تجارة السلطة الحاكمة داخل البلد أو التنظيم المستأثِر أو المؤثر، وهي الجماعة التي تماهت نظريا مع أفكار الحركة (أو التنظيم أي كان)، أوفي الحقيقة مع توجهات القيادة -بغض النظر عن صحتها أو فسادها- دون سند من تاريخ أو قيم أو فكر إلا تاريخ وقيم وفكر الوصولية بما تعنيه من ذاتية غالبة، ومن مصلحة شخصية طاغية قد تصل لحد الاغتيال السياسي أو حتى الجسدي للمعارضين أو المعيقين للهامشي لأن يصعد في سلم رغباته.

إن الهوامش (وهم أصلا على هامش الفعل والتجربة والفكرة كما هوامش الصفحة لا متنها) في جسد التنظيم الثوري يتكاثرون كالفطريات، تماما

كما الفراشات على الضوء أوبالأحرى كالذباب على المزابل، إذ يستطيعون إن يعملوا في ظروف قاسية، لأن أهدافهم الانتهازية واضحة المعالم وعجلة مصالحهم تدور، و منطقة استهدافهم هي المسؤول (القائد/ الزعيم)، ومبررها مصلحيّ بحت، وان بثوب وطني هو قطعا زائف.

شكّ الجنرالات حول الرئيس ديغول بأحد الوزراء بأنه يتعامل مع جهة أجنبية، ولكنهم لم يستطيعوا أن يضبطوه متلبساً، أو أن يجدوا عليه دليل إدانة واحدة، وظلت شكوكهم تتزايد من تصرفاته وسلوكه إلى أن جاء اليوم الذي اضطروا فيه لعرض الأمر على الرئيس، فاستدعاه واستغل محرر فرنسا من النازية "شارل ديغول" جاذبيته (كاررزما الشخصية) فأطال انتظار الوزير تم أدخله وبعد فترة صمت مرعبة وهو يدير الظهر له، واجهه مباغتا بالقول: منذ متى وأنت تتعامل مع العدو؟ فقال الوزير الذي أخذته المفاجأة: منذ سنوات.

وهنا قال ديغول -بعد أن اعترف الرجل من هول الصدمة- لكن مخابراتنا لم تستطيع أن تجد عليك دليلاً واحداً؟ ماذا كنت تفعل؟ وكيف كانوا يتصلون بك؟ قال: لم يكونوا يتصلون بي ولا أتصل بهم، وإنما كل ما طُلب مني عندما جُنّدت هو أن أتخير أسوأ الشخصيات لأضعها في قيادة اللجان أو المؤسسات المختلفة.

مثل هؤلاء من «الهوامش» على هامشيتهم - وتموضعهم الحقيقي على هامش صُلب التنظيم- من حيث الفكر أو القيم أو التجربة التنظيمية يملكون براعة التسلق والتزلف والتقرب من المسؤول فلا يضيرهم الإساءة المقصودة لخيار الناس ولا يضيرهم أن يسقط التنظيم ويندحر، كما لا يهمهم أن تتناحر الناس وتشتبك، بل هم يتحمسون لذلك إن لم يكونوا أساسا المحرضين والمحفزين على التدمير.

في الثورة الفلسطينية ظهرت في فترة معينة عبارة (الاستزلام-من زلمة أي رجل) أي الارتباط الفردي بقائد يسبح بحمده دون الله، أو دون النظام، أو

دون الحركة، وظهرت مصطلحات «الانتهازيون والمتسلقون والانبطاحيون» في إطار الخلافات الفكرية أو السياسية – وان كان كثير منها قد تم تعريفه بشكل تعسفي إلا أنه في البعض منها كان صحيحا - وما ندعوه اليوم باسم الهوامش هم الأخطر، فالأوائل من الانتهازيين كان لهم تاريخ في الثورة أو إيمان جزئي بالفكرة، أما الهوامش فلا إيمان ولا عمل إلا ما يحقق رغبة الذات أومصلحة العدو عدا عن افتقادهم الكلي للقيم والأخلاق ناهيك عن فقدان التجربة التنظيمية-الجماهيرية.

إن صلب التنظيم يشتمل على العقل والفؤاد، و يشتمل على اللب والقلب، كما يشتمل على الأطراف فإن كان العقل يتوزع على الجميع بشكل شمولي، فإن القلب بمعنى الرحابة والمحبة وتحقيق التفاعل المكتمل الدائرة مطلوب من الرئيس أو القائد أو المسؤول، دون إهمال لوجود الهوامش والتعامل معهم بقوّة، ولكن بنفس الوقت دون تضخيم لهم على حساب صُلب التنظيم.

حركة فتح والفكر التنظيمي

إن الفكر التنظيمي لحركة فتح ينعقد له اللواء بالتعانق ما بين فكرة التحرير والهياكل التنظيمية ومقومات الأداء حيث يتحقق الرابط الوثيق بين الإيمان بالفكرة والمسارب أو المسارات التي عبرها يتم تمثيل وتكريس وتحقيق الانتماء والالتزام ما يعبر عنه بالهياكل التنظيمية من القاعدة إلى القمة التي تمارس العمل أو القيام بالمهمة أو الأداء.

إن مهمة الكادر وواجبه يحدده النظام الداخلي بوضوح لكل إطار، وبلا عمل لا يوجد تنظيم إذ أن العمل هو مكمل خماسي التعريف (الفكرة، أعضاء، هياكل، نظام، عمل) وكما أوضحنا فأن حركة فتح تنظيم العمل الدائم المرتبط بالفكرة والقضية والناس.

إن آليات العمل ضمن الهيكل هي مُحققة الفكرة وقناة الأداء وسبيل التواصل عبر الاحتياجات والتقارير والمؤشرات.

لذلك فإنه يصح أن نقول أن الفكر التنظيمي يستند للمفاهيم التالية:

1. الإيمان العميق بفلسطين جامع لنا، وبفكرة التحرير، وضرورة النضال بكافة الأشكال ابتداء من الكفاح المسلح وحرب الشعب إلى إبداعات الفلسطينيين بالانتفاضات والكفاح أوالمقاومة الشعبية، وبناء الدولة ومؤسساتها.
2. وكما ينص النظام الداخلي فإن الانتماء والالتزام فيما هو محظور ومرتبط بالوقت والمهمة إلى جانب علنية الأفكار والسياسات والرؤى ثم النقد والنقد الذاتي تشكل ركناً رئيساً في الفكر التنظيمي للحركة.
3. الخطاب الحضاري المستمد من بيئتنا ومحيطنا وكياننا وامتدادنا العروبي الإسلامي: فحركة فتح بكادر تنظيمها المسلم منه أو المسيحي، المؤمن بالله وبقدرته على العطاء هو من صلب هذه الحضارة وهذه الثقافة مهما تعدد عنده الرأي كمكون شخصي إنساني قابل للأخذ والرد وللخطأ والصواب ما ينزع أي مفاهيم ظلامية بقداسة أو مطلقية الرأي

الذي يجب أن ينضبط للفكرة والأطر.

إن حركة فتح فرسان العقل في الحضارة العربية الإسلامية بعطاء دائم وحضاري ومنفتح على كل تجارب الشعوب، وباحترام شديد لكل الإسهامات المسيحية والإسلامية في أتون هذه الحضارة، وكذلك بالنهل من الحضارات الأخرى ضمن الانفتاح والوسطية والاعتدال الذي تمثله حركة الشعب الفلسطيني.

4. إن الإبداع في صلب التنظيم يرفض ورقة النعي أو السوداوية أو البكاء و اللطم، وإن كان الإبداع يرحب بالنقد وفق أرضية الإصلاح والتطوير والتقدم وفي ذلك دوما تكون البداية من عندي (عندك) حيث لا يقبل الفكر التنظيمي الفتحوي مفهوم علاقة الملابس (الشماعة) سواء كانت متمثلة بالقيادة أو بالنظر أحادي الزاوية للسلبيات والإخفاقات.

إن كل إخفاق أو سلبية يجب أن تقابل بعفل إيجابي وكل تراجع أو أزمة يجب أن تكون دافعاً وحافزا للمراجعة والاستفادة لتشكيل دفعة للأمام وليس إلى حافة الهاوية.

إن الإبداع سياق فعل متصل، وأفكار وخطط لا تنضب فإن تكون فتحاويا فأنت صاحب الإلهام للآخرين، ومدرسة الإقدام والشجاعة، ورمز الإنجاز قبل أن تتصدى للآخرين بشجاعة أيضا مشيرا إلى سلبياتهم أو مساوئهم.

5. التواصل التنظيمي: لم تعد الفكرة وحدها والإيمان بها والتعبئة باتجاهها هي عامل الاستقطاب والحفاظ على العضو، ولم تعد النشاطات هي المحفز الوحيد للأداء حيث أن الاتصالات بأشكالها المختلفة في السياق الرأسي والأفقي، والشفوي منها والكتابي، الفردي منها والجماعي والجماهيري كلها تشكل حقيقة التعاون والتنسيق والتسان.

إن دخول العالم في عصر الفضاء والشبكات (الانترنت) ولغة التواصل الاجتماعي أصبح يوجب على كادر الحركة أن يقود هذه الوسائل بما ترسمه الحركة من سياسات ورؤى وخطط، ولكن ذلك على أهمية ما ثبت بالثورات العربية الحديثة.

لا غنى أبداً عن الاجتماع التنظيمي واللقاءات التنظيمية المهرجانات الجماهيرية في آليات متابعة يومية ودورية تجعل من التواصل قنطرة توحيد الأفكار ومكان التنفيس كما طلب البعض، ومساحة تصارع أو تقابل الآراء وحيث يجب أن يكون عامل التوافق هو محركنا في ذلك.

إن الإدارة الحكيمة أو الرشيدة في التنظيم تجعل من التواصل التنظيمي مدخلاً لتحقيق الخطط والبرامج عبر تنظيم الجهود وتوجيهها وقيادتها والمحاسبة عليها.

6. الارتباط مع الناس: إن فتح لم تقبل أن تكون حركة الطليعة أو الصفوة المنقطعة عن الناس أبدا فمزجت بين طليعية كوادرها، وجماهيرية تطلعاتها وعلاقاتها مع الناس بالمحبة والاعتماد والتعلم من الجماهير وتحسس شؤونها وحاجاتها ودوام الاقتراب والتواصل معها، فحركتنا كالسمكة، تعيش الجماهير متى ما انقطعت عن العوم في هذا البحر تلاشت وانتهت.

إن فتح الجماهير محبة غامرة، وفعل خدمة لا تنضب لمصلحة الناس (مادة الثورة) معينها فلا يجوز في الحركة أن نترفع عن الجماهير وندعي العلم أو القداسة أو المعرفة أو النزاهة أو الاستعلاء كما هو شأن تنظيمات أخرى تضع بينها والجماهير حاجزا نفسيا أو دينيا بادعاء عصمتها أو فوقيتها ما هو في حقيقته سقوط للفكرة والقائد التنظيمي معا.

إن الجماهير هي مقياس النجاح أو الفشل، ومهما كانت الأفكار عظيمة فإنها تظل حبيسة العقل أوالادارج أو الأوراق أو الشابكة إن لم تعتنقها الجماهير وتجعل منه كائنا حيا يرزق.

7. الإيجابية والمؤسسية: إن حركة فتح لم تكن يوما من أولئك الذين يردحون أو يدعون المظلومية التاريخية أو البكائين على أمجاد عابرة، أومن مستدعيي التاريخ لينقذهم لأن فكر العمل والانجاز يعيش بالعقلية الإيجابية، والعقلية الإيجابية تظهر بالمنعطفات الصعبة في المآسي في

الضائقة والأزمات فتتغلب عليها بآليات حل الأزمات وبالاستفادة من التجارب وبدفع العربة إلى الأمام.

إن قاعدة البكاء واللطم والسلبية ليست من شيم الرجال أو النساء في حركتنا، لأن مشعل الانتصار يسير في فضاء عقلية الإنجاز والتطور والتدفق الحر إلى الأمام.

إن الايجابية والإبداع والالتزام والارتباط مع الناس والتواصل التنظيمي مع فكر التحرر كلها من مقومات المؤسسة التي تشكل فيها الإدارة الحكيمة للمؤسسة فرضا لازما وليس سنة ومن هنا القائد الحقيقي هو الذي يشيع المناخ الايجابي الحافز تحت إدارته أو قيادته وهو القادر على دفع للآخرين للتحرق شوقا لتنفيذ واجباته، وحيث أن البداية دوما من عندي (عندك) عند أي عضو أو كادر فإن المسؤولية تكبر بكبر الموقع حيث لا يجوز أن نلقي اللوم على الأعضاء أو الكوادر في ظل تقاعس أو خذلان أو ضعف القائد.

إن عقلية المؤسسة وإيجابية التفكير والمناخ هما من أركان البعث التنظيمي، والنهضوية في حركة فتح حيث لا يصح أبدا الاستناد إلى حوائط غير ثابتة وإنما إلى الفريق الذي يسند بعضه بعضا من خلال توزيع الأدوار والمهمات والواجبات، وصون الحقوق.

إن حركة فتح هي حركة الأسس التنظيمية والإدارية والسياسية الثلاثة حيث العمل مركز وحيث العمل عمود الخيمة وسارية السفينة وهو العمل المرتبط بالإيمان بالله والفكرة والقدرة على تحقيق الأهداف وليكون التناغم والتناسق العمود الثالث أو الركن الثالث لتنظيم لن يُهزم، مقدام، مطور قادر على التفاعل والحياة.

النضال الداخلي وشجاعة الصراع

يعاني التنظيم السياسي أو المؤسسة من صراع دائم يكون في المؤسسات أو الجماعات ذات "الاتصالات الفاعلة" صراعا نحو بناء أو تكديس أو إبراز الإنجازات وبالتنافس لخدمة الناس وأهداف التنظيم.

يكون الصراع في التنظيم المتراجع والمخلخل والمنتكس محتدماً حول الأحقية والواجب، والمفترض والواقع...الخ، وما يشوب ذلك من تكالب عنيف لامتلاك عناصر تأثير وقوة وامتيازات أكبر قد تخرج عن حدودها.

يهمل كثير من الأشخاص في داخل هذا الجسم التنظيمي (أو في أي جماعة) أنه هو نفسه جزء من الصراع بأفكاره وأقواله وأعماله، فيرى بالآخر فقط صلب المشكلة أو في الإطار، أو في دلالة أو فائدة الأفعال، وعليه يصبح الصراع موجة اجتياحات للمتناقضات في داخل التنظيم، كما هو في ذات الإنسان منبع الصراع الحقيقي ومجال النصر والفوز فيها.

الصراع هو تدافع ذاتي إنساني سواء داخل النفس، أو مع المحيط، وأشد أنواع صراعاتنا مع أنفسنا، في ذاتنا مع أفكارنا وتوقعاتنا بناء على افتراضاتنا.

لمن الفضل، والرضا

عندما أنجز عملاً-أي عمل- وتظهر نتائجه الإيجابية الواضحة، ما يحقق لي الرضا أو السعادة أوالامتنان، وأكون فرحا جدا فأتوقع من الآخرين أن يهنئوني أو يكافئوني أو يشكروني، أو ينسبوا الفضل لي على الأقل لا أن يهملوني أو ينسبوه لهم هم، وعندما أتحدث عن موضوع ما وليكن #غضبة_القدس أو (هبة القدس) وصيرورتها منذ استشهاد محمد أبوخضير (2/ 7/ 2014) ثم القائد زياد أبوعين كتواصل مقاومة أفترض أن ما أقوله الحقيقة، فكيف إن جاءني من يذكر أن تصدي لجان المقاومة، وصمود قرية قُصرة بنابلس، وصمود الخليل منذ أعوام وخاصة منذ بداية العام 2014 يمثل تراكم مع

صمود المقدسيين ليصنع عوامل الغضبة أو الانتفاضة؟

هل أترك ما يُذكر من معلومة أو حقيقة وأفترض صحة ما أقول فقط؟ دون تغيير أو تعديل أو نقاش أو تقبُل، أو جدال؟

كلّ منا قد يفترض أن الحقيقة أو الصحيح إلى جانبه، لذا يفترض أن يتفاعل الآخرون معه وفق قاعدة فهمه هو، هكذا يظن أو يأمل.

قد يلقى القبول نعم، ولكن قد لا يجد الشخص المؤمن بفكرته {المطلقة} من الكثيرين إلا حالة من حالات الصدّ والرفض أو الدس... وهو حقيقة الصراع إذ كيف نظن بأنفسنا الحقيقة المكتملة كأنها القمر المنير ولا يكون هناك معارض لها؟ أو لا تكون حقيقة أصلاً...وكيف نظن أن لا أعداء للحقيقة أيضا في الاتجاه الآخر.

أصل الصراع قوتان أو أكثر

أصل الصراع قوتان (أو أكثر) متقابلتان -وكما قلنا- في الذات في النفس، وبين الناس، وفي المجتمعات، وفي الجماعة وفي التنظيم السياسي أو الاجتماعي، وعلى رأسه، السياسي وبين الكائنات وفي الطبيعة عامة.

لذا كان "الجهاد" بمعانيه العديدة خوضا للصراع، بصبر وشجاعة ومحبة، وكشفاً لمجاهل الذات (ألهمها فجورها وتقواها).

إن الظن الذي يصل أحيانا في كثير منا لحد اليقين بأن "كل" ما نقوله أو نفعله حقيقة أو صواب، قد يكون نابعا من ثقة ومن حرص، ربما، لكنه قد يكون كذلك في أجزاء منه، ومن هنا قد لا يراه الآخرون كلّه أو جزء منه كما نراه نحن، أو قد لا يرونه كما نراه لأنه صادر مني، وفي ذلك استمرارية "لأوالية" الصراع حيث قوتان أو أكثر متقابلتان تتبارزان، تتنافسان.

«تحاث» الصبر والتجاور

"تحاث" الصبر والفهم وحسن التفاعل وشجاعة التفهّم والتقبّل والتحاور بل والتجاور للأفكار والتناصح والإقناع والعرض والكظم والحوار والاقتراب تصبح مطلوبة في أوالية الصراع وتحاثّ القيم (التحاث أكثر من الحث حيث كل قيمة إيجابية تحث على بناء قيمة أخرى إيجابية، فقيمة الصدق قد تطلق قيما كثيرة مثل قيمة الموضوعية وقيمة الموضوعية تستدعي قيمة حسن الإنصات والحوار والتقبل والشجاعة...).

عندما تحدثت في أحد الندوات عن أهمية الإدارة للموارد والأفكار من 1- أموال و2- ناس، و3- وقت، و4- أفكار، و5- أعمال داخل التنظيم السياسي (وفي أي جماعة) ما يجب حُسن استخدامه ضمن آليات علمية إدارية، قام الأخ أحمد وتصدى بقوة معتبرا أن "الوقت" ليس موردا أبدا، فرد عليه خالد قائلا: وهل الموارد دائمة أم أنها تنفد؟ قال أحمد المعترض: بل هي تنفد، فقال خالد: إذن فالوقت مورد، فما أسرع نفاده، أكثر من قوة الأشخاص والمال! فكل ما تمتلك ينفد، وقد يتناقص فينفد أو يزيد وعليه نستطيع أن نعرفه كمورد.

وثار جدل كان فيها للصبر والاستماع والاحترام والتقبل في محاولة جميلة من الأخين ليصلا معا -واكرر معا- لمفهوم يتشاركانه ومع الحضور ما أدى بالنهاية لنتيجة عبرت عن ذاتها بشجاعة التقبل والتفهم والتغيير.

لماذا كل ذلك؟ إنه قاعدة "التحاث" التي تبرز فينا لتحقيق راحة ذاتية ورضا واستقرار، ولتثبيت الإيمان الذاتي وبالفكرة، وجدوى العمل من جهة، ومن جهة أخرى تحث على "التفهم" بمعنى البحث في المشتركات والتقاطعات والجوامع والقواسم ما يعني "تنازل" عن قسم مما نؤمن به، أو تقبله بعد فهمه ربما بشكل جديد، أو بمشاركته.

المصالح تلوث العذوبة

لو افترضنا أن الأخ أحمد أصر على رفض موقف المحاضر في الندوة وهو أنا وبشراسة، أو أصر على رفض موقف خالد المخالف لرأيه، جملة وتفصيلا، فماذا يمكن أن نقول في هذا الوضع؟ إنه وضع صعب جدا لا شك.

إن افترضنا أننا كمجموع (داخل اجتماع لمؤسسة أو تنظيم سياسي، أو في ندوة..) نتخذ موقفا موحدا وصحيحا؟ نحن نراه هكذا أي موحدا وصحيحاً، قد يكون هو الموقف الصائب، ولكن قد يصيب أحمد المختلف معنا بالرأي (داخل الاجتماع أو الندوة...) في جزء مما قاله أيضا وقد يكون مخطيء، ولكن إن أصر أحمد (كنموذج) أنه لا يخطيء أبداً –مثلا- بالقول، أو بالممارسة فقد يقفز سؤالنا عن العقل المغلق أو الموقف المسبق أوالمصلحة هنا بقوة ليجعل من تساؤلنا عن السبب وراء ذلك منطقيا.

نعم هناك مصالح لديّ أنا أو لدى الآخرين قد تطغى كثيرا على عفوية أوعذوبة أو مصداقية أو دقة الفكرة أو الموقف أو الفعل، ولكننا لا نتمكن أبداً من عزلها فهي من العوامل الكثيرة المتحكمة بالضرورة في نشاط العقل واتخاذ القرارات وبتحديد المواقف من الآراء والأفعال والنظر إلى الأشخاص.

عود على بدء فإن الحوار الذاتي عملية متواصلة لا تنتهي، يداعب فيها الضمير الوعي بالدين والواقع والقوانين والمواقف، حيث أخوض مع ذاتي يوميا مثل هذا الحوار الضروري والجاد، والذي قد يصل في مداه للتفكير في "جدوى" الأشياء أو الانتماءات أو المواقف بل قد يصل "التفكير الحدي الأقصى" للتفكير في الايمانيات والقطعيات.

«تحاث» التنقيب وتطوير فهم الصراع

وفي ذات آليات التفكير، والبحث والتشكك لا بأس أن يكون ذلك، ولكن يجب حثّ الذات على البحث والتنقيب والدرس والتأمل وحسن النظر في آلاء الله وفي الآخرين، فلربما نجد حتى ب"الأشرار" منهم فيهم بصيص

أمل أو سطعات نور، أو نلتمس لهم الأعذار لارتباطات ومصالح وتحالفات وتقاطعات صحيحة أوغير صحيحة، ولكنها تصب في آلية فهمنا نحن لذواتنا، وإحسان فهمنا للآخرين ومحركهم الذاتي.

ألم يكن من الأجدر فينا كلنا وبالأخوين أحمد وخالد المختلفين بالرأي في مثالنا أن يوطّنا النفس دوما على آليات تحاث التنقيب، وعلى صعوبة توطين النفس على التفكر والتقبل، بأن تحيل الأمر لذاتك أولا، وتبدأ من هناك.

لدينا واجب ذاتي بحثّ الذات على تطوير فهمنا لذاتنا وللصراع=الجهاد=النضال وضرورته وكيفية استثماره إيجابا في رسم شكل الذات القادمة، أي كيف أريد أن أكون.

(المساحة) المشتركة فيزيائياً

نعم إن للسنوات وعمليات الدرس والنظر والتبيّن والتأمل والتفكر أثر كبير على التثبت واليقين، ونعم لها أثر كبير على تقبل الآخر (وربما بأشكال سلبية مثل تجنب أو إدارة الظهر أو اختيار مساحة بعيدة..) بعجره وبجره، فماذا يمكن أن نفعل معه ما دمنا في نفس المنطقة أو المحيط أو المساحة المشتركة أو الإطار (نفس البيت، المدرسة، الشركة، المؤسسة، التنظيم، المجتمع..)

لا يستطيع الطالب في جامعته من أن ينفصل عن مساحته ومحيطه الجامعي المنخرط فيه، كما قد يكون مهووسا بمحيطه القروي الفئوي، أو بانتمائه الحزبي الضيق، وتصبح هذه المساحات بدلا من أن تكون عامل نضال وجهاد مع الأشقاء عامل «تغاضب» داخل الشخصية السلبية التي تستل من كل الفضاءات هذه ما يعينها على تخطي الآخرين لا الاقتراب منهم.

وفي هذا المعطى قد نبتئس وننقلب ونتراجع ونترك، نترك المساحة المشتركة فيزيائيا (قد تظل المساحة المشتركة مع الآخرين عقليا تحكمنا) ومثل هذا الترك والتخلي هو فعل المتطهرين المثاليين، وقد ننساق وننجر

وننتهز(من الانتهازية السياسية) ونتساوق ونهتبل الفرص مع الأنذال-من نراهم كذلك- ولكن في المقابل الإيجابي قد نتفهم ونعي ونخوض الصراع ونجاهد ونتعب ونرتقى بذواتنا، ونحن نرى الآخرين بمصالحهم وانتهازيتهم يتراكبون ويذوون، وليكن.

«الحرث» و«التحاث» و«الجهاد الكبير»

يجب ألا ينصرف تفكيرنا وفعلنا أبدا عن "التحاث" وعن "الحرث" في حقل الذات أولا، كما يقول علي شريعتي، بل علينا أن نجاهد به "جهادا كبيراً" (في الآية الكريمة الجهاد الكبير هو الجهاد بالحق والقرآن والكلمة) وفي هذا فإن تحقيق النصر يتمثل بمدى تحقيق انعكاس الذات على الآخرين أو في الآخرين، انعكاس تجربة الذات الايجابية بنقلها للآخرين، فانتصار الذات إن استطعنا نقله قد يكون مدويا في نفس الآخرين شاءوا أم أبوا، أحسوه واضحا أم لم يدركوه.

النضال الخارجي

«الجهاد الداخلي» والنضال في الصراع المقصود هو: في ذاتي، أنا حيث حقل الحرث وفيّ أنا حيث مكان التفكّر، وأنا من يمثل مساحة التغيير، في كليّة نفسي ومجامع فكري، وما ينتج عنه عديد التصرفات والسلوكيات.

في المعطى المثمر والايجابي والمنير في نفسي وذاتي إن لم يظهر أثره في نضالي وصراعي وجهادي وكفاحي الإيجابي النتيجة، أي في كفاحي "الداخلي" أن لم يصبح خارجيا مضيئا في داخل سواي، أي بشكل "نضال خارجي" وهو النضال الذي أبذله لينعكس بعملية انتقال أقوم بها وأسقطها وأنقلها في ذات الآخرين أي خارج ذاتي، فقد يظل هذا الجهاد "الذاتي" الهام الذي أقوم به ذو تأثر فردي عليّ أنا فقط، وقد يصبح منكفئا ويقود للمثالية.

أنا أريد أن أصفع الروح الغرورة المتكبرة الانتهازية في ذاتي قبل الجميع،

وفي الآخرين لاحقا، وأنقل نضالي الداخلي بخارجيته كتجربة مشمسة للآخر في ذاته وداخل الجماعة، وعلى صعوبة ذلك مع عديد الشخصيات إلا أن نجاحي هنا إن استطعت نجاح شجاع ومضاعف ومأجور.

النقد والتوبة وقوى الرفض، وانحراف الرسول!

عندما تظهر ملامح النقد في التنظيم السياسي فليكن لديك قناعة أن هناك قوى رفض تتشكل. وليس الخوف من النقد أو الرفض بحد ذاته، وإنما يأتي الخوف وربما الخطر من القناة أو الأسلوب، كما يأتي من الاستغلال بمعنى أن تتقدم طبائع الأشخاص وهواهم الشخصي على حقيقة الإصلاح أو التطوير أو التغيير المفترض أنه هدف النقد.

في حركة فتح يظهر النقد ضمن مدارس عدة لا تتوقف عند تبيان المثالب ولا يحدها حد الى درجة الشطط أحيانا في التعرض داخل الأطر وفي خارجها لما تراه خطأ، وإن كنا مع مدرسة النقد الصارخ داخل التنظيم في الأعم والأغلب فإن نقد الظواهر أو الحالات الخارجة يعد مطلبًاهامًا.

أنا المنقود أولا

من حيث تربى الكادر في حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح على ضرورة أن يمارس نقد ذاته (وهي بذات مهمة المؤمن في تنقية نفسه في علاقته مع الله والناس) فإنه بذلك يتحصل على قوة نقد الآخر بالمعنى الذي يعطيه الحق أن يشير الى تصرفات أو أفعال أو ممارسات أو أقوال هذا أو ذاك في إطاره (خليته، شعبته، لجنته، اجتماعه...) دون أن يربط ذلك بالغضب أو التحامل أو الإقصاء للشخص لأن الهدف هو رفض العمل المدان، ولا يصل الأمر لرفض صاحبه، وإخراجه من التنظيم أو الجماعة إلا بشروط قانونية دستورية مرتبطة بقانون العقوبات في النظام.

اذن نحن نتكلم عن السلبيات وضرورة مواجهتها ونقدها («بيده أو لسانه أو قلبه»... أنظر وتأمل في عظمة الفكرة هنا حيث التدرج أو ضرورة تمييز الوسيلة، أو اختيار الزمن أو الأنسب في كلام الرسول عليه السلام)، فإن لم أكن قادرًا على تلمسها-أي السلبيات- في ذاتي فأنقد نفسي أولا فكيف لي أن أشير فقط للآخر وسوء ممارساته! ومن هنا جاءت (النقد والنقد الذاتي)

كبند أساسي في الاجتماع التنظيمي في الإطار الثوري والسياسي والتنظيمي لأي جماعة.

الدرب المُنار

أن أهمية النقد كما قلنا في ظل افتراض صيانة الناقد عن الهوى والأهداف الشخصية وعن الشتم والتعريض تكمن بأن مثل هذا النقد ينير دربا لم يكن مضاء لدى المنقود، وهو ما يجب أن يراه هكذا لأنه إن رآه طعنا وتحزبا ضده لن يأتِ النقد ثماره أبدًا، ومن هنا تكاملية علاقة (النقد والنقد الذاتي)، فمن يفترض أنه كامل مكمل وأنه يحق له ما لا يحق لغيره فهو ممن يضربون بالقرار والنظام/ القانون بعرض الحائط لمجرد امتلاكه القوة أو السطوة أو المركز.

نعم نقبل عقلية النقد في حركة فتح ما دامت ترتسم قسم نحو قاعدة البناء من خلال الكشف والإنارة لطرق لم تطرق، والكشف عن مثالب لم ينتبه لها الشخص المنقود أو (الإطار القيادي) محل النقد، ونعم نقبل النقد ما كان الناقد نفسه يتحرك في مساحة مفتوحة يقبل هو ذاته من خلالها أن يكون عرضة للنقد، فهو ليس منزها أبدا، وعليه فإن التحلي بخاصية الانفتاح يعنى احتمالية الخطأ كليا او جزئيا قائمة.

ونعم نقبل عقلية النقد أيضا ما ارتبطت بشخصية ايجابية وليست سلبية، بشخصية عاملة فاعلة، وليست خاملة لا تفعل سوى احباط الآخرين أو شتمهم تحت مسمى النقد، ونعم فالنقد من الشخصية المنفتحة والايجابية والمبادِرة يصبح مقبولا وقابلا للأخذ به على عكس تلك الشخصيات التي يصل فيها اليأس والنكد والسوداوية أو القناعة بكمال أو قداسة فكرتها حدا لا تتورع به عن فعل الموبقات من طعن ولعن وشتم ما قد يصل لحد القتل.

من شرائط الرفض

إن قوى الرفض في التنظيم السياسي هي قوى حية متحركة، وتعرف كيف وأين ومتى تتحرك، وهي عامل دافع للتقدم متى ما استطاعت أن تعبر عن ذاتها بطريقة صحيحة، فلا تنحرف ضد أشخاص بعينهم أحسنوا أم أساءوا، ولا تتعاون مع الغريب على الإطار، ولا تتثبت برأيها حتى أن بدا لها صواب الآخر، ولا تتكتل نحو فكرة مغلقة بل تكون هي حالة متحركة وليست جماعة أو تكتلا داخل التنظيم أبدا، حالة متحركة على مساحة تضيق أو تتسع ارتباطا بالاستجابات من الطرف الآخر، ومن هنا يكون الارتباط بالحالة حول الموقف أو الفكرة أو الفعل وليس حول الشخص أو الاشخاص أو الإقليم أو المذهب.

انحراف «الرسول»

نأسف أن نرى في تنظيمات أخرى، أن النقد يعني الشتم واللطم والقباحة والتبخيس والتعريض والاتهام دون وجه حق والأخذ بالإشاعة والظن ونفخ الأحقاد وإشاعة أجواء الفتنة والاحتراب الداخلي، وأن النقد من الآخر لمثل هؤلاء المخرصين يصل لديهم ولدى أتباعهم لمستوى الخيانة أو بمستوى الكفر.

وقد يصل المدى في مثل هذه المنظمات إلى حد القتل أيضا كما هو الحال في التنظيمات الفكرانية (الأيديولوجية) المتطرفة.

ولا نرى خيرا في تنظيم سياسي يحاول أن يجعل من ذاته رسولا جديدا للحق في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكأننا نعود ثانية لعصور الجهالة والاستغباء، ويبعث فينا من يظنون أنهم دونا عن البشر منزهون مقدسون يلقون بألفاظهم الثقيلة السمجة في آذاننا شيبا وشبابا وأطفالا ونساء في عرض مسرحي إن دل على شيء فإنما يدل على فساد الأرضية والتربة والتنشئة، وهي تلك التربة المناقضة لمفهوم قبول الآخر ولمفهوم النقد والنقد الذاتي أو بالمصطلح الإسلامي والقول الشريف مناقضة للعلاقة المباشرة مع الله حيث

(التائب من الذنب كمن لا ذنب له)، والله جل جلاله الذي هو (أقرب إليه من حبل الوريد) (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) (الشورى 25)، وليس التوبة بوساطة العبيد أبدا.

إن من ينصب نفسه إلهًا أو نصف إله أو رسولا -حاشى لله ورسوله-، هو ذاته من ينصب نفسه مستبدا مالكا للأمر دون جماعته، وهو -أو أشباهه- من يوزع الاتهامات على الناس بالاتجاهات الستة، وهو من يغفر لهم أو يضعهم في جهنم الأرضية أو السماوية، وهو من يقلدهم مفاتيح الخلود؟! وهو ذاته من ينتقص من قيمة القرآن الكريم والصلة الإيمانية المباشرة مع الله في علاقة (القرب/ الوريد/ التوبة)، وهو ذاته الذي يرفض أن يمارس مع نفسه ذات العلاقة هذه، فهو ومريدوه المحصنون من الذنوب الذي يقررون ذنوب الآخرين ولا يرون أنفسهم محل ذنب مطلقًا، وهم بالتعبيرات التنظيمية من لا يمارسون النقد لذاتهم، بل ويمنعون زوجاتهم أو أولادهم، أو ممن هم منتمين لفصيلهم أن يكون لهم أوعليهم أي مساحة نقد.

إن أمثال هؤلاء في الغلو الديني، وأمثالهم في الغلو السياسي يحتاجون لقوى رفض داخلهم تنتقدهم وتقوّمهم وترسم لهم منارة وطرقا جديدة، فلا يتوهون فيضِلون غيرهم بادعاء هداهم وعصيانهم عن النقد.

المصالحة التنظيمية والرجم بالحجارة

دار لغط كثير حول مصطلح (المصالحة) أو المصالحات الداخلية في التنظيم السياسي عامة، وفي حركة التحرير الوطني الفلسطيني- (فتح) تحديدا ضمن مداولات أعضاء المجلس الثوري لحركة فتح، تمهيدا للجلسة القادمة للمجلس، وحسب ما علمت أن الفكرة وإن تم تداولها بصيغ متعددة يتم طرحها في دوائر مختلفة بالحركة سواء في قطاع غزة أوالضفة أو أقاليم الخارج، وما ذالك إلا علامة فارقة في مسيرة حركة فتح التي تلطم السكون بحجارة الصخب فتثير في المياه الراكدة هدير الحوار.

تميزت حركة فتح وما زالت بخوض الصراعات والنقاشات والحوارات، وهي ان تخلت عن ذالك فلن تقوم لها قائمة، ففكرة الفتح ثورة وتحرر وعطاء، وانتماء وطني خالص، وكل هذا لا يقبل السكون أو السبات أو الأنين، وإنما تسعى للمبادرة والجهد والعمل بفكر لا يهدأ لا ينام، يستثير المستقر ويبعث في الغافين حلم الحقيقة.

المصالحة في داخل أطر فتح فكرة ليست ضيّقة المفهوم أبدا، بل هي فكرة واسعة المعنى والدلالات، فإن كان التصالح هو في الأصل بين الإنسان وذاته (توازن)، وبين الإنسان وربه، وبين الإنسان ومجتمعه وتنظيمه، أو بين التنظيمات ذاتها، أومع النقائض... فإنها في داخل التنظيم السياسي وفي حركة فتح إضافة لما سبق تطل علينا مبنية على أسس خمسة.

ان المصالحة ان كان لنا أن نحدد أسسها تفترض بنا فهم المعنى بصيغته السياسية، فالمصالحة قد تعني (الاتجاه في تسيير التناقضات نحو إعمال منهجية مسالمة بدل منهجية المواجهة العنيفة)، أو هي (السعي المشترك نحو إلغاء عوائق الماضي، وتصحيح ما ترتب عن الماضي من غبن وأخطاء) والتعريف هذا للناشط السياسي المغربي المصطفى صوليح.

والمصالحة أيضا هي: آلية استخدام الحوار في حل النزاع نقيضا للقوة

كما يقول الكاتب البحريني منصور الجمري، ويقول الشاعر في مفهوم الصلح والصلاح والتصالح ما يعني العمل ضد الفساد: فكيف بإطراقي إذا ما شتمتني؟ وما بعد شتم الوالدين صُلّوح.

وفي المصالحة السياسية استناد لقيم التسامح والحوار والوصول لصيغة تفاهم، وبرامج وآليات محددة، في ظل أن الخلاف شيء طبيعي، على ألا يتحول لأزمة كما يقول الكاتب السوري محمد العمري.

أن المصالحة مع النفس كما يقول الكاتب السعودي د. عبد الرحمن شلاش تقوم على 3 أركان هي (القناعة والحب والرضا)، وهل نقول إن المصالحة هي تقريب لوجهات النظر أم تضييق للفجوات؟

والحديث في المصالحة كثير سواء تلك المصالحة الوطنية أوالمجتمعية أو الاقليمية او الداخلية أو مع الذات أو مع المحيط، ومن المهم لنا الإطلال على المفهوم وأن كنا هنا سنتعرض له بصيغة المصالحة التنظيمية الداخلية في أي تنظيم أو حزب سياسي، وفي حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح.

الصفح والعفو في حضارتنا

حفِل التاريخ عامة بالحروب والخلافات والكوارث، وفي ظل علاقات الاستبداد والانتقام والهوى والمصالح كان الكثيرون من ذوي القلوب الرحبة والعقول النيرة والصدور المنشرحة يتجاوزون عن الإساءة (ما يعتقدونها كذلك)، وإن لم يكن لمفهوم النقد قديما بلورة في إطار ديمقراطي إلا أن بذور الفكرة أي التصالح والعفو والحوار وقبول النقد (نقيضًا لحجارة الصخب السلبي) كانت حاضرة دوما في الحضارات ومنها في حضارتنا العربية الاسلامية.

في العهد المدني لقي الرسول صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة (وهم يهود عرب لا علاقة لهم بقبيلة بني اسرائيل العربية اليمنية المنقرضة) أنواعًا من الخيانة فأنزل الله عليه قوله: وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا

مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [المائدة: 13]، فصبر الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وعفا وصفح.

وفي تأديب الله جل وعلى لرسوله الكريم أنزل الله عليه في المرحلة المكيّة (فاصفح الصفح الجميل، ان ربك هو الخلاق العليم (الحجر 85-86) ثم أنزل عليه قوله (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)(الزخرف (89)، فكان يقابل أذى أهل الشرك بالصفح الجميل، وهو الصفح الذي لا يكون مقرونا بغضب أوكِبر أو تذمر من المواقف المؤلمة، وكان كما أدبه الله تعالى ثم كان يقابل أذاهم بالصفح الجميل ويعرض قائلا: سلام.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: (أحبُّ الأمور إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة)

التصالح في التنظيم السياسي

إن كان لنا من تصالح أو مصالحة ومصافحة في التنظيم السياسي، أو في حركة فتح مجال نموذجنا، فيجب أن تكون مصالحة مناهضة لفعل الرجم بالحجارة، مصالحة بين فكر قيادة الحركة في كل المواقع من اللجنة المركزية حتى الإقليم والخلية، وبين النظام الداخلي (القانون)، فالافتراق عن النظام أصبح واسعا، والبُعد عن حُسن تطبيقه في ضوء عمليات الاستقواء والتهميش والتبرم من المخالف والاستبعاد أصبح منهجا لدى مجموعة محددة ولكنها مؤثرة.

أولا: لنتصالح مع الذات وقيمنا

لذا فان الخطوة الأولى لنتصالح مع أنفسنا هي أن نفتش في داخلنا عن قيمة الإيمان وقيمة الالتزام، ومعنى (القيم) التي تحكمنا بعيدا عن شغب المصالح وعفرة الهوى، فان لم تستطع القيادة (في أي مستوى إداري-تنظيمي)

أن تتصالح مع ذاتها ومع القيم الناظمة، فالعداء ظاهر وبيّن، والتوازن مختل، ومنطق القبيلة هو الذي سيسود.

ثانيا: لنصلح ما بيننا والقانون

ولنصعد الدرجة الثانية حيث وجب تحقيق المصالحة بيننا وبين النظام (الدستور أو القانون أو النظام الداخلي)الأولى تطبيقا والأجدر تحقيقا متقاطعا مع قانون المحبة الذي يميز حركة فتح عمن سواها.

ثالثا: لنتصالح مع الأطر بحُسن الاتصالات

يتلو الخطوة الأولى في الدرجة الثالثة صعودا في سلم المصالحة علينا أن نتصالح ما بين الأطر. والتصالح ما بين الأطر (أفقيا وعموديا) هو بتفعيل معنى (الاتصالات) وتحقيق التواصل التنظيمي، هذا التواصل الذي وجب أن يتم وفق النظام الداخلي (الدستور أو القانون)، وضمن قاعدة بناء المحبة والثقة والانتماء للحركة، وليس وفق قاعدة التحشيد الذاتي أو الانتخابي المصلحي ما يعني الاستخدام للأعضاء في المعارك السياسية أو التنظيمية الداخلية.

إن تفعيل الاتصالات هي مصالحة بين الأطر (وبالطبع بين الكوادر والأعضاء داخل هذه الأطر من الخلية فالشعبة فصاعدا)، فكما أن العلاقة تبنى على الالتزام فإننا ملزمون بالحوار لتصبح كفتا ميزان الديمقراطية داخل الأطر هما حوار والتزام، ولتصبح قيم العطاء مقترنة بتعميق المحبة والثقة والانتماء، وليصبح فكر الحوار يعني أن نفكر معا، وليس أشتاتا (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون-الحشر 14) وليقترن بثلاثية (التقبّل والتفهّم والتجاور) ولنقل الاعتراف والتقبل ثم التفهم والتجاور.

في المتعاطفين والأصدقاء

إن واجب حَسن الاتصال وعدم التهميش في التنظيم السياسي لا يطال فقط الأعضاء في العلاقات البينية، وإنما يطال الدائرتين الأوسع أو الفئتين الهامتين اللتين لا غنى عنهما أي فئة الأنصار (المتعاطفين، والمؤيدين، والمساندين دون انخراطهم في الهيكل التنظيمي...)، والأصدقاء ممن لا يؤيدوننا في كل مواقفنا بالضرورة، ولكنهم صادقين وناصحين ووطنيين وديمقراطيين، أو هم من فلسطينيي الهوى والنضال من الدول الأخرى.

وغني عن القول هنا في السياق أن العلاقة مع عموم الشعب بكل فئاته وشرائحه هو واجب من واجبات التنظيم السياسي بغض النظر عن موقف أو مواقف هذه الفئات من التنظيم السياسي لأن مهمة كادر التنظيم التعلم من الجماهير والاعتماد عليها وتعبئتها ومهمته أيضا خدمتها والسعي حثيثا لجذبها واستقطابها لا لتنفيرها واستبعادها لمجرد الاختلاف.

رابعا: إعادة النظر بالمهمشين والمستبعدين

إن الركن الرابع في التصالح الداخلي في حركة فتح وأي تنظيم سياسي إجمالا يعني أيضا إعادة النظر بالمهمشين أو المستبعدين أو الحردانين، أو المستكفين عن العمل أوعن المشاركة لأي سبب، أو العازفين عن المشاركة (في العازفين من المهم تفهم أسباب العزوف) أو غيرهم... فلربما حين نجيل النظر ونعيد تركيب زوايا الصورة نكتشف قطعة لم تكن تحت أنظارنا سابقا تعدل النظر، وتعيد التركيب بشكل ينمي فكرة التجمع والتقارب لا الاستبعاد والتباعد.

خامسا: تقييم القرارات والمناخ

أما خامسًا فمما لا شك فيه أن أي مسؤول في موقعه (أو أي قائد في موقعه، رغم أن علمية معنى «القائد» لا تنطبق بالضرورة على كل مسؤول

أومدير أو عضو في موقع متقدم...) يتخذ سلسلة من القرارات تمس جوهر التنظيم، كما تمس الأعضاء.

وقد تكون طبيعة القرارات نظامية أو قانونية وقد لا تكون كذالك، بل قد تكون قانونية ونظامية نعم، ولكنها جاءت في ظرف أو مناخ قاسي يستدعي التطبيق الحرفي للنظام دون الاخذ بعين الاعتبار لتسلسل العقوبة أو تخفيفها أو الإمكانية للصفح والعفو أو كأنها اتخذت في حالة غضب، أوعبرت عن الإسفاف أوالتعسف بتطبيق النظام على حساب تفهم الآخر وقانون المحبة.

إن هناك الكثير من الاعتبارات التي قد ترتبط بتطبيق النظام، ما تصبح بعد مرور الزمن غير نافذة أو فعالة، أو قد تبرز مع الوقت معطيات جديدة تجعل من مراجعة القرارات وإعادة النظر في إطار الحفاظ على الأعضاء فعلا واجبا، ومن هنا فإن النظر في قرارات التجميد والفصل والعقوبات عامة بحق الأفراد يصبح ضرورة تأتي في إطار المراجعة والنقد والتسامح والتصالح.

إن الصراع داخل التنظيم وخاصة السياسي عندما يأخذ شكل التحدي والاستقواء والتقاذف والرجم بالحجارة بين الأطراف المتصارعة فإنه يمكّن للطرف الأعلى مرتبة أو الاكثر سلطوية -إن غلّب هواه لا ضميره- أن يتعسف أو يظلم باستخدام النظام، ما يواجه بتحدي (أو تمرد) فتصبح العلاقة رجمية حِدّية لا تتناسب مع المفهوم الإنساني السامي للتنظيم عامة، وهو التنظيم الذي يجمع ولا يبتر.

إن خفض وتيرة الصراع والاستغناء عن الرجم، ليصبح في اتجاهات تقديم الأفضل والأمثل، وليصبح في مواجهة العدو المشترك، وفي إطار المنافسة الضرورية في هذا الباب يشكل حجر الزاوية في النجاح التنظيمي في إدارة الصراع، الصراع الذي تصبح معه عملية "الاتصالات" الفعالة و"مقاومة التهميش" وبناء "الصلابة" الوطنية والتنظيمية من أساسيات "الجهاد" الداخلي والتصالح الداخلي والبناء المستقبلي.

المتشبّهون بحركة فتح والحاسدون.

المواضيع المتعلقة بحركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح تستأثر دوما بالضجيج والإثارة، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالخلافات الداخلية، التي يتم التعامل معها من الجهات الحاقدة أو الحاسدة أو المغتاظة بالكثير من المبالغات والتضخيمات أو الكثير من الحقد أيضا، أو الكثير من التشفي أحيانا.

وفي معرض الطعن في حركة فتح –وباستخدام البعض لصراعاتها الداخلية أو بعض اختلافاتها- فإنك تحس في ردود أفعالهم إضافة لما سبق بشيء من التمني المكتوم أن يكون بعض هؤلاء المتصيّدون جزءًا من نسيج حركة فتح برحابتها الواسعة، وبقدرتها على التعامل مع الاختلافات والصراعات الحادة، وقدرتها الفذة على الخروج من المشاكل والأزمات أكثر قوة. هم لا يعرفون سحرها ولا يدركون سرها الذي يخشونه ويتمنونه في آن واحد فيصرخون ويضجّون ويبدأون بالعواء.

إن الضجيج حول أمور حركة فتح الداخلية -لو أخرجنا العامل الإقليمي والدولي منها هنا فقط لغرض التركيز وليس لإهماله- أمر ليس جديد على هذه الحركة التي رفعت فوق أكتافها الكثيرين ليعود قلّة منهم مسددين لها الخنجر المسموم بدل أن ينسحبوا بهدوء كما فعل الرواد الأوائل، أم إنهم لا يستطيعون أن يكتبوا فيها تاريخا مجيدا عاشوا جزء منه فيردّون بعض الجميل كما فعل معها الكثير من المنصفين أمثال الشيخ هاني فحص أو د.سعود المولي من لبنان الشقيق، أو كما فعل د. محمد حمزة و د. عمر محجوب من مصر الشقيق، أو أو... والقائمة تطول..

التضخيم والمبالغات ومشاعر الغضب أو الحسد، وحالات التشفي وتمني الموت للآخر، هي من المشاعر السلبية التي امتلأت فيها النفوس من تيارات مختلفة على حركة فتح ومنها في فصيل "حماس" نتيجة التعبئة البغيضة ضد الآخر، ما عبر بالاعتذار عنه علنا محمد نظمي نصار من قادة القسام التابع لحماس إذ قال في منشور له على صفحته بالفيسبوك نصا:(اعتذر للشعب

الفلسطيني، في الداخل والخارج، ولرئيس الشعب الفلسطيني الخالد ياسر عرفات أبو عمار، اعتذر لحركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح) ولكل الفصائل ثم أضاف (اعتذر لكم عن هول الكراهية التي كانت تسكنني لكم، وعن العمل الدؤوب لكي لا يكون لكم مكان على خارطة الوطن الجغرافيه والسياسية، اعتذر لكم عن حلمي الأكبر وهو أن تكونوا جميعا راقدون تحت الأرض أمواتا بلا حراك، وارجو أن يغفر الله لي علي هذا التلبيس من إبليس، من أن هذه الكراهية ستوصلني إلى الحور العين، والفردوس الأعلي).

أنها مشاعر سلبية أشعلت مواقف سياسية بل ودينية استندت لتعبئة فكرانية (=ايديولوجية) حاقدة وفاسدة درج عليها البعض من الشخصيات والأحزاب لنقص في التروية في العروق، ولانقطاعات الهواء عن أجسادهم فيحيلون التبر إلى تراب أو هكذا يتمنون.

أن حركة فتح الفكرة وحركة فتح المبادىء، وحركة فتح هواء الحرية النقي، وحركة فتح الديمقراطية الصاعدة، وحركة فتح الفكر العروبي الاسلامي الثوري العقلاني المدني بأطرها -على كثير خلل فيها وبعدد من شخوصها ورغم عدم تخلصها من كثير من الشوائب والعوالق- هي مفتاح العشق المفضي إلى فلسطين.

حركة فتح كما قال فيها المفكر العربي الإسلامي هاني فحص: «تشبه فلسطين بل هي أخت فلسطين أو بنت فلسطين»، وكان صادقًا كل الصدق في ذلك، لذا تمتد مساحة الحوار الديمقراطية والتعددية فيها لتصل أحيانا إلى حالات قصوى تقترب من الفوضى والتشتت والانحدار.

يحتاج الأمر منا دائما عدم التولي أثناء زحف قطار التحطيم والتهشيم والرعب الداهم تجاه الحركة، وإنما علينا حينها أن نرفع مشعل النقد و التطور والاستنهاض والعقلية المؤسسية، ونرا كم الانجاز بكل الطاقة، لان فلسطين تستحق منا الكثير.

لن أضيف في بوتقة واحدة أولئك الكارهين الحاسدين الحاقدين للحركة أو المتمنين أن يكونوا شبيهها سرا، ولن أذكر منهم الأحزاب أو الأسماء، وذكرت من مواقفهم في مقالاتي أو مقابلاتي الرائية (التلفزية) الكثير بكل أدب واحترام، وحتى مودة في الأخلاق معهم.

في نفس إطار الحديث فان الناقدين للحركة –وحتى من أبنائها-عبر ما يظهر ذلك في عباراتهم وكتاباتهم ولقاءاتهم مهما كانت شدة كلماتهم وانتقاداتهم، فان هذا حق لهم نصونه قطعا كأحرار وثوار وديمقراطين، ولا نضعهم في نفس الزمرة، أي زمرة الكارهين والحاسدين والمتشبهين، فشتان بين هؤلاء وأولئك.

ولمن لا يفرقون بين النقد والطعن نحيلهم لإحدى الفضائيات المتخصصة ب"أقصى" البذاءة فيستغفرون الله العلي العظيم، ويمسحونها من أوقاتهم الثمينة، ليضيفوا الترددات الجديدة لتلك القنوات التي تبغي قول الحق، فلا تلجأ للكذب أو التزوير أوالتضخيم أو الاتهام أو التخوين.

يستطيع العاقلون أن يميزوا بين قنوات «يوتيوب» ذات المحتوى الحزبي الدعائي الأسود وأحيانا الرمادي (الذي يموه بالاجتزاء والخلط، وتلبيس الحق بالباطل) وبين تلك التي تشير لمواضيع الخلل والزلل والخطأ كما تعرض مواضيع النجاح والفوز والتقدم بكل موضوعية وصدق ورغبة في الإصلاح أو التطوير.

في حركة فتح تعلمنا الكثير، ومما تعلّمناه الاحترام والمحبة، وعدم الانحناء أبدا إلا لله سبحانه وتعالى.

وما تعلّمناه ألا ننتمي أو نوالي مَن يستخدم فلسطين أو سيف الدين أو سيف القومية العنصرية المسار، أو سيف العشيرة ضد إخوانه أو ضد مصلحة بلاده.

في حركة فتح تعلمنا أن نتقصى الحقائق، وننهج منهج الصدق فلا نتوه مع

السيل العرِم من الشائعات والأكاذيب، ومواجهات الرأي والرأي المشاكس في ظل التدفق الإعلامي المستفيض اليوم.

في حركة فتح لا ندعي الكمال ولا الصواب المطلق ولا ندعي الرأي الأوحد أو المقدس، ولا نصنّف الناس بين وطني وخائن أو مؤمن وكافر أو غيره، فلسنا قضاة ولسنا أوصياء على عقول الناس أو قلوبهم أبدا.

في حركة فتح قد تجد عديد مثالب ومساويء وسلبيات نعم، وقد ترى متسلقين وطفيليات صحيح، لذا عليك التوقف عندها وخوض الصراع الداخلي ضدها بكل شجاعة ومحبة وعنفوان ونظام، إلا أن حركة فتح تظل البيت الذي يحتضن كل من فيه ليلا مهما كان سعيهم بالنهار.

في حركة فتح لم نتعلم الكذب أبدا، فيما أتقنه أولئك الذين جعلوا الشعارات مركبهم، والألسنة الحداد والسيوف أدواتهم، ولم نتعلم "الميكافيلية" فيما جعله أولئك كتابهم الذي يهتدون بهديه.

في حركة فتح لم نتعلم الكراهية أو الحقد أو النفي للآخر فيما درّسوه هم، بل وأشربوه لصغارهم، حتى غدا الحقد والحسد والتمني والتشبُّه يظهر واضحا في كثير مواقف لم يستطيعوا حتى الآن أن ينعموا بسببها بسكينة الإيمان بالآخر المختلف، ولا سكينة الاهتداء لمشاعر ومنطق الأخوة والرفاقية الجميلة.

حركة فتح وادي ذو زرع، يستطيع أن ينمو ويترعرع بمختلف أنواع النباتات والأشجار المثمرة والأزهار، وكلما كان السماد والماء والهواء والرعاية كافية، كلما استنشقنا عبير الزهور المختلفة، فنفرح لرائحة القرنفل والياسمين والفلّ والطيون، ولا نعادي الورد الجوري أو الخزامى أو الاقحوان.

الحجر المانع في حركة فتح!

نشأ التنظيم السياسي لخدمة الجماهير، ونشأت التنظيمات المجتمعية الانسانية على تعدد أطيافها لخدمة المجتمع أو شرائح وفئات منه تلتئم حول احتياجات أو رغبات او أهداف أو قضايا أو أفكار أوتوجهات جامعة.

نشأ (التنظيم) من فكرة التجمع والتوحد حول هدف او حاجة أو اهتمام أو مصلحة عامة ما، وليس من فكرة إحداث الانقسام والتفتت في المجتمع، أي ببساطة لتلبية احتياجات التنوع في إطار التجمع.

وتكون مجمل التنظيمات ضمن النظام العام (الدولة أو الثورة) في خدمة الهدف المركزي المُجمع عليه، أما إن كان هذا الهدف او الأهداف قد تناثرت أو تشظت أو ذابت فإنه حتما يصبح التجمع التنظيمي بمعنى التكتل بديلا عن فكرة التنظيم الجامعة، وهي الفكرة التي ليس لها إلا خدمة أهداف الجماهير.

إن خطورة مرض الاتصالات السرية/ المستترة (أي الخارجه عن الإطار الرسمي في التنظيم من خلية فشعبة فصاعدا...) تكمن في إحداث شرخ حقيقي في البنية التنظيمية التي تتكتل وتتجمع وتتحزب مخالفة أدوات الصراع المتاحة ضمن النظام، هذه الأدوات التي تمثل الخطوات التي يبيحها النظام من اجتماعات ونقد داخلي ومؤتمرات ومراجعات ومحاكمات ومساءلات وعقوبات.

بين لينين ويكن وخالد الحسن

تصيب التنظيمات السياسية الكثير من الأمراض التي عالجتها كافة التنظيمات فكتب فتحي يكن من قيادات الاخوان المسلمين في لبنان عن هذه الأمراض تحت عنوان (المتساقطون على طريق الدعوة)، وكتب الآباء الفتحويون المؤسسون في المسلكية التنظيمية والسياسية والجماهيرية، وكتب

الشيوعيون وعلى رأسهم فلاديمير لينين، كما كتب خالد الحسن عن الاستبداد القيادي، كما كتب العديد من قيادات مختلف الأطياف والفصائل.

يذكر لينين من أمراض التنظيمات (الافتقار الى التدريب الجاد والتربية الثورية)، ويعتبر فتحي يكن أن من أمراض الحركات الإسلاموية أن يعتبر صنف من الناس ذاته الوصي على الإسلام والمسلمين من خلال تقزيم الأمة في طريق الخوارج الجدد، واعتبر الفئوية والقبلية والحزبية البغيضة من الامراض. ورغم تعصب فتحي يكن لرأيه وافتراضه أن كل من خالفه يتموضع في إطار اولئك المتساقطين إلا أنه تعرض لهذه الامراض بشكل يستحق التامل.

وكتب صخر حبش بحثا كاملا وهاما في النقد والنقد الذاتي، كما كتب هاني الحسن في نقد اتفاقيات أوسلو ما يشكل نموذجا صحيا للنقد دون الإضرار بالتنظيم.

نموذج حزب جبهة التحرير الجزائرية

في نموذج الصراع ما بين تحقيقه لايجابية تلاقح الأفكار وحوارها، وما بين سلبية تزاحمها وتناطحها على القمة بمنطق الإقصاء والالغاء نتعرض لنموذج من الصراع الحديث في حزب جبهة التحرير الجزائرية إذ أنه: إثر صراع طويل في إطار قيادة الحزب وهي اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الجزائرية أسفر هذا الصراع في أحد مراحله لتسلم عمار سعداني لأمانة الحزب الذي يرأسه شرفيّا الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة.

وكانت اجتماعات اللجنة المركزية (تماثل اللجنة المركزية في تنظيمات اليسار الفلسطيني، أوالمجلس الثوري في حركة فتح، أومجلس الشورى في التنظيمات الإسلاموية)، اتخذت هذه الاجتماعات المتكررة منحى صراع عنيف جدا، ما أدى بهذا الصراع في ختامه لإزاحة عبدالعزيز بلخادم من زعامته بالحزب (من 2011-2013)، وكان ذلك في دورة صعبة للجنة المركزية على عادة الخلافات التي تكاثرت وتصاعدت فيها بين أطراف اللجنة

(القيادة)، واستخدمت فيها القوة، كما استخدمت أدوات سلطة الدولة بالمنع أو السماح، و(البلطجة) من جميع الأطراف كما تشير الانتقادات.

لم يتوقف الصراع بعد إزاحة بلخادم حيث استمرت المحاور (بلخادم-سعداني...) في التناطح ما أدى لأصدار رئيس الجمهورية قرارا بعزل عبد العزيز بلخادم من مناصبه الرسمية داخل الدولة.

هذا العزل لبلخادم من مناصبه حول الرئيس في الدولة من حق رئيس الجمهورية، أما عزله أوطرده من موقعه الحزبي فهنا يقع التساؤل لأقطاب الحزب حيث تورد صحيفة الخبر عام 2014 تعليقها قائلة (ان العنف الذي حمله بيان العزل وشكل الإقالة يظهر استمرار النظام السياسي في التعامل بنفس الاساليب الموروثة من عهد الأحادية، الى جانب الخلط بين مؤسسات الدولة والمؤسسات الحزبية، ناهيك عن توظيف وكالة الأنباء الرسمية في نزاع بين عصبة واحدة كما حدث مع عبد القادر حجار عام 1999...).

وبغض النظر عن مـبررات الاقالة أو العزل عام 2014 لبلخادم من مناصبه بالدولة، وطبيعة الصراعات الحادة في داخل الحزب، فإن الاشكالية الحقيقية كما نراها ظهرت جلية بالاستقواء بأطر أوأجهزة أو مؤسسات أو أشخاص (بلطجية) من خارج التنظيم (أو الحزب)، وحيث تمحورت حول الصراع السلطوي/ المصلحي/ الشخصي في الدولة والنفوذ بشكل رئيس، أي ضمن استمرار حقيقة الصراع حول الحكم والسلطة مستخدمين كل الأسلحة المشروعة أو غير المشروعة، أي تلك التي تتفق مع النظام الداخلي للتنظيم او تلك التي تستقوي عليه.

قدم الامين العام لهذا الحزب التاريخي المناضل عمار سعداني (66 عاما) فيما بعد استقالته أخيرا (22/ 10/ 2016) وذلك "لأسباب صحية" كما ذكر، ليخلفه جمال ولد عباس (82 سنة) أمينا عاما حتى العام 2020 كما أقرت اللجنة المركزية، وربما لا يزال الصراع الحاد مستمرا ما لا نتمناه لهذا الحزب العملاق.

الصراع في التنظيمات الفلسطينية

إن الصراع في التنظيمات الفلسطينية عامة طويل، ويحتاج لبحث أطول، سواء داخل التنظيمات اليسارية أو في حركة فتح، او داخل الاخوان المسلمين وفي «حـماس»، والـصراع في شكله السلبي التناطحي قد تخالطه أمراض عديدة، ولكنه في شكله الايجابي التحاوري يولد آليه دفع تحث على التغيير، لذا فالفهم للصراع في هذا السياق الايجابي يعني حقيقة التمسك بالجوامع (يسمونها قواسم وكان الراحل القائد صخر حبش يصر على تسميتها جوامع مشتركة وليست قواسم) والأهداف والقانون.

التاريخ طويل للصراعات داخل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ العام 1967 سواء الفكرية اوالتنظيمية أو المصلحية الشخصية، كما الحال في الصراعات داخل التنظيمات الاسلاموية ومنها الاخوان المسلمين منذ التأسيس، والحال في حركة فتح.

وإذ كان مفهوم الصراع له معنيين كما ذكرنا أي معنى إيجابي حيث يولد تجددا في الأفكار وتنازلات واتفاقات وحرص مشترك فإنه في جانبه السلبي يولد تناطحات وإقصاءات، أحيانا ما تكون مفيدة للتيار العام كما الحال بخروج العديد من جسد الاخوان المسلمين أو من جسد الجبهة الشعبية او من جسد حركة فتح، خاصة متى ما اقترن الصراع بالاستقواء الخارجي.

أمراض التنظيمات وقواعد المسلكية

إن أمراض التنظيمات السياسية كثيرة، وحرصت حركة فتح أن تثبت في منهج تفكيرها التجديدي رفض العقل «الانتهازي» (الذي يستسهل المكاسب ويسعى لها على حساب الأهداف)، ورفض المنطق العقل «التطهري» (الذي يتوقف وينقطع حين تصادم الأهداف مع المصالح فيخرج) وفي المقابل كرست منطق التعامل «الثوري» أي بايجابية من خلال عرض ما يجب أن يكون وخوض الصراع ضد ما تراه سلبيا فيما هو كائن.

تدخل حركة فتح في أدبياتها المرض في نطاق التعامل مع العلاج، أي بذكر السلبي في سياق التركيز على الإيجابي محددة عشر قواعد للمسلكية الثورية الصحيحة والصحية في المجال التنظيمي: من الانتماء، والانضباط، والمركزية الديمقراطية، والنقد والنقد الذاتي، والفعالية، والمبادرة، والسرية، والتخطيط، والتنفيذ والتطبيق، والمتابعة والمراقبة، والتي لطالما شجع عثمان أبو غربية وهاني الحسن من قيادة الحركة على اعادة بنائها وتصليبها وتعديلها بما يضيف عليها ويقويها ما نحاول منذ زمن وقلة من الكادر المثقف والمفكر أن يفعلها ويضيف عليها بما يمتنها ويجددها ليكون تيار القيم والمسلكية الثورية هو التيار السائد.

في حركة فتح التي خاضت في داخلها صراعات عدة، وخاضت مع الأصابع الخارجية عديد المواجهات فإن لديها هاجس الخصوصية، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية حتى أصبح ما تسميه (القرار الوطني المستقل) شعارا لها مرتبطا بفكرها الديمقراطي الوطني الحضاري في محيط حضارتنا العربية الاسلامية، إلا أن دخول (السلطة/ الحكم) كعامل ومثير افتتان وفتنة جديد في المعادلة، ومع تقاطعات الاسرائيليين والإقليم والخصوم قد جعل من هذا الصراع معيبًا بحق حركة فتح والشعب الفلسطيني، ونحن لم نحقق على الأرض لا الاستقلال ولا الدولة حتى الآن.

القوة نحن

يقول العلماء حسب آخر الأبحاث إن النملة تنشأ لا تعلم شيئاً ثم تتعلم جميع المهام الواجب القيام بها وفق برنامج شديد التعقيد يهديها إلى الطريق الصحيح، والسؤال: أليس هذا هو ما تعنيه الآية: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)؟! وأليس أدعى بنا أن نركز على العضو في داخل المجتمع والعضو في داخل التنظيم من التصارع حول عنق الزجاجة فقط؟

إن القوة الحقيقية التي يجب النظر لها داخل التنظيم السياسي هي في

الفكرة وفي الأهداف وفي حراس الفكرة والأهداف، وفلسطين كجامع ووعاء لها كلها، وإن القوة والمنعة هي في تطبيق النظام الداخلي واحترام القوانين والقرارات المتخذة أصولا، والقوة الحقيقية هي في جماهير الحركة المنتمية والملتزمة والمثقفة والعاملة والمبدعة والناقدة باحترام والمتجددة، والقوة كل القوة هي في المساحة المفتوحة للتواصل بين القيادة والكوادر في كل المفاصل وبشكل دوري، والوقوة الحقيقية في الآليات المتبعة التي لا يجب أن نخرقها بل نشدد على حراستها مقرونة بالقيم والتدريب والبناء الذاتي والجماعي الداخلي.

ذكر ابن المقفع في كتاب الشهير كليلة ودمنة قصة مفادها أنهم: زعموا أن جماعةً من القردة كانوا سكاناً في جبلٍ، فالتمسوا في ليلةٍ باردةٍ ذات رياح وأمطارٍ نادراً، فلم يجدوا، فرأوا يراعةً/ حشرة تطير كأنها شرارة نار، فظنوها ناراً، وجمعوا حطباً كثيراً فألقوه عليها، وجعلوا ينفخون طمعاً أن يوقدوا ناراً يصطلون بها من البرد. وكان قريباً منهم طائر على شجرةٍ، ينظرون إليه وينظر إليهم، وقد رأى ما صنعوا، فجعل يناديهم ويقول: لا تتعبوا أنفسكم فإن الذي رأيتموه ليس بنارٍ. فلما طال ذلك عليه عزم على القرب منهم لينصحهم فينهاهم عما هم فيه، فمر به رجلٌ فعرف ما عزم عليه. فقال له: لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم، فإن الحجر المانع الذي لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف، والعود الذي لا ينحني لا يعمل منه القوس، فلا تتعب. فأبى الطائر أن يطيعه، وتقدم إلى القردة ليعرفهم أن اليراعة/ الحشرة المضيئة ليست بنارٍ. فتناوله بعض القردة فضرب به الأرض فمات.

شاهت الوجوه وتبت الأيادي العابثة لأي شخص أو جهة أو فئة تصعّد الخلافات الداخلية في أي فصيل، أو في المجتمع أو في أي مؤسسة وطنية، وعلى رأسها حركة فتح على حساب الهدف الأساسي والتناقض الأساسي المعبر عنه فقط بالاحتلال الاسرائيلي وفي نضالنا لاقتلاعه من أرضنا.

وشاهت وجوه أي فئة ترفض النظام والحكمة والقيم الجامعة، ونحن

لن نجرب سيوفنا في الحجر المانع، لكن عودنا ينحني لأخوتنا ويميل لهم فتستقيم الأمور، وسنتعب كثيرا ونخوض الصراع الايجابي لتعتدل الكفة فيتحقق التوازن والقسطاس.

وليس لنا كثوريين مجاهدين مثابرين إلا الدعوة والعمل بحزم للملمة البيت الداخلي الفلسطيني عامة، فنحن تحت الضوء والنظر، وحالنا يختلف كليّا عن تلك الخلافات في الدول أو الاحزاب العربية الشقيقة، فهل ندرك ذلك ونتدارك وندفع المسيرة الى الأمام.

الاستقواء على حركة فتح

هل يكون الاستقواء التنظيمي قابلا للنماء في داخل التنظيم عامة؟ أم انه فقط يأتي من خارجها؟ وهل من الممكن أن يكون الاستقواء صِنو القيادة، أم أن الكادر قادر على الفعل بالمثل؟ ومجموعة أخرى من الأسئلة تبرز في ظل الضغوطات التي تهاجم حركة فتح وقيادتها أولا من العدو الاسرائيلي، وثانيا من الخصوم السلطويين، وثالثا من بعض الأطراف الخارجية والداخلية، رغم أن معاركنا الحقيقية مع العدو الصهيوني قد ابتدأت وتستمر مع صدام الحق...

ولأن الشأن الفتحوي في الكثير منه أصبح متاحًا والكلام فيه مباحًا للعالم والجاهل، فإن لم تتكلم أنت في قيادة الحركة فإنك لا تستطيع أن تمنع تبلبل الأفكار وتشتت الرؤى فالكلام والحوار من أوجب الواجب بين القيادة والكوادر على الأرض وفي الاجتماعات الدورية خاصة في ظل منصات حوار قد طارت مع بساط الريح فتناقلت ما هبّ ودبّ من الكلام الذي في ثلثيه بعيد عن الحقيقة والواقع.

حركة "فتح" من التنظيمات الفلسطينية المناضلة في كل مراحلها، ولا أقول هذا كما يظن البعض تعصبا أو تطرفا للحركة، فأن أضع حق الحركة أو أي فصيل في نصابه لا يعني ألا أنقده فلطالما نقدت حركة "حماس" و"الجبهة الشعبية" مع احترامي لنضال هذين الفصيلين وغيرهما مهما اختلفت معهما، ولم أكف عن نقد ما أراه بغيضا في حركة "فتح"، ولي في ذلك أسلوبي والتزامي بمفاهيم النقد بصيَغِهِ الحركية الثلاث (الهامس والصارخ والهدّار) حيث أن الأولوية للنقد -خاصة متى ما ارتبط بأسماء محددة- أن تكون بالإطار الداخلي.

في حركة فتح تخرج السياقات أحيانًا عن احترام الأطر لأننا نحن من نهلهلها بفوضويتنا، فنتيح المجال لأيّ كان أن ينهش في لحمنا، بل ونتساوق معه ونسير وراء الإشاعات غير مدركين للتعبئة الخطِرة التي نخلقها في استهلاك

أنفسنا في الصراع الداخلي بمعناه السلبي (للصراع معنى ايجابي هام وضروري يؤدي للتغيير)، فتظل العيون لأبناء الحركة والحريصين عليها في أمتنا مسمّرة على الشاشات فتتسرب لروحها حالات الوهن والانقباض وهالات السوداوية وربما الانسحاب والانحسار والانشقاق.

إن أولى أولويات حركة "فتح" العظيمة برجالها وفكرها وفلسطينيتها وحضارية فكرها العقلاني المدني أن تُقبِل على البناء الداخلي بالفكر والتثقيف واحـترام الأطر والجماهير ولغة الحوار والمحبة، وأن تُقدم على التعبئة الداخلية السليمة التي تُعلي من الانتماء الأصيل لفلسطين وللحضارة الجميلة الرحبة التي نحن منها أي حضارة أمتنا العربية الاسلامية بجناحيها كمسلمين ومسيحيين، والتي ترتفع بالقيم والاخلاق وحسن السلوك والمعاملة فوق كثير من الأضواء التي تخلب بعض الألباب بالأضواء المسلطة على أرباب الحكم والسلطة فيتنازعونها ويتقلبون بين أحضانها الوثيرة وكراسيها الرخوة، متناسين العدو الرئيس وأولوية المجابهة التي لن تنتهي قريبا في أرض الرباط، ومتناسين مهمتهم بخدمة الناس.

يقول الأخ نبيل عمرو أن حركة (فتح مليئة بالأخطاء والخطايا، ومليئة بالتقصير فيما لا يجوز التقصير فيه، وهذه أمور ربما تكون على الدوام هي مادة الحوار الداخلي فيها، ومصدر التذمر الدائم في مزاجها، فما نراه الآن من مظاهر لا تعجبنا في تفكير وسلوك هذه الحركة، ليس بالأمر الجديد عليها) ويقرر بلا مواربة أن كلمة السر فيها ما لا نختلف معه فيه تنبثق من الممنوعات الثلاثة حيث (الممنوع الأول... رهن القرار لغير الفلسطينيين. والممنوع الثاني... مغادرة الانتماء العربي. والممنوع الثالث.. الانعزال عن الحياة الدولية والتصادم معها.)

الى ذلك يقول كاتب فتحوي آخر معلقا على أحداث مخيم الأمعري في رام الله حيث التصدي لعقد اجتماع لكادر من حركة فتح ((الحلول الأمنية والعسكرية لا تستطيع ان تحافظ على نظام ولا على رئيس ولا على سلطة،

لو كانت تستطيع لنجحت في الحفاظ على نظام زين الدين بن علي في تونس ومعمر القذافي في ليبيا و لنجحت في الحفاظ على وحدة سوريا و غيرها من النماذج، هذا و نحن نتحدث عن دول حقيقية وأنظمة حقيقية و ليس عن سلطة محدودة الصلاحيات بحكم وجود الاحتلال. والأمر الآخر هو ما علاقة الأجهزة الأمنية في خلافات تنظيمية؟ ما هي علاقة حرس الرئيس الخاص والأمن الوقائي والمخابرات والاستخبارات والشرطة المدنية والأمن الوطني والدفاع المدني في اجتماع تنظيمي لكوادر من فتح يناقشون مستقبل حركة فتح ويعبرون عن مواقفهم في قضايا تنظيمية؟))

وأتفق مع الكاتب بضرورة رفض الاستخدام السلطوي أو استخدام القوة مهما كانت في الخلافات الداخلية لأي فصيل قطعا، ولكن بالمقابل فإنني أطالب من أي شخص، أو مجموعة رسمية ضمن إطارها في داخل حركة فتح ألا تحركها أعلام بعض الدول العربية فتتستر بها ويشتد ساعدها بها، حتى لو بدا هذا الساعد وكأنه غير مفتول العضلات، فحركة فتح لا تقبل أن ترهن قرارها للخارج لذا تتصدى يوميا للإسرائيلي المحتل بخشونة النّزال على الأرض، وبنعومة الدبلوماسية الشجاعة التي تعزل الكيان وتجلب له الجنون، ولذلك لا تقبل لأي استقواء منها عليها أو من خارجها عليها أكان عربيا أو اقليميا أو دوليا.

كنا قد كتبنا عن مؤتمر(عين السخنة) لم نغفل فيه حق أي مركز أو مؤسسة الحديث بالقضية الفلسطينية ما هو فخر وقوة لنا، ولكننا أنكرنا على أبناء الحركة أن يستغلوا أي غطاء في مواجهة الفكرة أوالهدف الجامع أو الأطر المركزية نعم الأطر المركزية، لأن الاستقواء على الحركة بغيرها مرفوض ما أظن أن كل الفتحويين يتفقون عليه ويعلمون خطورته.

الأسير المحرر من سجون "حماس" في غزة زكي السكني قال في رسالة له: (رسالة مني إلى الرئيس مباشرة: أنت الكبير، ومثل ما يقول المثل: الكبير يحمل الصغير، ويجب على الكبير ان يستوعب الصغير، هذا رجائي أنا وكل

الأسرى وكل المعتقلين، انت يا فخامة الرئيس أنت الكبير لملم الموجود ان كان من فتح او من حماس ونحن معاك قلباً وقالباً.)

قال القيادي ب»الجهاد الاسلامي“ أحمد المدلل على قناة هنا القدس 26/ 10/ 2016: (دائما نقول ان الكرة في ملعب الرئيس عباس فهو الذي يستطيع أن يجمع الكل الفلسطيني)مضيفا أننا (نبقى ندق على الجدران ونطالب الرئيس محمود عباس بأننا يجب ان نقف امام الحقيقة.)

ونعرض ما قاله اللواء توفيق الطيراوي برسالته لكوادر الحركة الفتيّة دوما تحت عنوان: (فلسطين وطننا، والقدس عاصمتنا، و“فتح“ حركتنا، و“حماس“ خصمنا السياسي، و“إسرائيل“ عدونا.. فأحكموا البوصلة) حيث يؤكد على ضرورة الانتباه الجماعي للخطر الرئيس المحدق بشعبنا، وأرضنا وقضيتنا، من قبل النقيض الاحتلالي، ويؤكد في هذا النداء الهام، بأن أبناء حركة فتح، وكوادرها ومناضليها، تظل مسؤولة من قبل قيادتها، وأطرها التنظيمية والشعبية، برغم التباينات، على القيادة رعايتها واحتضانها، وتقويمها حين يلزم التقويم، وليس صحيحاً أبداً بأن حل إشكالية التباين أو الاختلاف يتأتى بالتخلي عنها، وتركها لكل المتربصين بها، وعلى رأسهم الاحتلال الذي يقوم بتغذية الفرقة والعداء والاستعداء بين أبناء الحركة.

د.جمال محيسن عضو مركزية الحركة يقول: (أن فتح تشكل دوما صمام أمان للمشروع الوطني الفلسطيني، وأنها موحدة، وستبقى كذلك، أمام كل المؤامرات التي تستهدف آمال وتطلعات شعبنا، في إقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني.)

نعم ستكون حركة فتح قوية وموحدة وضد المتربصين، وترفض الاستقواء لأن الاستقواء على الحركة من الخارج قد خاب في كل مراحلها التاريخية ولم ينجح أي منها مطلقا، وكذلك الأمر هو ذاته ما سيحصل مع أي إستقواء يحصل أو سيحصل في قادم الأيام لأن الحركة التي تنسمت رحيق الحرية والفكر المستنير ونبع العقلانية- وحددت أن عدوها الرئيس هو الاحتلال وأن

هدفها الأكبر تحرير فلسطين لن تخور ولن يخبو ألق نجمها أبدا.

نعم قد يكون الاستقواء من القيادة التنظيمية لأي فصيل بما فيها حركتنا بسوء استخدام الحق أوبسوء تطبيق النظام أو عدم تطبيقه أو بالإهمال المتعمد، أو النبذ أو التكتيل الانتخابي، ونعم قد تستغل أي قيادة حجم نفوذها لتتلاعب بالنظم والقوانين ما نراه في أحزاب وفصائل عدة وما يحتاج منا في النضال الداخلي أن يظل داخليا في ظل معركة كبرى هي حقيقة النضال ضد خطر الاحتلال، وفي ظل أن الاستقواء الداخلي القيادي -إن وجد- يجب أن يجابه ضمن زرع ومحصول الثقافة الحركية التي تنتمي للأمة والوطن لا للأشخاص أي كانوا أبدا.

الفصل الثاني:
منهج البناء التنظيمي في حركة فتح.

المؤتمر السابع لحركة «فتح» مرآة عاكسة أم فجر جديد؟

عنواني الوحيد حركة فتح، بدون ولكن!

في العقل الحر والمنهج التنظيمي

من يجب أن يقود حركة فتح؟

المتمردون في حركة فتح والفكر السلطاني

حركة فتح ما بعد العاصفة!

أنا لا أنتمي لحركة فتح!

كيف نبني الشخصيات الحرة في القيادات الطلابية؟

كيف نفهم القيادة في حركة فتح

المؤتمر السابع لحركة «فتح»
مرآة عاكسة أم فجر جديد؟

لغرض الإطلال -وان من خلال عدة ومضات- على الصرح أو البناء الفتحوي المنهجي وكمساهمة جادة في التفكير المشترك في أوضاع الحركة العربية الفلسطينية بغية التطوير والتجدد، ولتحقيق الامتزاج بين مختلف التجارب نطرح هذه الورقة للنقاش.

كثُرت التحليلات والمطالبات من المؤتمر العام السابع لحركة فتح، بل ودار صراع شديد لتثبيت إقرار موعده، وكان لمثل هذا الإصرار المحمود أن تحقق المطلوب، وأن أن استطاعوا تحقيق مجموعة من المنجزات يجب أن تسجّل لهم، ولكل كوادر الحركة بشكل جمعي باحترام شديد، والتي كان آخرها النجاح بتكريس انعقاد دورات اللجنة لمركزية والمجلس الثوري وأطر اخرى ثم عقد المؤتمر العام العتيد.

المرآة العاكسة

لن تستعرض الظروف الذاتية والخارجية التي لربما سرّعت بانجاز التقارير المطلوبة بعيدا عن خلافات وتباينات الأخوة في الخلية الأولى، فإن هناك مجموعة من الأمور تظهر للعلن ولم تعد خافية على أحد لاسيما وإن حركة فتح عبارة عن صندوق مفتوح، ومرآة عاكسة للمجتمع العربي الفلسطيني بأمانة، عاكسة لتنوعه وتعدده، وربما لاعتداده وثقته بنفسه واعتزازه بتاريخه وثورته ووطنه وأمته كما هي عاكسة لمشاكله من مناطقية وعائلية، وسعي لاكتساب الخطوة أو المكانة أو النفوذ، ولكن هذه المرآة العاكسة في جميع الأحوال لا تقبل الانعكاسات الاقليمية والخارجية لتكرس ذاتها خطوطا في جسد الشعب الفلسطيني أوجسد حركة فتح، فتسير بنا المركب باستقلاليتها ضمن العمق العروبي الحضاري نحو الأمان.

لا نستطيع أن نُنكر المقدار الكبير للتدخلات غير الحميدة والعبث في جسد الثورة وجسد حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح تحت شعارات كبيرة خادعة ومزيفة، وعبر التاريخ الحافل والمضيء لثورتنا، ورغم نجاح جزء من هذه التدخلات لمرحلة محددة إلا أنها في النهاية قد لقيت مصيرها المحتوم، وهو الخروج من مسار الزمن.

صراع الزرافات

تعتمد الزرافة للدفاع عن نفسها ضد عدو مثل نمر أو أسد على الرفس بقدمها، وهذه الرفسة قوية بما يكفي لتحطيم الجمجمة كالوعاء الفخار، ولهذا السبب لا ترفس زرافة زرافة أخرى مطلقا بل تتناطحان أوتدفعان بعضهما البعض بقوة برقبتيهما الطويلتين عندما تتصارعان، لأن رقبة الزرافة مرنة تمتص الضربات مثل العصا «الكاوتشوك»، ويصعب استخدامها لغير ذلك نظرا لثقلها وضخامتها.

أحببت أن أورد هذا المثل من الطبيعة لأقول أن الصراع والتغيير من سنن الخليقة والحياة، ولكن للصراع والتغيير أدواته وحدوده وتوقيتاته: تناطح أم رفس، ولان الصراع لا يوجد إلا في متن العلاقات الاجتماعية (أو التنظيمية) فإنه يظهر حين يدرك الفاعلون التضارب بين مصالحهم وتصرفاتهم، بين أهدافهم وقيمهم بين سلوكياتهم ومواقفهم، وهذه (الصراعات) داخل المجتمع أو التنظيم أو حتى داخل الفرد نفسه من الممكن ان تستمر حالة حاثّة ومحفزة للتقدم حتى مستوى معين، أي ما بقيت في نطاق (التناطح) ولم تصل إلى حد (الرفس) في عالم الزرافات، فالإرباك الذي يسببه الصراع في العمل والتنظيم ووسائل اتخاذ القرار قد يقتصر على الاختلاف في الرأي وتعدد البدائل وهو أمر مرغوب ويقود إلى التفكير الناقد والى الإبداع والابتكار والتغيير بدل التقوقع والجمود.

وقد تصل التناقضات والصراعات المجتمعية أو التنظيمية (أو النفسية)

إلى حد الشقاق والانفصال متى ما عجزت إدارة الصراع عن حفظ التوازن التنظيمي أو متى ارتبطت هذه النزاعات بأبعاد خارجية أو أجنبية أو نوايا مبيتة.

المؤتمرات ضرورة

إن المؤتمرات في التنظيمات السياسية عامة، ومنها في حركة فتح ضرورة اتصالية وتطويرية ونهضوية، وفي إطار الصراع المحمود، ومعنى الضرورة هنا يرتبط بأهمية تكريس المبدأ، مبدأ الديمقراطية المركزية الضابط لجسد الحركة.

فلا تتجه "القيادات" نحو الاستبداد كما بدا في مواقف مختلفة مضت، ولا تتحول القاعدة إلى جموع قطيعية تسخّر لخدمة الأغراض الموسمية "للقيادة" أولهذا الشخص أوذاك من الصف الأول، بينما حق الكوادر والأعضاء في المشاركة والاحترام واكتساب الدور المطلوب هو الأصل في الاتصالات والعلاقات الثورية النضالية، فنحافظ بذلك على الأصالة والتجديد معا، فالقافلة تجمعنا، فلا إهمال ولا إقصاء ولا تكالب ولا تزاحم غير محمود.

لن نكون مفرّطين ولا مستسلمين ولا منبطحين ولا مهرولين، فما كنّا ممن يخذل وطنه أو قضيته أبدا، وما كنا لنُلقي النفايات في حديقة فلسطين الخلفية قَط.[11]

في ذهابنا لأي مؤتمر نعمل على أن نكرّس ونؤكد ونتمسك ونشدّد، لا لنفرط أو نتخاذل كما يكذب ويروّج المُخرّصون، ويحرض المحرّضون.

ذاهبون لنرسم شارة النصر التي طالما رسمها الخالد ياسر عرفات متنقلا مع صحبه من الثوار من مخيمات الصمود في لبنان وسوريا والاردن، الى

11- عقدت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) مؤتمرها السابع يوم 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 2016 في قاعة أحمد الشقيري بمقر الرئاسة الفلسطينية في رام الله في الضفة الغربية، واختتم المؤتمر أشغاله يوم 4 ديسمبر/ كانون الأول من نفس العام.

المنافي عائدا الى فلسطين مؤسسا لفجر القدس الباهر القادم حتما.

وذاهبون لمؤتمر الحركة لنعيد ما قد فُقد من ألق ومنعة وعزة وشغف بالعمل والعطاء مع ظهور الطفيليات والنباتات المتسلقة في جسدنا، ذاهبون لندوّن في رأس الصفحة الأولى ما نسيه الآخرون من أهداف ومباديء وأخلاق وقيم تجمعنا، وذاهبون لنرسم شارة النصر أمام عيون الفجر القادم، ذاهبون لنرسم منهج عمل جديد ورؤية تنطلق من نقاط أساسية خمسة كالتالي:

فلسطين الخط الأحمر الغليظ

ذاهبون للمؤتمر (لنغلّظ) من الخط الأحمر، فلا يستطيع أي كان أن يتجاوزه، ولنعلن أن فساد الرؤية والسياسة والمسار والرواية الصهيونية من جميع جوانبها، إضافة لتنامي تيارات اليمين الإسرائيلي الفاشي العنصري، واستمرار قبضة الاحتلال الحديدية وسعيه المتواصل لاجتثاث شعبنا واحتلال أرضنا أمور كلها تعمل على تغليظ الخط الأحمر لدينا، المتمثل بالرواية الفلسطينية الحقيقة والتاريخ العربي الفلسطيني الذي لا نكلّ من التأكيد فيه على الحق والتجذّر والعدالة في فلسطين أرض آبائنا وأجدادنا منذ وجدت هذه الأرض.

وعليه فإن باب النضال الطويل سيظل مفتوحا ولن يغلق أبدا، ففكرة ثورتنا وخطابنا وروايتنا يسندها علم الآثار كما ساندها التاريخ والعلم والميزان، ومن هنا فالخط الأحمر الغليظ سيظهر واضحا بلا مواربة كما كان دائما.

(سودٌ وقائعنا) وتعدد أبواب النضال

ذاهبون إلى المؤتمر لنحقق فتح جميع الأبواب والمسارات عبر التمسك الأصيل بالحرب (المقاومة) الشعبية طويلة الأمد (النفس)، والتي إن بدأت مع الكفاح المسلح الذي سيظل خيارا، فإنها لا تتخلى عنه مطلقا، لكنها تستكمل

حلقاتها حسب معطيات الواقع وموازين القوى وتقاطعات الفرص المتاحة والمصالح ومضامين الفعل الموحد القادر على تحقيق النصر بأي وسيلة كانت.

بالانتفاضات والمقاومة الشعبية وغيرها، ولا تحيد أبدا عن مهمة الكشف الدوري عن الوجه العنصري (الابارتهايدي) للكيان الاسرائيلي بكل جلاء، كما لا تتخلي عن كل أشكال المقاطعة لهذا الكيان البغيض، بل وتحضّ عليها وتمارسها وتدعمها بكل قوة.

وذاهبون للمؤتمر بعقلية الإيمان الراسخ بالله سبحانه وتعالى معينا ووكيلا، وبالهدف الجامع، مع الوعي المستنير بالواقع والقدرة على تخيّر أفضل البدائل، أو اكتشاف السُبل لتحقيق الهدف الذي تتعانق فيه الإرادة الفلسطينية لأسود الفتح مع الإرادة العربية الجامعة مع كافة الاحرار في العالم.

(بيضاء نقية) وسلامٌ لا يقبل الدنيّة

رايتنا الفلسطينية في أحد ألوانها بيضاء نقية لأننا منذ فجر وجودنا المتواصل بلا انقطاع على أرض فلسطين ككنعانيين (كُنانيين) ويبوسيين وفلسطينيين ولخميين وغساسنة عرب كنا وما زلنا دعاة سلم، لكننا لا نقبل أن نُضام أبدا، ومن أكثر ضيما وظلما وعدوانا من الاحتلال؟

لذلك سنستمر بخوض نضالنا: الميداني المقاوم والسياسي والدبلوماسي والقانوني والإعلامي ضد آخر احتلال على وجه البسيطة، وضد العنصرية، وضد الأوهام والأكاذيب التوراتية التاريخية، وضد مدافع اليمين الاسرائيلي الذي يلوث الأرض بخناجر الاستيطان التي تُدمي أرضنا وتؤذي شعب فلسطين والأمة في كل مكان.

إن السلام الذي نريده لن يفرط بفلسطين الأرض والتاريخ والجغرافيا أبدا، ولن يرسم قوسا يسقط حق اللاجئين أبدا، ولن يجعل القدس خارج

السياق أبدا فهي لنا كانت وستظل عربية فلسطينية اسلامية مسيحية، مهما زور المزورون وكذب المنجمون.

إن السلام الذي نبتغيه سلام لن يعترف للاسرائيلي بأكاذيب وخرافات وأوهام "حقه" بفلسطين التي تبرر له طرد الفلسطيني من أرضه في حيفا ويافا والمثلث والنقب وأم الفحم، أو رام الله وبيت لحم والخليل وغزة، أو الإمعان في الاستيطان على أجسادنا المضرجة بالدم وعبق التراب، وارتكاب المذابح.

إن السلام الذي نريده سلامُ يرفض صيغة "الدولة القومية اليهودية" العنصرية والكاذبة، وسلام يفتح الباب على مصراعيه منذ تصريح بلفور المشؤوم، فقرار التقسيم الذي أدى لمظلمة النكبة التاريخية "محرقة=هولوكوست" الشعب الفلسطيني التي يجب الاقرار بها من صناعها والاعتذار عنها، والتكفير عن كل الخطايا التي لحقتها.

والسلام الذي نبتغيه سلام الأنداد، والديمقراطية الجامعة، وسلام الشجعان الذين يضعون قضية الأسرى إمامهم لا خلفهم ويصعدون بالدرجات نحو ضوء الفجر البازغ من خلف الركام.

الأكف المشققة شعار برنامجنا الوطني

تتقدم حركة فتح في هذا المؤتمر بواحد من أهم برامجها الوطنية المشتملة على الرؤية القادمة في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والتنموية والثقافية الفكرية بشكل لافت ومتميز يجعل حركة فتح منارة حضارية لطالما تغنت وتبنت العقلانية والواقعية في مسار حضارتنا العربية الإسلامية بجناحيها المسيحي والإسلامي.

ولطالما سجلت في فكرها وثقافتها ورؤيتها المجتمعية إنها تسعى حثيثا لتحقيق الدولة المدنية الديمقراطية، دولة المواطنة والقانون، دولة الحرية

والمشاركة، وإنها تؤمن بالحوار والتسامح وتعترف بالآخر، كما تؤمن بالحق والعدالة والحرية والكرامة الانسانية.

تتقدم حركة فتح ببرنامج أخضر، وشعاره الأكف المشققة للعامل والفلاح والموظف والمناضل والمقاوم، تتقدم ببرنامج البناء الوطني الاجتماعي لفلسطين، ولن تكف بأن تجعل من أبواب هذا البرنامج مفتوحة على البرنامج السياسي الذي عالج مرحلة وأسّس لمرحلة نضالية جديدة في سياق الأهداف الثابتة بالدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس وعودة اللاجئين.

نحن في حركة فتح من أسسنا لمقولة البندقية بيد ومنجل المزارع بيد، ونحن من اعتبرنا النضال بزراعة أرضنا وبناء بلادنا والصمود فيها واجب رباط، ونحن من آمنا بالريشة والقلم واللحن والكلمة الطلقة الى جوار نضالنا الميداني بحيث اعتبرنا كل ذلك من مكونات شمولية مفهوم النضال.

كلنا «أعضاء» في حركة فتح، ولا فخر

عندما حمل البطل صلاح الدين الأيوبي الراية الصفراء كان يتقدم الخطى حثيثا نحو فلسطين، وإن كان من لحقه من سلالته لم يحافظوا على نقاء الراية ولوثوها، فإن حركة فتح التي حملت هذه الراية الصفراء مع دخول الانتفاضات حيز الوعي العالمي ستظل وفية لعلم فلسطين الممثل لكل فلسطين، ولهذه الراية فكرا وثقافة وسياسة.

وفي البعد التنظيمي الداخلي كما كانت حركة فتح وفيّة دوما لمسلسل النضالات (شهداء وجرحى وأسرى...) منذ البدء، ومنذ رسم ظاهر العمر الزيداني حدود فلسطين حديثا، ومنذ صرخ عز الدين القسام هذا «جهاد نصر أو استشهاد»، ستظل وفية لهما، ولقضيتنا وتاريخنا ومستقبلنا وللخالد ياسر عرفات الذي جعل حطّته (كوفيته) رمزا لفلسطين والثورة المستمرة من خلال «شبل أو زهرة سترفع علم فلسطين في القدس» عاصمة الدولة الفلسطينية على أرض فلسطين.

إن المؤتمر أدعى ما يكون للاحتفاء بالعرب والفلسطينيين الذين قدموا الكثير لهذه الثورة فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر، فتكرس مفهوم الوفاء وتظهر الوجه العروبي للحركة الوجه الابداعي الوجه الحاضن لكل شموع الثورة من أي يد جاءت لتضيء معنا درب الحرية.

إن المؤتمر أدعى ما يكون تنظيميا لتكريس مفهوم «العضوية لا الموقع كأولوية»، واعتبار العضو المناضل من حيث هو عضو في التنظيم يعني الإيمان والالتزام والفعالية والعطاء والإثمار، ويعني المشاركة لكل من موقعه والدور والممارسة، ما هو مدعاة للفخر بانتمائه للأمة وفلسطين والحركة.

لا عضوية بلا إطار تنظيمي، ولا عضوية بلا مسؤولية واضحة، ولا عضو بلا مسؤول أبدا أومرجعية نظامية، ولا عضو لا يعرف دوره أو عمله أو موضع مشاركته.

ولا عضو بلا اشتراك مالي شهري في هذا الجهد التنظيمي الطوعي من حيث أن التنظيم (التزام أخلاقي وعمل تطوعي).

إن غير ذلك لا يكون إلا حلم الانتهازيين والمستلقين الذي يريدون التنظيم جسرا نحو نجومية السلطة الخداعة، لا نحو آداب النضال ومقارعة المحتل، وقيم حضارتنا وثورتنا وحركتنا التي ترتبط بمرتكزين أساسيين هما: التضحية والإيمان المطلق بالنصر، ما هو دأبنا ومسيرتنا الجماهيرية المستمرة ولن تتوقف قافلتها بإذن الله إلا حين تظهر فلسطين الواحة المشرقة جليّة من البعيد.

عنواني الوحيد حركة فتح، بدون ولكن!

من السهل أن يعدّد الكثيرون مجموعة من الأسباب يحددون بها مواقع الزلل والخلل في أمر ما أو مسار شخص أو جهة ما، أو يشيرون بأصابعهم إلى مواضع الخطأ والتراجع والخسران، وذلك لطبيعة هذا الإنسان الذي يلبس النظارة السوداء فلا يرى إلا اللون الواحد، وعندما تفاجئه أنت بالقول: نعم، هناك نواقص وأخطاء و"لكن"، يقول لك: رجاء أن تعدم هذه "اللاكن"! حيث لا يريد أن يرى من الصورة إلا السلبي منها فقط، فيريح ذاته من عناء التفكير والعمل الجاد للتطوير.

حركة فتح

نحن وبلا هذه ال»لكن«، على يقين من عديد الأسباب التي تجعلنا لا نضع على بطاقة التعريف السياسية لنا إلا اسم حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح، وأن كنا قد مارسنا بحسب المسؤولية التاريخية التي نتحملها حريتنا في النقد والاعتراض والديمقراطية والإشارة لمواطن الخلل في كل مناسبة، وللموقف الذي نخالفه، وفي كل محفل، وحيث لكل مقام مقال فإننا أيضا لم نغمط أحدا حقه على وجه العموم، فكيف لنا أن ننتقص من حق حركة فتح على الثورة العالمية وعلى المحيط العربي برمته وعلى فلسطين... وعلينا!؟

بلا لكن

ألسنا حين نُنكِر الفضل نكون بذلك أبناء قساة عاقين؟ وكما دأب أحدهم يتطاول مؤخرا بقسوة على هذه الحركة العملاقة لحقد دفين في ذاته وأسانيد خرافية في أحلامه، يمزج فيها بين فهمه المتعطل للدين وبين دفائن بُغضه، فيعبّر بما نهى الله ورسوله عليه السلام عنه من شدة خصومه شتما ولعنا وطعنا وبذاءة؟.

نحن وبلا (لكن) نستطيع وبكل ثقة أن نحدد ملامح إيماننا والتصاقنا الحر بحركة فتح، حركة فتح الفكرة الناهضة والصاعدة والابداعية والمتجددة، وحركة فتح التضحيات الجسام.

حركة فتح الشعب الواحد بلا تصنيف، وحركة فتح الفكر المدني والمنهج المستنير، حركة فتح العمل والبناء والتنمية لا تريد حمدا ولا شكورا، ولا تمن على أحد بثقل انجازاتها المشهودة.

حركة فتح المحبة والديمقراطية، حركة فتح الثورة والجهاد والنضال بكافة أشكاله، وحركة فتح الشيوخ والشبيبة والمرأة الحامية، وحركة فتح الصدر الرحب المتسامح حتى مع ألد الخصوم، وحركة فتح التي لم توجه بندقيتها أبدا إلا في وجه العدو الصهيوني الذي يحتل أرضنا السليبة فلسطين.

فلسطين القدس

يتقدس أسم فلسطين ويعلو بحيث لا يطاله اسم آخر، بل ولا يجرؤ أن يقترب منه، عندما تتحدث حركة فتح عن فلسطيننا، عن قدسنا، عن حيفا ويافا والناصرة ورام الله وغزة ورفح وطبريا فلست بوارد أن أضع في أولوياتي رقم 2 ورقم 3 ورقم 4 سوى تحرير فلسطين، وهكذا هي «الوطنية» في حركة فتح لا تقبل شريكا ولا منازعا ولا منافسا، ومن هنا جاء "التخصيص" في العمل لفلسطين و"التركيز للجهد" من أجلها فقط و"الأولوية" حتى لا ثاني لها.

شعب غير منقسم

حركة فتح هي حركة الشعب الواحد الذي لا يصنف استنادا للضمائر والظن، ولا يقسم هذا الشعب بين مؤمن وغير مؤمن، أو مسلم فئة (أ) و مسلم فئة (ب) هو مرتد أو علماني أو كافر أو ضال ألا ساء ما يصنعون! كما لا تقسم المسيحيين على ذات النمط، فالكل فلسطيني والكل مؤمن، ومهما

كانت درجة ايمانه فهذا مقياسه عند الله سبحانه وتعالي، بلا حصرية لفئة أو إقصاء لأخرى، وحركة فتح حركة الإيمان في مسار حضارتنا العربية الإسلامية دون غلو أو تطرف، وبلا تهاون أو تزلّف. لذا نحن فرسان العقل في حضارتنا العربية الاسلامية.

فتح السلاح المُشرَع

إن حركة فتح هي حركة السلاح الموجه فقط نحو العدو، فهي الحركة التي أدارت ظهرها طويلا للحرب مع الشقيق حتى سبقتها مدافع الجيش السوري إلى طرابلس (عام 1983)، ولم تواجه الانقلاب الدموي لفصيل «حماس» عام 2007 حقنا للدماء ورفضا لقتال المسلم للمسلم والفلسطيني للفلسطيني والعربي للعربي.

حركة فتح حامية الشرعية الفلسطينية تسيدت خنادق المواجهة ضد العدو في كل المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية والقانونية والثقافية والتاريخية، ولم تهمل الدفاع عن القرار الوطني الفلسطيني المستقل ضد تجار الدم والشعارات في أمة العرب.

فتح رفضت الاقتتال كما يتقاتل الأكباش من التنظيمات الاسلاموية المتطرفة في مواجهة بعضهم البعض لا يعرفون حُرمات الله اليوم لا في العراق ولا سوريا ولا ليبيا ولا سيناء ولا اليمن...، ويحلّلون قتل بعضهم البعض ما سبّب لهذه الأمة ولمدعي الانتساب لهذا الدين العظيم الخزي والعار، هو ذاته خزي وعار الانقلابيين في غزة الذي سيلاحقهم إلى الأبد.

حركة فتح امتشقت السلاح منذ الفجر، ورصاصاتها موجّهة لقلب العدو الصهيوني المحتل فقط، فهي لا تعرف عنوانا آخر لذلك، يخشونها فلا يردع عاصفتها إلا تحرير فلسطين، كل فلسطين أمنا وتاريخنا وروايتنا الحقيقية، مهما كان سياق الفهم السياسي المرحلي.

في دروب السياسة

حركة فتح عندما تتسلق درج أودروب السياسة الصعبة لا تداور ولا تكذب ولا تمالِيء ولا تتزلف أحدا أو دولة أو قوة خارجية بل تتجه مباشرة إلى الهدف، فتضرب حيث وجب، وتفاوض بكل أمانة وثقة وليس كما يهرف ويخرّف ذاك الهزيل الفكر.

وعندما تتوقف حركة فتح لتتبصر وتتأمل وتنتقد نفسها وتصحح وتخطط وتتعلم فهي تعلم أين تضع أقدامها، وعندما تصبح البندقية أوالانتفاضة أوالهبّة أو الغضبة خيارها تجف الاقلام وترفع الصحف فيرتفع علم الفتح علم فلسطين فقط.

وفتح المرحابة إلى الدرجة التي يتسلق على أكتافها الكثير من الانتهازيين تصارع ولا تهدأ حتى تنفض عنها غبار استغلالهم فلا يصبحون إلا في خبر كان ولو بعد زمن.

سيارة ياسر عرفات والعودة والبناء

أعادت حركة التحريرالوطني الفلسطيني-فتح مئات الآلاف إلى وطنهم، الذي لن يفارقوه ولو غاب بعضهم عنه جسديا مقدار ألف عام، أو ألف حلم وألف أمنية، في أمل تحقق كان قد راود هذه الجموع، فإذ به مع سيارة الخالد فينا ياسر عرفات التي تخترق شوارع غزة الحبيبة عام 1994 يعودون زرافات وجماعات مهللين مكبرين.

يعودون والعودة حق ناجز لكل فلسطين ولكل فلسطيني، ومن عادوا كانوا يقبّلون تراب هذا الوطن، ويضربون مع الصامدين بمعاولهم في عمق الأرض يزرعون ويحصدون، ويبنون آلاف المدارس والمستشفيات والشوارع والمؤسسات والمساجد والكنائس والمشاريع العملاقة من مطار ومعابر وميناء ومدن جديدة، وطرقات وحدائق وآلاف الانجازات المادية والنفسية والعملية والعلمية والفنية دون أن تنتظر الحركة من أحد قول (شكرا لحركة فتح) إذ

تُحسب كل الانجازات لغيرها، ومع أول مثلبة تُتّهم بكلّها عند حافر الحصان المتعثر.

أحب حركة فتح المتعطّرة

أحبُّ حركة فتح لأنني استطيع بعطرها أن أشم روائح متعددة، مختلفة لكنها طيبة، متباينة أحيانا، لكنها جميلة مهما حملت من شوائب في بعض الأحايين، وتجد في غالبها مؤشر واحد يشير إلى فلسطين، ولأنني فيها أتنفس الحرية هواء نقيا، وقدرة حرة على التعبير والنقد والممارسة العفيّة حتى لو اقتضى الصراع مني حول أمر ما طول الأمد.

في حركة فتح لست أخشى سيف التكفير أو التخوين أبدا ذاك السيف المشبوه الممرّغ بالدم يحمله أصحاب الفكر الأسود يلوحون به في الإعلام وفي المساجد أو المحافل، أو يستخدمونه حيث التسلط والطاغوتية والاستعباد في مرحلة "التمكين" الظلامية.

حركة الطلاب والخريجين والثوار

حركة فتح التي تعاملت مع الكوادر والجماهير فخرّجت عبر بعثاتها حول العالم-ثم في فلسطين- مئات الآلاف من الطلاب الخريجين بمختلف التخصصات، ودربت في حياضها عسكريا (ثم سياسيا) الآلاف من الثوار الفلسطينيين والعرب ومن الإيرانيين والآسيويين والأفارقة والأوروبيين ما لا يحصى من أبطال حركات التحرر، هي حركة فتح التي مدت اليد لأصدقائها فما خذلوها، لأنها لم تنسهم في محنتهم فقدمت لهم أكثر مما تستطيع، ولم تقصّر مع أسر الأسرى والشهداء والجرحى فعاملتهم كفلسطينيين من كافة الفصائل ومن العرب على قدم المساواة، وجعلت من الدم الزكي المسفوح لأجل فلسطين مقدسا فأعلت من شأن الشهداء لم تفرق بين أحد منهم بجنة أو نار أو دعوة أو صلاة فالله خير الحاكمين.

وعاء فلسطين يجمعنا

لم تكن الحركة التي ولدت ولادة عسيرة لتنهض، لو استندت لفكرانية (=لأيديولوجية) شعاراتية فارغة، أو لو استندت لفكرة متحجرة تقترِن بالجمود والتكلس والانغلاق حيث لا هواء يتجدد، كما في (الاسلاموية والشيوعية والقومية العنصرية) وهي التنظيمات التي سبقتها بالتأسيس، ولحقها بعضها متأخرا بالفهم وبالعمل بعد سبات عميق.

فتح بدلا من التيه الأيديولوجي آثرت أن تجعل من وعاء فلسطين متسِعا لكل لون، فرفضت التصنيف واللون الواحد، فكان علم فلسطين هو علم حركة فتح الذي يجمع الكل الفلسطيني على اطلاقه، ويجمع حوله كل الأمة العربية والإسلامية، بل وباعتباره علم الثورة العالمية يجمع أحرار العالم.

حركة بلون التراب

في حركة فتح –وبدون ولكن- لم أشعر بالغربة أبدا بين الأجيال رغم المواجهات الصحية بين الأفهام أحيانا، ولم أشعر بالغربة بين اختلاف التجارب (التنظيم والقاعدة الثورية والمعتقل، والداخل والخارج)، وما كنت غريبا بين فئات الشعب والجماهير الغفيرة من عمال وموظفين ومهندسين وأطباء...

في حركة فتح قد تجد الفوضى أحيانا مما لا يطاق، ومن الديمقراطية بحلوها ومرها ما لا يبهج، وقد ترى من النباتات المتسلقة مجموعات، وقد يصدمك حجم تقدم بعض الانتهازيين وأهل الباطل، ولكنك بصلابة الثوري تتوقف وتتأمل فتأخذ نفسا وتشحذ سلاحك وتثير النقع، وفي حركة فتح قد تتجابه كتل السحاب بشدة أحيانا فتولد من شرارة البرق غيثا نافعا أو سيولا جارفة، ولكنها في جميع الاحوال حركة لا تهدأ ولا تكنّ ولا تركد.

في حركة فتح قد ترى أحيانا ما لا يسرك ولا يبهجك ولا يفرحك فتنكمش وتنزعج وتتباطأ لديك رغبة الفعل! نعم، ولكنك سرعان ما تشتعل غضبا على المحتل فقط، وسرعان ما تجد في ثنايا تاريخ أو فكر أو سيرة أو منهج الحركة

ما يشدك للوثوب والتقدم فأنت في جنة الفلسطينيين، أنت في حركة فتح.

فتح حركة بلون تراب الأرض، يتشابه فيها الطالب والمهندس والميكانيكي والنجار ومصمم المواقع الالكترونية والفنان وصاحب القلم...، فلا تكاد تميزهم عندما يسيرون متأبطين كتاب التربية الوطنية التي تشير لفلسطين النظيفة والشقية واللطيفة والغاضبة والجذلى، والمتحررة قريبا بنصر الله، وما ذلك على الله بعسير.

في العقل الحر والمنهج التنظيمي

ما المشكلة الحقيقية التي تعصف بالتنظيمات السياسية الفلسطينية داخليا وبتنظيم حركة فتح؟ وما هي العوامل التي تفاقم أو تهدئ من المشكلات في بطن التنظيم؟ وهل كل المشكلات بالتنظيم السياسي وتحديدا الحركة ذات طبيعة خارجية؟ أم لنا أن ننظر في ذاتنا أولا لنتحقق ونتقصى ونفحص ونشخّص فنصل للأسباب الحقيقية ونسعى معا لخوض الصراع لتجاوزها.

إن المشكلات الداخلية في داخل التنظيم السياسي – وهي ما سنركز عليه هنا –تأتي من اتجهات ثلاثة إما بنيوية هيكلية، أوانتهازية ذاتية مصلحية، أو منهجية وادارية، وقد يري الاخرون زوايا أخرى للنظر، لن نبخسهم فيها حقهم بأن يتعاونوا معنا ويفيدونا.

في كثير من التنظيمات السياسية كانت المشكلة الفكرية-الثقافية المرتبطة بفكر التنظيم أو أهدافه تقف كالطود الشامخ بين التيارات، يحاولون تجاوزه-الطود المشكلة- أو الالتفاف عليه او تسلقه، أو يقومون بالاحتراب كتيارات رافضين الخطوط الخارجة عن التيار العام، ولكن في الوقت الحالي تعاني كثير من التنظيمات في اليسار واليمين ومنها حركة فتح ضعفا في الأداء الفكري، ما يعني أن التيارات الفكرية المتصارعة حول الفكرة والاستراتيجية والبرنامج غير موجودة، أولم تتفجر حتى الآن.

العقل الانتهازي

إن الانتهازية كمشكلة أصيلة في التنظيم السياسي تغلّب الأهداف الذاتية-الأنوية (من الأنا العظمى في ذات الشخص) على الأهداف العامة، وتغلّب المصالح الاقتصادية أو السلطوية المرتبطة بالشخص او بالشخص وجماعته أو عشيرته على الهدف الوطني، وفي أحسن الاحوال فإن الانتهازي يستطيع أن يقنع ذاته أن الهدف العام (الوطني) مرتبط به شخصيا وبمصالحه الخاصة،

حيث لا يرى التعارض الكبير إلا ان افترقتا، ولا يستطيع أو لا يريد أن يفهم أن الوعي الوطني يقتضي منه التنازل، ويقتضي منه التخلي، ويطلب منه النظر أبعد من أرنبه أنفه، أو أبعد من مساحة مكتبه ومستشاريه المرتمين على أقدامه، وأبعد من أرجل كرسي السلطة الوثير، فالمسرح يمتلئ بالممثلين وليس هو اللاعب الوحيد أو النجم الذي لا يمكن أن يعوض، لذا يرى بوجوده حصريا قصبة النجاة للآخرين وللتنظيم وللوطن، وما هو كذلك.

إن قصر النظر، أو غض النظر عن خطايا الشخص، أو تبريره الدائم لأفعالة وعدم قدرته على محاسبة الذات والمراجعة، وعدم رغبته بالتغيير والإصلاح، أو عدم قدرته على التسامح والاستيعاب ينبع من خوفه الشديد من فقدان المكانة-مكانته وهيمنته، وينبع منفقدانه الدور الذي لا يراه مرتبطا إلا به، وإلا بموقعه وإلا بمصالحة التي يفترض بها الامتزاج بالمصلحة الوطنية، فيقدّم الخاص المحدود على العام ضمن تبرير يراه منطقيا وما هو إلا تعبير عن خوف ورعب وتوجس من التغيير ورفض للاعتراف بالأخطاء وإصرار على رذيلة الشخصانية (أو انفجار الأنا العليا) التي قد تصل به لحدود التحكم في مصائر الآخرين والاستبداد (الدكتاتورية)، وكأن الكون يتمحور حول ذات هذا الشخص ولا ينفك يطلب رضاه أو وجوده، فإن غاب غابت الشمس وأن بقي فقط فالحياة مستمرة.

إن المشاكل والشخصيات الانتهازية تحرق الكفاءات عمدا، بل و تبرر ذلك بكل جرأة تصل لحد الوقاحة، فهي لا تعترف بالفكرة المجاورة لها أو المخالفة لها أو حتى تلك المُصاغة بشكل مختلف ولكنها في ذات السياق، كما لا تعترف باتساع المساحة وعمق الاقتراب فتلجأ لكل الأساليب القانونية أو غير القانونية أو بتطويعها بتعسف يتم فيه ضرب الصغير ليعتبر الكبير، فيسير مع القطيع بلا رأي ولا عقل ولا روح ويردد (الحائط الحائط/ الحيط الحيط..) أو أنا ومن بعدي الطوفان.

لهيب وصلاة وريح

إن العقلية الانتهازية عقلية مهيمنة وعقلية استئثارية، وعقلية مصلحة تفعل مفاعليها في ذات الشخص فينتكس، وقد لا يعود ليستقيم حتى لو صام وصلى وقام ولصوت الدعاء علاّ أبدا، فالمنتكس قد دخل في طور جديد ابتعد فيه عن الجادة، واقترب فيه من فوهة الجحيم، وهو ينظر إليها إما لاه أو مستمتع أومحمل بكل الحطب اللازم لاستمرار اللهيب بإرادته أو دون وعيه.

إن التنظيم السياسي الذي تسود فيه الشخصيات أو العقليات أو المشاكل ذات الطبيعة الانتهازية تنظيم هو كالورقة في مهب الريح، لا تثبت في مكان ولا تصمد على منهج أو فكرة أو استراتيجية، بل يتقافز بين الأفكار والمنهاج كالزئبق تماما حيث تتوه الخواص فيه ما بين الصلابة والسيولة، فتكون الميوعة في الأفكار والمواقف والسياسات الى الدرجة التي تظهر فيها التناقضات والتضارب جليّة، ولكنها وهنا الطامة الكبرى حيث تجد من يبررها ويشير إليها (للشيء ونقيضه) بأكف الراحة وببسمات الفرح.

{العضو} انتماء أصيل و{مساهمات} دائمة

أما النوع الثاني من المشاكل في التنظيم السياسي فهي المشاكل البنوية، أي تلك المتعلقة بالأطر والهياكل وعندما نتكلم عن الأطر أو الهيكل التنظيمي الرابط بهرم السلطة بين القيادة والقاعدة أفقيا، فإننا لا نتحدث عن أرقام وكتل مصمتة، وإنما نتحدث عن أعضاء/ عضوية، عن بشر، عن شخصيات لها عقول وأجساد وأرواح تحتاج للسُقيا، وتحتاج لأن تظل دوما متأهبة الروح و نشطة العقل ومشاركة بالميدان، وذات قيم متجذرة.

إن الفرق واضح بين التعامل مع الأطر كمواقع تجسّر (تصنع جسرا) للأهداف الذاتية والانتهازية أوكمواقع تجسّر لبذل الجهد لتحقيق الأهداف الوطنية.

وفي حوارات بناء أو تعديل (النظام الداخلي/ الدستور) تظهر الشخصيات

منها تلك التي تريد إنتاج النظام (القانون أو الدستور الحاكم في التنظيم) من منظور أين أكون أنا فيه! أو من منظور كيف نكون معا (ككادر وأعضاء) فيه، والمنظوران مختلفان كليا ومتصادمان.

إن العضوية في التنظيم السياسي بحد ذاتها أي ك»عضوية» هي مكسب وهي جائزة وهي مهمة وهي باب مفتوح للمشاركة، ومن هنا يأتي بذل الجهد طواعية والالتزام أخلاقيا ضمن شعارنا الذي لا يموت (إن التنظيم التزام اخلاقي وعمل تطوعي) وعليه فالعضوية {مساهمات} كثيرة تفترض توقد الإرادة والقدرة وبذل الجهد على أداء الواجبات، وتوفر الوقت، وأحيانا كثيرة توفر المال من الشخص يصرفه على العمل التنظيمي، ودون ذلك فإن العضوية ساقطة لا قيمة لها.

إن مكسب العضو في التنظيم هو بكونه منتمٍ للحركة التي ما هي إلا بوابة فلسطين وبوابة النصر باذن الله تعالى، وماذا يريد الشخص من مجد أكثر من أن يكون جزاءا من هكذا حركة؟ وما يضيره أن يرى الى جانبه الشخصيات التي لا يطيقها ولكنه يعمل لإصلاحها او يصارع لتغيير مواقفها ومنهجها؟ او ما يضيره أن يهتم بذاته أولا ويحصنها، حتى لو فسد الآخرون، فهو المحور وإشعاعه يجب أن يصيب ضمن عقل الجماعة أولئك الانتهازيين او المخربين.

قال لي الكاتب والأديب المبدع يحيى يخلف رافضا التكالب حول المواقع التنظيمية المتقدمة: يكفيني فخرا أن يشير لي الناس في الشارع قائلين أنظروا هذا المبدع من حركة فتح.

بدون {مساهمات} تتراكم الطحالب

قلنا أن مقدمات الفعل/ العطاء {مساهمات} في داخل التنظيم السياسي هي بالرغبة الأكيدة بالعمل، ثم توفر القدرة والإمكانية والإرادة لدى هذا الشخص/ العضو للعمل، وامتلاكه أو تخصيصه للوقت (وأحيانا كثيرة لجزء

من ماله، أو روحه) فداء للوطن، وعملا في داخل إطار التنظيم، وإلا كانت النظرة بغير ذلك نظرة انتهازية بحته لا ترى في التنظيم إلا مكاسب مادية أو شخصية أو سلطوية، فيقع التنظيم والأعضاء في فخ التدمير البنيوي (التنظيمي) ليتحول التنظيم الى صراعات قوى ونفوذ تحطم الأطر، وتلقى في سلة النفايات القيمة باحترام الأطر، بل وحينها قد تُعلى من قيمة الاتصالات المستترة (السرية) في التنظيم التي تؤهل لنشوء التكتلات المصلحية، ولتراكم الطحالب أو النباتات المتسلقة.

مدعوون على عرس أم مشاركون؟

إن بناء النظام على قاعدة أن {العائدات} هي بمقدار {مساهمات} لكل عضو في التنظيم تفترض 4 صفات رئيسة. إذ أنها تفترض:

1. روحا متأهبة للعضو، روحا خلاقة روحا إيجابية لا انتكاسية ولا سوداوية ولا تشاؤمية،
2. سعيا حثيثا للأمام بالجهد المتواصل وتراكم العمل الفردي ضمن بوتقة الجماعة.
3. عقلا خلاقا نشِطا لا يكل التفكير والتدبير، ويعي معنى الانتماء والالتزام وأهمية الابداع والانجاز، ويصر على دوره النظامي بالمشاركة (في الاجتماعات الدورية والممارسة الديمقراطية والنقد والتقييم، والقيام بالنشاطات بقوة و بمحبة، وبالمراجعة الذاتية...).
4. رباعية الاسهامات هو أن يكون ذلك مرتبطا بالأخلاق الثورية، وبقيمنا العربية الاسلامية الحضارية بشقيها الاسلامي والمسيحي، وبقيمنا الثورية التي تحافظ على عنفوان الانطلاقة وحكمة النظر في الواقع ورغبة التصدي للعوائق، وخوض {الصراع} الرئيس ضد الاحتلال والعدوان أولا، وفي المجتمع ضد التخلف والجهالة.

وفي التنظيم السياسي نخوض {الصراع} من أجل تحقيق نهضوية بنيوية تفعّل كل اجزاء العمل ضمن فرق عمل (وحدات تنظيمية فاعلة) وضمن

مجموعات، وليس كأجراء أو حشود مدعوين لأعراس أوبيوت عزاء بمجرد أن ينفض العرس ينفضون وهكذا دواليك.

الإهمال التنظيمي آفة

إن اهمال العضو يأتي من ذاته، أو من مسؤوله، أو من سوء إدارة البنية التنظيمية (غالبا ما يقع ذلك من رأس الهرم)، فلا يجب على العضو هنا أن يتخلى عن الهدف الجامع، ولا عن ضرورة استمراره ببناء ذاته، سواء قدم له الآخرون دعما هو واجبهم أم لم يفعلوا، فهو ملزم امام الله سبحانه وتعالى، وأمام فلسطين وأمام ذاته أن يطور نفسه يوميا دون أن يكون دافعه لذلك إلا الإخلاص لله ولفلسطين وللحركة ولذاته، وبلا كلل بل وبإصرار ومحبة.

أما من زاوية إهمال المسؤول لواجباته تجاه العضو فهنا تتأصل عقدة الإطار، والاتصالات الصحيحة (الاتصالات بمعنى بناء العلاقات وإدامتها وطريقة التواصل الدوري بين الأعضاء) التي إن ارتبطت بعقلية المنفعية والانتهازية أو عقلية دعوات العرس أو بيت العزاء الموسمية -وليست الاجتماعات الدورية- أي التعامل مع الاعضاء فقط حين الحاجة لهم للحشد أو التجمهر نقول حينها على مثل هذا التنظيم السلام، فلا {مخرجات} ولا {المساهمات} وبالتالي لا {عائدات} إلا تكريس المصلحية والانتهازية والمنفعية. (العائدات: وهي ما يعود على الشخص أو الجماعة بالمنفعة العامة، ومنها الذاتية إلحاقامن خلال: مشاركته، وأهمية الدور الذي يقوم به، وبالثناء على انجازاته، واكتساب المكانة والاحترام والمحبة)

الاستغلال والمنفعية والفردية في الإطار

إن التنظيم السياسي فكر وهدف ومصالح جامعة، والتنظيم السياسي إطار جامع للتنوع في القدرات البشرية، بمنطق أو بمنهج إدارتها تحقيقا للتعاون والتكامل بينها بعقلية الفريق.

يدخل التنوع التنظيمي في نهر العطاء المتدفق والعمل ليكون الناتج أو {العائد} تراكميا وكبيرا بحيث لا يقارن بناتج فعل الفرد المجرد، ومتى كان الفرد لوحده قادر على الإبداع بعيدا عن الإطار فلك أن تدرك أن المشكلة كبيرة في الاتصالات التنظيمية، ولك أن تدرك إن المصلحة أو المنفعية أو (الاستخدام) وليس (الاستثمار) لأبناء التنظيم هو حقيقة ما يحصل.

اذا لا بديل عن المشاركة الدورية لكل عضو في التنظيم، فالمشاركة في الهيكل التنظيمي (وضمن وحدته التنظيمية) بأدواتها الخمس هي حقيقة الدور والمكانة والإحساس بالوجود، والمؤشر الصائب إننا نقترب من تحقيق الاهداف الكبرى. (الأدوات الخمسة تتمثل: بالاجتماع الدوري للإطار وعبر محضر وبرنامج معروف، والتقرير الدوري عن النشاط، والمهمة إذ لكل مهمته ومسؤوله، والهيكل التنظيمي: إذ الكل منخرط ضمن الهيكل، وحُسن الاتصالات بين الأعضاء والجماهير)

مدرسة الليوث أم النمور؟

إن العضوية مقدسة من حيث أن تكاتفها وتكاملها وتعاونها يعني جهدا مركزا، ويعني نجاحا جماعيا ويعني انتصارا يتلوه انتصار، بإذن الله وهمة الفرسان، من حيث أن المشاركة للعضو أصيلة وبالأدوات الخمسة المذكورة، ولنكررها فهي تتمثل بالتالي بأهمية

1. حضوره الدوري لاجتماعاته السياسية والتثقيفية والعملية.
2. تقديمة لتقاريره عن أدائه ومهمته ومراجعاته وإبداعاته كلجنة وكمسئول لجنة في اطاره
3. بممارسته لدوره (حيث يكرس ويظهر ويثبت شخصيته وقدراته لأقرانه وللتنظيم) عبر المهمة الثابتة، والتكليف المؤقت، أي عبر العمل والنشاط المناط به بكل أشكاله.
4. بنقده لذاته وسعيه الدؤوب لتطوير ذاته وشخصيته، وتمسكه بأهداب الفضائل والقيم وتطوير قدراته الروحية.

5. وبوجوده أصلا ضمن إطار وباحترامه لإطاره وسرية ما يدور فيه وحسن تواصله مع زملائه ومع الجماهير.

العضو الذي يحترم قدسية عضويته وخصوصية إطاره (إن لم يكن له إطار عليه المطالبة بذلك) ضمن أخوته أو فريقه لا يعمد-على سبيل المثال- إلى نشر الغسيل القذر بالفضاء فيزمجر مجروحا حين يكتئب أو يتضايق أو لا يوافق على شيء ما، عبر تحويل المجموعات الالكترونية (على الواتس أب وغيرها) أو منصات التواصل الاجتماعي (في الفيسبوك وغيره) أو المقاهي بديلا متيسرا عن الإطار التنظيمي، فلكل خصوصيته وسرية مداولاته مع علنية فكر الحركة، أو علنية توصيات الإطار أو قراراته حسب النظام ونوع التوصية او القرار وحسب التدرج التنظيمي.

في التنظيم المشتت الذي تنخره عقلية الفردية والنزق والانتهازية يحصل الانقطاع والانعزال للأفراد ومنه تبرز عقلية الاقصاء مقابل الأنا والاستئثار، إذ تتأسس مدرسة النمر الانعزالية على حساب مدرسة الليث (أي الأسد) الاتصالية التفاعلية. (تعيش الأسود في جماعات «زُمَر» ما لا يفعله النمر الذي يعيش منفردا، وتتواصل الأسود بالحركات التعبيرية الجسدية المختلفة والمتطورة جدا، وعبرالتواصل البصري، والتعابير الصوتية المتعددة)

(ليزر) التنظيم

إن المشاكل البنيوية تتفجر عندما ترى الكادرات المتقدمة في الصفوف الأولى التي يطلق عليها مسمى (القيادات) -رغم أن {الموقع} المتقدم ولو كان رأس الهرم لا يعني {القيادة} بمفهومها العلمي أبدا-عندما تراهم يتعاملون مع البناء التنظيمي كعملية توظيف أو استخدام أو حتى استغلال بيّن، لا كعملية استثمار لقدرات الأعضاء الخلاقة ومشاركة، أو كنور جديد يضاف لأنوار أخرى فيركزها ويحولها لأداة ليزر قاطعة.

هذه المشاكل النبوية تتفاقم كلما ثم خرق التعاهد غير المكتوب بين

الاطارات العليا والدنيا وهو التعاهد الذي ينص على تقابل {المساهمات} و{العائدات}، أو بشكل آخر على الالتزام الطوعي مقابل الهدف الجامع، أي اننا كلما اقتربنا من الهدف معا نحقق التزاما أكبر به، وكلما كان الهدف هو آخر ما يفكر به المسؤول في موقعه، كلما تناقص الالتزام وتناثر التنظيم (بأعضائه وكوادره) فتاتا على موائد للئام.

العقلية المنهجية

المشاكل المنهجية في التنظيم، وباعتقادي أنها عصب الحقيقة الغائبة عن وعينا، هي المشاكل التي تعاني منها كثير من التنظيمات السياسية في عالمنا العربي، اذ يتم استبدال النظام والقوانين وسُبل الادارة الرشيدة (أو القيادة الحكيمة) بما يتوافق أو يتم تطويعه لرغبات {الذات} المحصنة والبعيدة عن المحاسبة، وبما يتوافق مع الطموحات الشخصية وأحيانا مع النزق والكِبر (أن تمشي بالأرض مرحا) بعيدا عن الدرع الذاتي أو الجماعي بضرورة اتباع المنهج الاداري/ القيادي العلمي، أو الرشيد الذي يُعلي من القيم، ويثبت المبادئ ويسير بين البدائل في حقل الزهور المتنوعة الألوان والروائح الزكية.

يمكننا أن نعرف التفكير بأنه: (نشاط العقل أو منهج العقل في حل المعضلات و المشاكل التي تواجه الإنسان ومحاولة التكيّف مع بيئته و فهم ما يصادفه من ظواهر).

وفي إطار رفضنا للتفكير الخيالي والتفكير الخرافي والتفكير بعقول الآخرين (العقلية النقلية المسلوبة)، وبمعنى آخر بعيدا عن الأوهام أوعن المحرمات بعقلية القوالب المصبوبة بتحريم مناقشة المسلمات يأتي التفكير التجريبي، والتفكير العلمي ما بين التفكير النقدي والتفكير الإبداعي لينشيء المحددات والمسارات التي نريدها أو التي يجب أن نتبعها في تفكيرنا وحكمنا وإدارتنا التنظيمية.

يقول الكاتب زكي الميلاد إن ((فكرة المنهجية تمثل شرطا أساسيا في عملية

البناء الفكري؛ لأنها تبلور الرؤية، وترسم الطريق، ويتأكد هذا الشرط عند معرفة أن البناء الفكري هو عملية طويلة، وبحاجة إلى زمن طويل نسبيا، كما أنها عملية بطيئة لا تظهر ثمرتها، أو ثمراتها سريعا وعاجلا.)) ويضيف قائلا أيضا ((وعن رؤيتي لفكرة المنهجية في عملية البناء الفكري، وفي طريقة اكتساب المعارف والعلوم، هذه الرؤية ابتداء لا تولد فجأة، ولا تظل كما هي جامدة، من دون تغير أو تحريك، وإنما تظل في حالة تغير وتجدد وتراكم دائم ومستمر)).

وعليه من الممكن آن نعرف المنهجية (المنهج) بأنها:(نسق عقلي منظَّم في ربط الحوادث و الظواهر المراد تفسيرها أوحلها بظواهر أو أحداث أخرى في نفس النطاق مما يوفر الجهد و الوقت والمال.)

مناهج التفكير و حركة فتح

إن المنهج الذي يجب أن يسود في حركة فتح هو المنهج الذي يرتبط بالأهداف السياسية من جهة أوبالفكر السياسي أولاً، وبالاتجاه الاقتصادي، ثم ثالثا بالرؤية المجتمعية في العلاقات ضمن الدولة القادمة ورابعا في تحديد شكل العلاقات مع المحيط العربي ومع الإسرائيلي والعالم.

أما خامسا فإن المنهج في التعامل داخل الإطار التنظيمي يجب أن ينبثق من أسس واضحة تدخل ضمن النظام ويتم تبينها ثم تطبيقها وهو الجزء الأهم والإخطر بالنسبة للعضو والعضوية والاتصالات الداخلية التي تمثل حياة التنظيم، وكي لا نبتعد كثيرا في المفاهيم سنميز في البداية بين بعض المفاهيم.

ففي حين أن {الاستراتيجية} تعني ضمن ما تعنيه: (علم وفن وضع المخططات العامة) حسب المفكر العربي خالد الحسن، أو هي (أفضل السبل/ الجسر لتخطي العقبات بالوصول من الضفة حيث نحن واقعا إلى الضفة الثانية للنهر حيث يجب أن نكون مستقبلا، استنادا للقدرة والفرصة والإمكانية).

وعليه تصبح {الأهـداف} والغايات (الغايات هي الأهـداف الكبيرة، والأهداف هنا هي الصغيرة أي المستتبعة للغايات) هي الضابط للإستراتيجية على اعتبار أنها تُصنع لتحقيق الغايات وعليه تُرسم السياسات (قواعد العمل) وتوضع الخطط والبرامج.

أما أن تحدثنا عن {المنهج} ومنه المنهج الفكري فيمكننا أن نعرفه بالتالي: المولى سبحانه وتعالى يقول (لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا) (المائدة 48) وفي هذا التعريف الأولى فالمنهج أو المنهاج يعني الطريق الواضح وضمن تعريفات عديدة فإننا نميل لاعتبار المنهج (نظام للتفكير يحدد أنواع أو أنماط التفكير، ويشكل المنهج القواعد المرجعية العامة عند التعامل مع المشكلة والبدائل)، أو لنقل ببساطة أن {المنهج أو المنهجية} الفكرية -حيث لن تفرق بينهما- سياسيا وتنظيميا هنا يعني: (الطريق العقلي المتبع للوصول للهدف).

فالمنهج التاريخي تكون كل تحليلاته وتعاملاته مع المشاكل وطبيعة قراراته المتخذة مرتبط بالمقارنات التاريخية والمفاضلات

والمنهج الماضوي وهو أيضا تاريخي لكنه يمجّد الماضي على حساب الحاضر ولا يرى المستقبل أفضل أبدا إلا إذا استنسخ الماضي

بينما المنهج الوعظي هو الذي يأمر ويضع التعليمات ولا يرى بالآخرين إلا منفذين

والمنهج القضائي يفصل ويحكم ويقضي فإما حق أو باطل وإما برئ أو مدان

بينما المنهج الفلسفي يحاول أن يجد علاقات بين مختلف مكونات الأمر حتى لو كانت الروابط وهمية ويربطها بما هو أوسع منها

أما المنهج الثوري فهو منهج التعامل مع الواقع بعقلية نقدية تغييرية، يفهم الواقع ويسعى لخوض الصراع لتغييره.

المنهج التغييري

إن المنهج الثوري يمثل طريقه التفكير، ويتمثل في أسلوب القيادة وأسلوب الإدارة الداخلية الذي يرتكز على قواعد هامة هي:

هو المنهج الذي يعظم من دور الإطار (الجماعة/ الفريق) على حساب الفرد فيه، فالقيمة لكل فرد في إطاره وقيمة الإطار بمخرجاته الجماعية.

هو المنهج الذي يصل لا يقطع، ويتابع ولا يتراخى ويعتمد الدورية في العمل (في الاجتماعات واللقاءات والمؤتمرات، ودورية المحاضر والتقارير عن سير العمل، والرد على الشكاوى، وإجراء المراجعات والمحاسبات في اوقاتها...).

وهو المنهج الذي يعتمد على الاجراءات والقواعد كحاكم لمجمل سير الأمور في التنظيم، فللنشاط أي نشاط قواعد تحكمه، وللانضمام للحركة قواعد، ولقياس الالتزام قواعد، وللترقي الحركي قواعد، وعليه فالنظام عامة والقواعد هي اساس الحكم ومقياس التطور والتقدم.

إن المنهج القيادي الذي يحترم الإطار كإطار لا ينكر تميزات بعض الافراد فيسمح لهم بالمبادرات والإبداعات، والإسهام عبر القنوات المتبعة، لذا فهو منهج انساني ليس تقليدي ولا وظيفي.

إن المنهج الثوري منهج متوازن ما بين بناء الشخصية الواعية والمثقفة وفي ذات الوقت الفاعلة الناشطة والعاملة وهي المؤثرة في الجماهير.

أن المنهج الثوري كسياسية هو منهج يركز ولا يشتت، ويؤكد ولا يشكك، فيركز على الهدف الرئيسي (إزالة الاحتلال...) ولا يجعل للثانوي تعديا على الرئيس أبدا.

المنهج الثوري منهج فهم واضح لمعادلات الواقع وللمتغيرات، وإدراك دائم للمستجدات وقد تختلف نسب الفهم فنميز بين الأعضاء، وتظهر الرؤية القيادية مع وضوح الرؤيا وصفاء الفكرة إلا أن ذات الفهم الواضح

للمتغيرات والمستجدات مباشرة أو عبر القدوة القيادية ضرورة.

المنهج الثوري السياسي يبتغى المصلحة من حيث فلسطين أولاً، ومن حيث أن القاطرة الفلسطينية لا يسترإلا في القطار العربي ومن حيث فهم وجودنا الأصيل في معادلة حضارة أمتنا العربية الإسلامية بشقيها المسيحي والإسلامي المنفتحة على العالم.

إن القواعد المتبعة أي المنهج الذي يحكم حراكنا السياسي والإداري والتنظيمي لا ينفصل أبدا عن الأخلاق والقيم الاصلية ومنطق القدوة والنموذج الذي يجب أن يتحلى به الجميع في مقابل الجماهير.

إن المنهج الذي يحكمنا في النظام الداخلي للحركة محدد بعناوينه الرئيسة من التزام وانضباط وخصوصية (سرية)، ومركزية ديمقراطية ونقد ذاتي وهو إن لم يكن متبعا فلا قيمة للنصوص، وإن لم يمارس دوريا فلا يرسخ في الأذهان، وإن لم تنطلق المقاييس التنظيمية منه فلا قيمة لما نكتب ونسطر.

إن المنهج الذي يحكم عقولنا كأعضاء في التنظيم يجب أن يكون أنا مهم، أنا مؤثر، أنا لي دور، أنا فخور بانتمائي، أنا أشارك إذا أنا ابن حركة فتح، فيصبح منطلق الأهمية في القدرة والنشاط وتوفر الوقت وليس منطلق الأهمية -وعليه الصراع والتكالب- على عنق الزجاجة أي بالتكالب على المراكز المتقدمة فقط. فالعضو لمجرد أنه عضو هو محترم وله مكانته بالتزامه بالمساهمات وهوفاعل وهام ومؤثر وفخور.

خاتمة

إننا أدعى ما يكون تنظيميا لتكريس مفهوم "العضوية لا الموقع كأولوية"، واعتبار العضو المناضل من حيث هو عضو في التنظيم يعني الإيمان والالتزام والفعالية والعطاء والإثمار، ويعني المشاركة لكل من موقعه والدور والممارسة، ما هو مدعاة للفخر بانتمائه للأمة وفلسطين والحركة.

لا عضوية بلا إطار تنظيمي، ولا عضوية بلا مسؤولية واضحة، ولا عضو بلا مسؤول أبدا أومرجعية نظامية، ولا عضو لا يعرف دوره أو عمله أو موضع مشاركته.

ولا عضو بلا اشتراك مالي شهري في هذا الجهد التنظيمي الطوعي من حيث أن التنظيم (التزام أخلاقي وعمل تطوعي).

إن غير ذلك لا يكون إلا حلم الانتهازيين والمستلقين الذي يريدون التنظيم جسرا نحو نجومية السلطة الخداعة، لا نحو آداب النضال ومقارعة المحتل، وقيم حضارتنا وثورتنا وحركتنا التي ترتبط بمرتكزين أساسيين هما: التضحية والإيمان المطلق بالنصر، ما هو دأبنا ومسيرتنا الجماهيرية المستمرة ولن تتوقف قافلتها بإذن الله إلا حين تظهر فلسطين الواحة المشرقة جليّة من البعيد.

من يجب أن يقود حركة فتح؟[12]

سأقصر الحديث عن الوضع التنظيمي، وداخل المؤتمر، فنحن ذاهبون للمؤتمر وفق برنامج وسياسات، ووفق فكر نظامي ووفق إرادة تغيير: تسمح ولا تسمح، تعي ولا تغفل، تعقِل ولا ترخي

وهذه الإرادة التي ينبغي أن تكون صلبة، يجب أن تتجلّى في الواقع التنظيمي لما بعد المؤتمر السابع، فما يعنيني لو كسبت العالم وخسرت ذاتي (كتنظيم) كما يقول المسيح عليه السلام، لذا كان التركيز من نقطة البداية، ونقطة البداية هي نحن، لأننا (نحن=الكل الفلسطيني والعربي) مادة الثورة ومشعل النضال الذي فينا إما يشتعل أويخمد، وفينا إما يتأصل أو يتهاوى.

ولأننا أصحاب مشعل الحرية والكرامة والنضال لن نقبل بأبواق الانهزامية والسوداوية والسلبية واللطميات داخل المؤتمر.

وسنكون سعداء كما يريدنا الله سبحانه وتعالى كمستخلفين في الأرض، بأن نعلم قبلتنا بوضوح، فلا تتقلّب منا الوجوه، وقبلتنا الوطنية هي فلسطين، وما المركبات المختلفة (التنظيمات) إلا مراكب نستقلها لتحرير فلسطين، ولن نخرق مركبنا أبدا.

أننا ندخل المؤتمر بسعي طموح، وإرادة لا تلين، وسعادة لن تعطلها تخرصات الأقارب أوالأباعد، والفجر الذي يطل من عيون فلسطين ويناديننا يفرض علينا أن ندقق في حَمَلة المشاعل (في اللجنة المركزية والمجلس الثوري، وفي سياق الاقليم بقيادة الاقليم) فلا نتوه بين الأشجار، ولن نرتكس أمام النباتات المتسلقة أبدا، لا تشدنا الحميّة أو العصبوية المناطقية، ولا ننساق وراء أصحاب الوعود اللاهبة أوالمصالح الآنية ما وجدوا.

12- كتبت هذه المادة قبيل انعقاد المؤتمر العام السابع لحركة فتح. وقد يختلف معها بعض القراء بمقارنة الحدث والنتيجة ولكل رأيه، ولكن مضمون المادة بصيغته التعبوية يفتح باب الصراع بشكل دائم ومتجدد.

إننا ندخل المؤتمر لبناء برنامج سياسي نضالي مقاوم فالرحلة طويلة، على كافة الاتجاهات، برنامج وحدوي شمولي لا يلغي الآخر ولا يهمل ولا يهمش ولا يُقصي، بل يرعى ويضم ويجمع التنوع في بوتقة الديمقراطية.

ذاهبون للمؤتمر لتأكيد حقنا التاريخي والقانوني والسياسي الذي لا يزول في هذه الأرض وهذا الوطن في فلسطين.

ذاهبون وأهدافنا السياسية واضحة لذا لن نسمح للطفيليات أوالطحالب والنباتات المستسلقه أن تخنق الاشجار الباسقة أبدا...

سندقق في حَمَلَة المشاعل القادمين لموقع قيادتنا على قواعد ثلاث هي:

1. القدرة: القدرة العقلية والجسدية والنفسية والقِيَميّة (الخلق القويم والقدوة) للعضو كي ننتخبه ليتبوأ الموقع المطلوب
2. توفر همة العمل وإرادة الفعل والبرنامج وخوض الصراع لا الانسحاق تحت ضربات الاحتلال، أو تحت أقدام الفيلة من الداخل والخارج من أصحاب الذهنيات المستبدة أو المناهج الفوضوية.
3. قاعدة توفر الوقت بتخصيص جلّ وقتنا (ومالنا وأرواحنا) فداء للوطن، ولتحقيق هذه الأهداف فنحن حملة الأكفان، وأوائل من سنكون على لائحة الشهداء... هكذا وإلا فلا.

ان القواعد الثلاث الممثلة بالقدرة العقلية والنفسية والجسدية والاخلاقية، وبتوفر همة العمل وارادة الفعل، وبتخصيص جلّ الوقت والمال والروح، هي مقتضيات النظر لمن يتقدم ليشغل المواقع المتقدمة... وإلا فلا.

لن نقبل من يشك أو يظن بالنصر، أومن نتوجس منهم أن يطأطِئوا الرؤوس أوينقادوا لاشارات الاحتلال أو أزلامه فيتحولون شيئا فشيئا الى خنجر في صدر الثورة والحركة.

لن نقبل أيضا بأولئك الذين يستغلون مصالحهم المالية، أوالرأسمال القذر لنهب البلد والسيطرة على الهرم الاقتصادي والهرم السياسي، وهم منزوعي

الاخلاق والقيم والثقافة حين تُقدّم مصالحهم (أوتختلط)على المصالح الوطنية، فالرأسماليون الاستغلاليون داء الأحزاب وآفة التنظيمات السياسية، فإما يطيحون بها أويسخرونها لخدمتهم، لا لخدمة عموم الجماهير... سواء وجدوا في المؤتمر، أو كان في مسيرتهم ما يدل على ذلك.

لن نقبل الجثث الهامده أو الخُشُب المسندة أو أرجل الكراسي الذين يقبلّون الأيادي والاقدام للمستبد (الديكتاتور) فينا، ويركعون عند أول اشارة تلوح لهم لتحقيق مكسب سلطوي يستغلونه سلبا لتحقيق مآربهم الخاصة، لا لخدمة الوطن بدماء متجددة وأفكار متجددة ومتطورة تنتهض به، وتشحن الهمم.

لذا نحن لن نسمح لمثل هؤلاء من الرأسماليين الاستغلاليين، أو الجثث الهامدة، أوالخناجر في جسد الثورة أن يتقدموا الصفوف بكل جهدنا، فنحن بمجموعنا نعي ونعقل ونسمح للأزهار أن تتنوع.

وفي ضوء قناعتنا بطهارة الثوب ولابسيِهِ من أبناء حركة فتح والمؤتمرين، الا أن الظن في بعضه إثم، وفي بعضه الآخر حُسن تدبر، ونحن أبدا مع وعد الله (وعد الله، لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون -الروم آيه 6)

من يمتلك القدرة والإرادة والوقت ويتحلّى بالقيم، كما يتحلى بالتمسك الأصيل بالمباديء سنضعه فوق الهامات والأكتاف، ونكون له مع ذلك بالمرصاد بالنقد الذاتي والمراجعات والمحاسبة والتقويم، فمن منهم بقامة أبي بكر أو عمر، وهما لم يتكبرا على المحاسبة والتقويم!

نحن بلغة الحوار والحصاد نكون أقرب لعين الأرض، ونحن بعمل الفريق نكتسي حُلّة الانتصارات بإذن الله تعالى، فنحن/ أنا/ كلنا ككوادر وأعضاء وقيادة سنبقى أوفياء لفلسطين وللختيار سيد الشهداء، ولتراب هذه الأرض الطيبة.

المتمردون في حركة فتح والفكر السلطاني[13]

فكرت مليّا عند كتابة هذا الجزء من الكتاب، وتأملت هل من المناسب نشره أم عدم نشره! لأن مضمونه غير المنحاز لن يعجب البعض من سدنة المعبد أو ذوي الفكر السلطاني المرفّه، فيأولونه وفق الأمزجة والأهواء النزق الشخصي، ولكني مع تكرار الحوارات المثمرة مع أخوة كرام من أعضاء الحركة عامة قد توصلت لتبني فكرة الضرورة بمعنى ان ما يكون ضروري في زمن يصبح بلا فائدة ترجى عندما يتعداه الحدث.

لذلك أكتب بشكل واضح، وإن كان مزعجًا لمن يسير معتاشا على هامش الأرباب، فلا يعني أبناء حركة فتح أمثالهم، ولا يعني أبناء حركة فتح وأنا منهم الا بروز الفكرة التي ابتدأت ولن تنتهي الا بشعار الحركة الخالد ثورة حتى النصر.

لذا دعوني أتساءل بمودة، ألم يكن الأجدر بنا خوض الصراع الداخلي بالأدوات "النظامية الداخلية" بحدها الأقصى، فلا تضيق بنا الصدور عند حدود الهمسات والاتهامات والإشارات الباردة تتهم هذا وذاك؟

ألم يكن من الأجدر بنا التعامل مع كثير من المختلفين أو المخالفين لنا أو المتمردين منا في جسدنا -سمهم ما شئت- بمنطق الحوار والنقاش الهادئ وبمنطق العقل والحجة والتفاهم، وبمنطق الاحتواء والاستيعاب، بل وأحيانا التجاوز عن كثير من الاساءات؟ انتصارا للنظام وللأخوية النضالية، وللمظهر الوحدوي الشامل، وابرازا للصورة بالألوان لا بالأبيض والأسود فقط وهي الصورة التي تجلب الأمل لأبناء الحركة الميامين و لهذا الشعب الصابر الذي قد نفتقد صبره علينا فيدير لنا الظهر؟

ألم يكن من الأكرم لوجوهنا أن تبدو باسمة وليست مقطبة، فتكون أكثر

13- جاءت كتابة هذا الجزء من الكتاب في ظل الهمسات الداخلية في حركة فتح، وفي ظل احتداد بعض الصراعات الداخلية التي لا يخلو منها تنظيم، ومنها حركة فتح.

قدرة على لم الشتات في ظرف طغيان الاسرائيلي الواسع، وطلاق الاقليمي لنا؟ ومراوغات الدولي؟

ألم يكن من الأكرم لنا أن نعض على الجراح حتى لمن أساءوا لنا تنظيميا أو سياسيا فنعمل على لم شعثنا وتقريب الأباعد؟

قال لي الكثير من الأخوة لا تكتب بهذا الموضوع فتصنف باتجاه اليمين أو اليسار! فقلت كما قال معلمنا وأستاذنا المفكر الكبير خالد الحسن رافضا منطق التصنيف الأعمى (اللهم اجعلنا من أهل اليسار في الدنيا، ومن أهل اليمين في الآخرة)

هذا كان ردي وسيكون حسابي العقلي للمختلف مع فكر حركة فتح الوسطي الاحتوائي الجامع النشط عسيرًا، فلستُ من الذين يقتلون "النظام" والقانون والهدف من أجل عيون هذا الزائل أو ذاك، ولست -وأحسب جلّ أبناءالحركة كذلك- أو لسنا من حملة المباخر، أو ممن نُشترى بقليل من الدراهم أو كثير، فهذه ثورة عملاقة وهذا فكر عظيم وهذا تاريخ مجيد، ومستقبل لن يكون مشرقا إلا بكتف أخي إلى كتفي وبصدره يذود عني خفق البنود، أخي/ أختي في حركة فتح، واخي من كافة الفصائل مهما كنت وقد أظل مختلفا معهم في كثير من المواقف والأفكار والسياسات.

كان من الأولى لنا بدلا من أن نقيم المشانق، حتى دون محاكمات أحيانا، أن نستمع بأناة، ونصبر ونكظم الغيظ، ونضم الأحبة والمتمردين منهم الى جوانحنا رغم أن منهم من قد مالوا أو كالوا بمكيال آخر! ما هو مرفوض قطعا!

ألم يكن من الآجدر بنا أن نفتح الباب قليلا فنوسع المساحة لتلاقى العيون واقتراب الصدور بديلا عن برقيات التهديد المتبادلة عبر فضائيات لم يصبح لها من المهمات الا إحداث مزيد من التشظي والشروخ في الحركة الوطنية عامة وفي حركة فتح؟ لتفرح الحركة الصهيونية وتتسيد على فلسطين وفي ربوع

المنطقة التي تحولت خرابا.

إن في حركة فتح "البعض من العشرات" الذين يحملون الفكر السلطاني المرفّه، وكثرة غالبة هم "قلب الحركة وعقلها" تحمل مفاتيح النضال فتضحي بوقتها وعقلها وروحها لفلسطين، وقلة أخرى تستقوي بالخارج، فإن تسامح الفكر الجمعي الفتحوي كثيرا مع الاستبداد وحتى مع اصحاب الفكر السلطاني، مع الاستبداد في سياق إيثار السلامة واتقاء الفتنة فإنه لا يتسامح أبدا بأن يدخل الدب إلى كرمنا من بوابة الآخر.

إننا في صراعنا الداخلي لن نغلق الأبواب وراءنا أبدا، حتى في وجه القلة أو الأبعاض، فما حصل وهو أليم حقا ولم نرض به، ما زال قابلا للتجاوز، ولا نريد لهذا الشعب وهذه الحركة أن يتفرق جمعها شذر مذر.

لقد أوصاني أبي أن أعض على الجراح وأتجاوز، وقال لي أخي ياسر المعتقل أن بعد الظلام شمس ساطعة، وهاتفني أخي عمار الشهيد بالأمس قائلا: مقعدك بجواري مازال خاليا فلا تجعلني أطيل الانتظار، ولا تطيل المُكث بالخارج...لقد اشتقت لك.

حركة فتح ما بعد العاصفة![14]

حين تتصارع الأفكار فإن تلك الأفكار التعِبة المجهدة منها سرعان ما ترتبك أو تستسلم، وتركب خيل السباق الأفكار التي تختار لها من الجياد الأصيلة.

تقف الأفكار الأصيلة لكنها (التطهرية) حائرة لا تدري السبب في التراجع؟ فلم يتم تبنيها! أهو لخطأ في ذات الأفكار المحمّلة بالقيَم وأسس النظام ونسيج العقل وخريطة المرور؟ أم أن الخطأ في (حملة المشاعل)؟ أي حملة الفكرة الصلبة حين تتجاذبهم أحلام السلطة الوردية أو اغراءات السلطان القرمزية، أوعصاه الغليظة!

ولربما تحتار الأفكار التطهرية الى أن تنكمش أو تُهمّش. (الافكار التطهرية بتعريفنا هي تلك الأفكار التي ترى ذاتها صحيحة لأنها مرتبطة بالقيم والاخلاق والجماهير والوعي، ولكنها تفتقد الأسلوب الثوري في التعامل).

حين يبدأ الاستعراض لا تستطيع هذه الأفكار أن ترسم لذاتها خطا مقروءا، إذ تكتشف أنها حتى لو كان لها خط واضح ومقروء فإن المستهدفين من الجمهور لا يقرأون أصلا! فهم قد طلّقوا عقولهم، وأجّروا أدمغتهم، فأصبحوا أجسادا بلا أرواح، أو فتات صخور كواكب أصابتها لوثة كونية فتشظت وتناثرت...فرِحة!

كان الحوار حادا وثقيلا بيني وبين أحد الأخوة الأصدقاء حول حزب جبهة التحرير الجزائرية، وهو إذ حاول أن يفلسف المآل الذي وصل اليه الحزب من صراعات شديدة وتباينات خطرة -استخدم فيها المال والبلطجية والسلطة- وهو الحزب المناضل الذي أطلق شعلة الثورة الجزائرية، فإنه حاول التمييز بين ثلاثة اتجاهات رئيسة في الجبهة، الأول هو السلطوي الاستبدادي، والثاني هو الاتجاه الجذري الثوري كما أسماه لكنه التطهري، والثالث هو الاتجاه الإمّعي (من الإمعة الذي يميل حيث تميل الريح فلا عقل ولا رأي ولا تدبير)

14- ضمن قراءتنا المباشرة لما بعد مؤتمر حركة فتح السابع للعام 2016.

الذي يتصبب عرقا وهو يجري خلف السلطوي الاستبدادي، ويغيّر قِناعه فيبدو بقناعات مغايرة عندما يقف في مواجهة الاتجاه الجذري محاولا التمظهر برداء التلاميذ الذين ينهلون العلم، لكن عقولهم كالسنابل الخالية تسبح في خيالات اللذة المشوبة بالبِطنة، وبريق العيون حين تلمع على باب رب الأرباب، أو عندما يلمح طيف خدمِهِ أو زبانيته.

كان الحوار جـادا وحـادا بيني وبين الصديق لأني رفضت المقارنة الاستنساخية للتجارب خاصة بين النتيجة التي وصل لها التنظيم الثوري الجزائري حين تحزّب، وبين حركة فتح الحائرة دون توازن بين التنظيم الثوري وعقلية الحزب السلطوي.

كان المؤتمر السابع لحركة فتح في نهاية العام ٢٠١٦ مؤتمرا براقا ومثيرا، ومضللا بنفس الوقت، فبريق المظهر وكم الاثارة التي ترافقت معه لربما طغت على كثير من الغموض والتضليل، عبر سيل الخطابات التي قدمها أعضاء المؤتمر مُغفِلين أومؤخرين عرض الفكرة أو الانتقاد والمراجعة ليقدموا ذواتهم كأولوية طغت على الأهداف الحقيقية لعقد المؤتمرات، ومع ذلك ظهرت مجموعة من الايجابيات الهامة التي لم يكن ليتوقعها الكثيرون في مقابل تكريس عدد من الأبعاد السلبية.

كان من المتوجب علينا أن نصارع ونقاتل ونعمل بشدة داخل الحركة، وإن بطريقة موسى وهارون مع الفرعون (فقولا له قولا لينا) لتغييرها، ولكننا فشلنا فشلا ذريعا أو لم نستطع أن نقدم النموذج الذي يحتذى به، فانبطحنا أمام الأنا العليا فينا.

في المؤتمر السابع لحركة فتح تصارعت الأفكار مع المصالح، والمصالح الآنية مع تلك الآجلة، كما تصارعت الأجيال بقسوة، كما كان للمناطقية دورا انتهازيا، بل وكان الصراع شديد الوطأة بين خط السلطة/ الحزب، وخط الثورة (ترى مثله بوضوح في كافة الفصائل الفلسطينية أيضًا) حتي أسفرت المعركة عن فوز أحدهما على الآخر ربما بالضربة القاضية.

إن من إيجابيات المؤتمر السابع لحركة فتح أن كرّس ضرورة عقد المؤتمرات وربما دوريتها لاحقا، كما كرّس قدرة حركة فتح على تجاوز الأزمات والصعاب سواء الخارجية (الضغوط) أو الداخلية (التمرد، والتجنح، والمشاكسة) فعلى الرغم من كثير أخطاء وعثرات شابت التعامل مع المتمردين إن شئت، فإن حركة فتح التي ترفض التجنح أو الانشقاق أو التشرذم اعتادت التسامح مع الاستبداد فيها اتقاء للفتنة او التشرذم وذلك على حساب الديمقراطية والنظام (القانون)، ولربما كان هذا امتدادا لعمقنا التراثي الحضاري العربي الاسلامي الذي يعتبر (الفتنة أشد من القتل) فيوالي السلطان الفاجر ولكنه القوي اتقاء للفتنة، وفي سياق مفاده أن دفع الضرر أولى من جلب المنفعة حتى في الشأن العام والأمور السياسية.

تمكنت حركة فتح أن تظهر موحدة رغم أنف الحاقدين، ورغم أنف الشامتين المنتظرين بلهف لتشظي حركة فتح، او حماس او الشعبية، ليصعد ألعوبة الامريكي أو الاسرائيلي بديلا عنهم، ظهرت موحدة ما يحسب لها باحترام وحُسن تقدير، إذ أمسك الرئيس أبومازن بالزمام وقاد الخيول بكفاءة -اتفق البعض مع منهجه أو اختلف- فإنه كان معلّما قطع بعمله هذا رقاب الفتنة، بل وأسكت بعض ألسنة الحق ذاتها فلم تواجهه خوفا وطمعا وليس رجاء، الا ان الكامن تحت السطح البارز لجبل الجليد كثير مما لا يستطيع المؤتمر السابع أو آليات وطرق الإدارة الخائبة، والقيادة الحالية أن تتغافل عنه أو تتجاوزه أبدا... ما يوجب عليها البدء سريعا بورشة عمل لحلّه من أسفل الى أعلى.

استطاعت حركة فتح التي جدّدت لغالب قيادتها السابقة دون جهد كبير، أن تكرس احتراما للقدماء والروّاد بعقلية الدراويش والمريدين التي تميزها حتى الآن، ولكنها لم تستطع أن تخرج من إطار الأنا والشخصنة والارتباطات الضيّقة، فلم تفرز ارتباطات متمحورة حول الفكرة أو الرأي السياسي أو الموقف الصلب، كما ان معظم من شارك بالمؤتمر افترض بذاته قامة متساوية لزملائه حتى لوكان زميله متقدما عليه بآلاف الخطوات، فوقع المحذور

والمحظور إذ تنافس الصغار على الموقع المظنون به الكثير مما هو هراء ووهم، فنجح تكتيك الكبار، وتعملقت الأنا وروح الاستبداد فينا.

نجحت حركة فتح بتقريب الأبعاد بين التجارب النضالية الرئيسية (تجربة القواعد/ التنظيم بالداخل أوبالخارج/ الانتفاضة والمقاومة/ المعتقلات) وربما بشكل جزئي، ولكنها لم تحقق اندماجها مطلقا كما كان للتجربة الحديثة وهي الخامسة اي تجربة (السلطة) ان تسيطر وتهيمن حتى على هواء المؤتمر...تقريبا بشكل كلي.

مع كثير ايجابيات ارتبطت بالصورة، خاصة تلك التي وقف فيها الأخ الرئيس ابومازن مع أعضاء اللجنة المركزية المنتخبين، ومع خطابه الشامل كرئيس دولة، ومع تقديمه والمؤتمر التقدير للقادة المؤسسين (أبوماهر وأبوالأديب وأبواللطف)، ومع شفافية الانتخابات المشهود لها، إلا أن السلبيات تأبى الا أن تطل برأسها ما يحتم علي أخوتنا باللجنة المركزية (وأختنا دلال سلامة) أن يعيدوا حزم أمورهم وطرق ادارتهم وطريقة تعاطيهم مع أصل الحركة، ومع قلب الحركة، وعيون الحركة.

إن أصل الحركة فكرة التحرير لفلسطين، وقلب الحركة النابض هم الأعضاء، وعيون الحركة هم الجماهير، فبدون القدرة على إعادة تجديد وبلورة الفكر الفتحوي النهضوي التقدمي نسقط في فخ الجمود والتكلس والتراجع، ونصبح أسرى الاستبداد والسلطوية والاجتهادات الشخصية، وهيمنة الفرد الإله فقط في أي موقع كان.

وهذا يقتضي منا أن نتعلم أن نحني الرؤوس في الصلاة فقط لله عز وجل دون غيره (يا داوود إنا جعلناك في الارض خليفة فاحكم بين الناس بالعدل... اني وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني)، ويقتضي ان نؤمن وننضبط ونلتزم ب(النظام الداخلي) والقرارات المتخذة أصولا، وبقيادتنا ما أحسنت، وأن نلتزم بقيمنا الجامعة، وبالنقد الشخصي للأداء في داخل أطرنا فقط.

لقد فشلنا بالمؤتمر أن نضع ضوابط نظامية تكبح جماح اللجنة المركزية إذا أساءت، أو أخطأت في مواضع كثيرة فنقوّمها، وفشلنا بتكريس أداة رقابة فاعلة، بل ان المؤتمرين -وانا منهم- لم يكلفوا أنفسهم أن يحاسبوا أعضاء اللجنة المركزية على كثير أخطاء تراكمت عبر السنين في منهج السياسة وتشابك دهاليزها، وفي الإدارة، والانتخابات المختلفة، وفي التنظيم ومخرجات العمل، ووقفوا مبهوتين مبهورين، فسقطنا عند حدود الخطابات واستجلاب الأكف اللاهبة بالتصفيق التي طغت على الحس النقدي لدينا، هذا الحس النقدي الذي كان مجاله الحقيقي في هذا المؤتمر، وفي المؤتمرات الحركية، والاجتماعات عامة لا في الدواوين والمقاهي، أو على صفحات التواصل الاجتماعي التي تتحول لنزيف أفئدة، وردح، وسخرية وسوداوية، وأدعية دون قطران.

إن عبقرية السقوط هي النتيجة الحتمية لاستراتيجية الفشل، ولا تأتي استراتيجية الفشل الا في حالة الترنّح ما لا يحتاج من اصحاب العبقرية هذه نتيجة افتقادهم الوعي والرؤية الصحيحة الا دفعة قوية نحو الهاوية.

عبقرية النصر هي النتيجة الحتمية لاستراتيجية المقاومة، ولا تبرز استراتيجية المقاومة الا في حالة الوضوح مع الذات والجماهير وحين امتلاك الرؤية الصحيحة، ما لا يحتاج من اصحاب العبقرية الا دفقات متصلة لا تنتهي الا بالنصر، النصر الذي هو مبرر الصمود والرباط وهدف تراكم الدفقات.

إن قلب الحركة النابض هم أبناء الحركة، أعضاء الحركة، وإذ كرسنا "الاستغلال" للعضو الحركي فإننا سنربي جيلا انتهازيا يسعى للأخذ ويسعى للجائزة، ويسعى لمصلحته في إطار الربط الفاسد بين الحركة وبين السلطة الفلسطينية، اذ يفترضون أن هذا يشكل جسرا لذاك والعكس بالعكس، وما هذا صحيح أصلا، وماهكذا تكون النضالية أبدا، ولا هكذا هي الثورية التي إن فقدت روح التمرد والعمل لفلسطين فقط، وروح التضحية بحمل الأرواح

على الاكف، وان افتقدت النظرية النضالية تحول اعضاء التنظيم الى قطيع يدار بالكلأ والماء وعصا الراعي.

العضوية مسلك وقيم وإيمان وإرادة وإنجاز، وليست موقعا أو منصبا أبدا، وحيث وُجِد العضو نفهم ان هناك (عمل) وهناك (ابداع) وهناك (انجاز)، ولا نفهم العضوية ان تتحول الى انتهازية مطلقة، وباب شِكاية ولطميات وشتائم، أو تتحول الى ذيلية لهذا او ذاك فيما كان سابقا يسمى ظاهرة (الاستزلام).

إن العضو قدرة وعطاء ودور ومكانة تُحترم، والعضو قبل ان يتحصل على (العائدات) فإن (مساهماته) هو هي التي يجب ان توضع بالميزان ليُصار لتحقيق البناء ومسح درج الصعود فلا يتزحلق أحد.

الجماهيرهم أعين الحركة، وهم الناس الذين أشركناهم بشؤوننا فلم نبتئس عندما انتقدونا او فرحوا لنا-رغم ضرورة الحفاظ علي خصوصية المداولات بالأطر ما تفتقده التربية التنظيمية- ربما لأن حركة فتح تعتبر نفسها أم الجماهير وبنت فلسطين، فهي تشبه كل وطني وكل ثائر وكل حر، ولكن يجب الا نقف عند هذا الحد فقط، فنرقص طربا ونعيش على أمجاد الماضي.

الجماهير طاقة نضالية جبارة، وهم حقيقةُ الفعل الكلّي الذي بهم نتجاوزالعقبات ونخوض الصراع الشرس ضد الاحتلال، ونحقق برنامجنا السياسي والنضالي وعبر المقاومة الشعبية الشاملة ومن خلال أدوات النضال الجديدة الأخرى التي أشار لها الاخ الرئيس من قانونية ومقاطعة، وضد العنصرية (الابارتهايدية) وفي الرواية التاريخية.

إن البرنامج السياسي لحركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح والبرنامج الوطني والنظام الداخلي (الدستور/ القانون) قد ظُلمت بالمؤتمر، فلم تأخذ حظها بالنقاش العميق أبدا لضيق الوقت، مع امكانية التمديد من جهة ما لم يحصل، ولغلبة الصّبغة الخطابية الانشائية علي البناء الفكري والسياسي،

ولتعدد اللجان التي فاقت ١٣ لجنة توزع عليها المؤتمر، وأيضا لكثير من العمل الجانبي الطاغي باتجاه التحالفات الانتخابية، وتدخلات أدوات السلطة الخفية ولكنها الملموسة.

لكن في جميع الأحوال فان القيادة القديمة الجديدة التي أحيلت لها البرامج تستطيع ان تعتمد سياسيا على الوثائق الثلاث الرئيسية والهامة، وهي خطاب الاخ الرئيس والتقرير السياسي للجنة المركزية، ومقترح البرنامج السياسي الذي لأول مرة في تاريخ الحركة يستغرق نقاشه أكثر من عامين برئاسة د.نبيل شعث ومشاركتنا في٧٠ ساعة عمل، اضافة لعدد من المداخلات الثرية، فتبني منها جميعا البرنامج السياسي النضالي، وتقدمه كاستراتيجية اشتباك مع الاحتلال في السنوات الخمس القادمة.

حين الحديث عن النظام الداخلي (الدستور) فإننا نسجل باحترام شديد قدرة المرأة الحركية على اثبات ذاتها، كما كانت قدرة الشبيبة، والذين لن تستطيع اللجنة المركزية ان تتجاوز مطالبهم المحقة بأطر رسمية معترف فيها داخل النظام.

رغم صعوبة النقاشات لمقترح تعديل النظام داخل المؤتمر، وتباين الطروحات لاختلاف التجارب والعقليات ونماذج التفكير، إلا أننا بالحقيقة بحاجة لنظرة عميقة للكثير من البنود المتعلقة بالأطر القيادية والقاعدية، وفي آليات الانتخاب وفي طريقة تحديد عضوية المؤتمر العام، بل وفي المبادئ الاساسية التي يبتدئ بها النظام، وهي مهمة ليست سهلة لتنظيم عريق لكنه فتيّ ينهد للديمقراطية والتجدد، عليه أن يخرج من أسر رمزية القيادات التاريخية (أبوعمار، ابومازن) الى مربع الارتباط الكلي بالقلب والعيون والأصل الجامع.

يتموضع فكر حركة فتح في الأصل الوطني الحضاري الجامع للكل المتنوع فيها، الذي ان لم يتم اغناؤه بالثقافة والتعبئة والتحريض والفكرة الوحدوية حول فلسطين، وبالتدريب والتجديد، فان الاندثار أوالانحسار على الأقل قادم

لا محالة، وسيكون مآل التنظيم ليس بأفضل مما هو حاصل مع تنظيمات عدة، بما فيها تباينات حزب جبهة التحرير الجزائرية الصعبة والتي ابتدأنا حولها الحديث، أي الى مآل الانتهازية والنفعية والأنا والسلطوية وما يجره ذلك من تمزق وتشظي لا تحمد عقباه.

إن الجماهير وجميع الفصائل بما فيها "حماس" و"الجهاد"، وكذلك الحردانين والمستائين من الحركة قبل او بعد المؤتمر تنظر الى حركة فتح نظرة الأمل، ونظرة الاخ الاكبر المطلوب منه أن يُقدم ويبدع ويتحرك ويصنع الأحداث ويحتضن، ما يعني ان المهمات القادمة أصعب فلا مناص من أن تستعيد فتح عافيتها بعد عاصفة المؤتمر.

ان على حركة فتح أن تستعيد دفء علاقتها مع الأعضاء والجماهير وعليها أن تبني استراتيجية نضالية شاملة تقلص من مساحة فعل السلطوي لصالح الكفاح الشعبي المقاوم، وتمد اليد مفتوحة لجميع الاخوة، فالعقل التجميعي الوحدوي من حول فلسطين هو عقل حركة فتح التي رفضت اسالة الدم الفلسطيني على الحوار، وقبلت التنوع وعقلنته، ورغم كثير اساءات وجروح وطعنات عانتها الحركة من القريب والبعيد الا أنها سرعان ما تعود لتحتضن الجميع في إطارنا الوطني الجامع، ومن خلال منظمة التحرير الفلسطينية المطلوب اعادة تنشيطها وتقويتها بكل الفصائل والمؤسسات والشخصيات الفلسطينية والعربية، وتوجيه السلاح فقط ضد الاحتلال الاسرائيلي الذي لم يُبقي لنا الا أن نتماسك ونتعاضد وفق حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم (كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا).

نجحت حركة فتح في مؤتمرها السابع، سيري وعين الله ترعاكِ كما ظل يردد قائدها التاريخي أبوماهرغنيم، فظهرت صلبة عفيّة قوية، #حركة_فتح_قوية، فغنّت نشيد (الغلابة) و(أنا يا اخي) و(أنا قد كسرت القيد)، ورسمت علامة النصر، ولبست كوفية الختيار الخالد فينا، وبكت الشهداء ووعدت الاسرى، لكنها بانتظار (حملة المشاعل) من الدعاة الصلبين فيها،

الذين ينطبق عليهم قول الشاعر أحمد شوقي: (قف دون رأيك بالحياة مجاهدا ان الحياة عقيدة وجهاد) الذين يستطيعون خوض الصراع بحزم، ويقدرون على تحويل النشيد الى فعل متراكم، وإلى نور ساطع وإلى عمل وطني تحرري مقاوم شامل، لا غنى عنه ولا بديل، فالقدس وفلسطين ان لم تكن في مجرى دمائنا، فالجلطة نصيبنا المحتوم.

أنا لا أنتمي لحركة فتح![15]

أنا لا أنتمي لحركة فتح!

من أجل أن أكون واضحا لامعا نافرا معفرا، وانما انتمى لحركة فتح لشيء آخر...

لأنها أم فلسطين أو بنت فلسطين، لأنها سلم الوصول لأمها أو ابنتها

لأنني رأيت فيها جادة الصواب، ولأننى أقبل أن أكون جنديا يخدم،

يخدم في أي موقع

وعضوا أصنع منهجى وأظهر أثري ونتاج ليلي ببلاغة...

أنا لا انتمي لمن تهزهم المواقع أو المناصب

أو لمن يختالون فيهتزون كالريشة في مهب الريح

ومن هنا نحسن البداية.

أنا لا أنتمي لحركة فتح

لأحصل على مكافأة نهاية الخدمة

أو لآكل منها المحاشي أو القدرة أو المشاوى أو المناسف أبدا...

ولست أسعي لسدر الكنافة اللذيذ ولا الي أصابع الكلاج (الألاز) الزاكي

فلست بالساعي لغرور السلطة وبطنتها أو ردائها الوثير

يكفيني رداء محمد (صلى الله عليه وسلم) آو علي

ولست ممن يلتذّ بممارسة نفوذ التسيّد علي رقاب الناس.

15- (كتبت في 20/ 11/ -2016فلسطين-رام الله)

لقد انتميت لحركة فتح لأنها حركة الدراويش

فأضع خدى مداسا للفقراء الذين يعزمون علي النضال

فيصلوّن الفجر

ويقرعون أجراس الكنائس

مرددين نشيد البرتقال رافعين رايات الغضب وعصير الزيتون

أنا لا أنتمي لحركة فتح

لأنها تمثل شخص هذا أو ذاك

بل لانها تمثل فكرهم/ فكرنا الجمعي وسعيهم الكلي وثوريتنا الجامحة

وأنا انتمى لحركة فتح الفكر والثقافة والأصالة الحضارية

ولأنها ترفع الأهداف فوق الشخوص

وتحتمي بأصالة الانتماء للأرض

وبسالة الشعب وإبائه... في امتداد رحيق الأمة يرطب أفواه الجماهير

أنا لا أنتمي لحركة فتح

منخدعا بالأضواء البراقة أو بحليب السلطة منزوع الدسم

وانما انتمى لأخدم

وأقدم

وأعطي

فأنا أخذت منها الكثير من القيم والانتماء والنظرات والسلوى

وتعلمت منها الإباء والتساند والصلابة ونبع الحنين

أنا لا أنتمي لحركة فتح

لمجرد أن أكون رقما أو أضافة، أو ملحقا تافها

وإنما انتمى لحركة فتح لأمنح وأشارك وأبدع

وأصنع مع اخواني/ أخواتي مستقبل بلادنا والمحيط اللجي

أنا لا أنتمي لحركة فتح

الا لأنها تشبهني وتشبه فلسطين...

بالغني والتنوع وثراء متحف التراث

وانتمى لها لأنها تعج بناس يمتلكون من الإيمان

وطيبة القلب

ونزق الحب الذي يفيض فيجري أنهارا

في حركة فتح نتصارع ونتشاكس

وتظهر فينا نوازع الإنسانية والألم حين تحتقرنا دبابات العدو فتقتحم بيوتنا وعقولنا...

نرفض ونصرخ بصيحات الأمل المقرون بالعمل

إذ نحمل الحجر ونجعله الشاهد الحي علي موكب الشهداء

أنا لا أنتمي لحركة فتح

لأنها حفلة عرس أو مهرجان أو مؤتمر أو مسند أريكة

أو لأنها بوابة فحيح

أو منشورا على وسائل التواصل الاجتماعي...

هي فتح لأنها سياج آمن، وتراث كامن

هي فتح لانها سياق متصل لم يجعل النهايات منفصلة عن البدايات،

هي فتح لآنها سياق يتكامل ... يجعلني أصحو مطمئنا علي أطفالي وجيراني

مطمئنا تحت سماء فلسطين العالية وشجرها الضارب الجذور لآلاف السنين

أنا لا أنتمي لحركة فتح

لنوازع الأنانية أو المصلحية أو الكبرياء الفارغة،

حركة فتح هي مجالي لأنني أشارك اخواني وأخواتى

ومجالي الذي أصنع به وبهم ومعهم معلقات الفتح في جوف الكعبة

ولآنني معهم أقطف سُهد النخيل في باحات المسجد الأقصى المبارك

أنا أنتمي لحركة فتح فخورا

بأن يشيرون لي من البعيد قائلين: من بريق عيون الفدائيين تشرق المنايا والرزايا

وترتفع توابيت الشهداء

وتتدلى أعواد المشانق

وتنتفض الأيادي المكبلة بزرد السلاسل

وينتفض قلم الكاتب وريشة الفنان وحنجرة الشاعر وقبضة المقاتل

أنا أنتمي لحركة فتح

لأنني أشم فيها رائحة الحالم

يصحو على صياح الديكة

مبهورا بجمال الفجر

مسحورا بإبهار آيات الله جل وعلا

وانتمي لحركة فتح لأنني ارغب فيها أن أقبل يد العامل

وأغسل قدم الفلاح

وأخيط رداء أمي في نسيج كل الأمهات...

في حركة فتح أعانق بحر حيفا والمجدل ورفح

وأطل فيها من علياء جبال الجليل حتي صحراء السبع واريحا والخليل...

فهل ستظل هكذا أم أضلّ أنا!

أنا لا أنتمي لحركة فتح، بل لفلسطين أولا، حيث وجدت المفتاح أخيرا

كيف نبني الشخصيات الحرة في القيادات الطلابية؟

إن بناء الشخصية تحتاج من الشخص نفسه (الاعتراف) أولًا بحاجة ما تٌشعل (الرغبة) لديه للبحث أو السعي (للمعرفة) للتزوّد بها، ومن ثم (بناء) ذاته بالعلم والثقافة والتجربة والقدوة والتدريب.

وعليه فان قدرتنا كمكلفين أو قادة رأي على تحقيق التأثير في الشخص في أساسها إن لم تكن مرتبطة بالقدوة أو النموذج أولا، أو الحدث الابداعي والمبهر والمثير للشخص ثانيا، أوبالنشاط الجامع ثالثا والملبي (للاحتياجات والرغبات)، أو رابعا عبر الفكرة المفيدة والنافذة، أو خامسا عبر تأصيل مستوى التواصل بشكل غير منقطع ميدانيا وفضائيا فإننا نكون في البدايات، إن لم نكن في المرحلة التي تسبق الوعي.

إن عملية البناء للشخصية في مرحلة "ما بعد"، أي في المرحلة الجامعية لا يمكن أن تأتي بقرار خارجي، وان كان للعامل الخارجي من الحث الكثير ما يجب العمل فيه، وإنما محرك البناء الرئيس قرار داخلي في الشخص نفسه، ويكون قراره هذا من ذاته نعم ولكن ذاته المتأثرة بالمحيط.

لذا فان قدرتنا على أن نكون نحن من أدوات التأثير في ذات الشخص هي بمقدار ما نستطيع أن نكون أحد عوامل التأثير في محيطه، أو ببساطة أن نكون أمامه لا خلفه، بالفكرة أوالعمل أو النموذج.

الطريق الشاق للتأثير

كيف نكون أمام الشخص تحت ناظريه وليس في خلف عقله؟ يحتاج منا ذلك أن نسلك سبيلا غير معبد، سبيلا شاقا، وربما طويلا، لأن عوامل التشتيت والإلهاء من جهة إضافة الى قائمة الاولويات الحديثة لدى الانسان العصري تعددت الى الدرجة التي لا يستطيع أو لا يريد بموجبها أن يضعنا في قائمة أولوياته هذا اولا.

وإن استطعنا أن نكون في ذيل قائمة أولوياته فهذه بداية الطريق إذ نتمكن من التمدد أوالصعود درجة درجة لنكون في مقدمة أو رأس القائمة، وبالتالي نصبح في دوائر اهتماماته أو من أدوات التأثير في محيطه.

إن المشكلة الكبرى ليست في القيادات الشابة أبدا، وإنما في القيادات المؤسِسة أوالمنظّمة التي ترغب بالوصول للطلاب في ظل فهمها أوضرورة فهمها لمتغيرات العصر، وأهمية التواصل والحوار والمشاركة، وكيفية التموضع في دوائر اهتمام وقائمة أولويات، وفي محيط الشخص اوالطالب، وعليه فان آلية التمكين من التموضع هذه تعتبر حجر الزاوية في عملية البناء.

التعبئة المؤقتة والتربية الدائمة

لنعد الى البدايات فهل نستطيع استنادا لمجد سابق، أو تاريخ عريق، أواستنادا لانجازات انقضت أولشخصيات خالدة، أو لكلمات مكررة أوعبارات أو شعارات مشحونة ومسجوعة، أو اقتباسات تحريضية أوتنفيذية أن نربي أجيالا؟

هل نستطيع عبر الاستخدام "السيء" للقرآن والدين، أو بسحب سوط التكفير أو التجهيل أوالتخوين أن نضرب به وجه المخالفين، أن نفوز؟

هل نستطيع بكل هذه الوسائل أو بعض منها أن نربي أجيالا؟ لا أعتقد أنها وسائل تربية وتعبئة دائمة، وان اشتملت على مكنون تعبوي هام قد يكون مؤقتا؟

إن استطعنا رسم شخصيات بمضامين محدودة من الفكر المغلق أوالمقولب وغير الحر بوسائل تفكيره، وبعدم اتساع اطلاعه على المعارف والمناهج في ظل ثبات المباديْ، يكون الجيل القادم من جيل المنقبضين أوالمرعوبين أو ببساطة هم أجيال العبيد؟!

كيف نكون ضمن الاولويات؟

إن بناء جيل من الأحرار يحتاج منا القفز للنظر بحكمة في واحدة من خمسة أمور قد تضعنا كمؤسسة أو منظمة ضمن أولويات الشخص العضو، أوالطالب أو القائد الذي نبغيه أن يكون.

الإبهار والإبداع أو الإنجاز: إن الحدث المبهر اليوم أو الحدث المبدع، او الانجاز المؤثر قد يجلب لنا مجموعة من الناس يتقارب اهتمامها مع مضمون الحدث (سياسي/ اجتماعي/ فني/ اقتصادي...)ما يشعل فيها الرغبة، وهذه بحد ذاتها بداية الطريق.

النشاط الجامع (المشاركة): في العلم فان ما يختزنه أو يتمثله الانسان من معلومات بصرية أ سمعية لا يضاهي أبدا ذاك المرتبط بمشاركته في الحدث، وعليه فان قيامة بالنشاط أو مشاركته به يضع في عقله مجموعة من الخبرات هي ما يجب أن نجتهد لنكون من ضمنها.

القدوة أو النموذج: ان التأثر الحاصل في كثير من الناس يأتي من الفقهاء والدعاة أوالمبشرين، أومن الحكماء والإعلاميين أومن المفكرين والسياسيين كما هم على شاشات الرائي (=التلفزة) أوعلى صفحات التواصل الاجتماعي وارد، كما هو التأثر بالمطربين والمطربات والممثلين وغيرهم، ولكن سيرتهم وحقيقة ما يتعلق بحياتهم ومنطق المشابهة هي ما يدفع بهم أن يكونوا في مساحات اهتمام الشخص أوخارجها، ما يبرز لنا أهمية (القدوة) أوالنموذج، لاسيما أن تكون من الناس، وبين الناس، وأن يشعروا ويحسوا بذلك فيقدرونه ويسعون للوصول له.

الفكرة الناجزة أو النافذة: أي تلك الفكرة التي تفتح نافذة، وهي بذاتها نافذة مؤثرة في إدراكات الشخص واهتماماته، فلكي تنفذ روحه أوقلبه وتحتل موقعا فيه فتسجل على قائمة أولوياته يجب ان يحس بها أويقتنع بها، أو تصيب حاجة من حاجاته، أو نجهد أنفسنا لتوضيحها وشرحها أو نشركه بها.

تأصيل مستويات التواصل: والتأصيل يكون أفقيا وعموديّا وميدانيّا وفضائيّا معًا، بمعنى أن الاكتفاء بالتواصل ذو الاتجاه الواحد قد لا يكون تأثيره بالقدر الكافي ولكن التأثير المحقق للهدف بالتأثير بالشخص وجذبه أو تغييره يكمن باتباع أدوات اتصال متعددة وبأشكال مختلفة تصبح للشخص كمظلة أو حائط استناد من حيث هي تحيط به وتربطه بالمضمون.

كيف نفهم القيادة في حركة فتح؟[16]

ماذا نريد أن نفعل في إطار ممارستنا الديمقراطية اليومية عامة في التنظيم السياسي، وفي نشاطاتنا اليومية وعلاقاتنا، وفي مؤتمرات الأطُر الدورية؟

دورنا كأعضاء فاعلين لا يقل عن دور الذين تولوا الصفوف الامامية، فنحن منخرطون بالحركة وفق إيمان عميق والتزام واعي.

منتمون للحركة وفق اقتناع وعمل ببرنامج وسياسات، ووفق فكر نظامي، ووفق إرادة تغيير: تسمح ولا تسد الطريق، تعي ولا تغفل، تعقِل ولا ترخي

هذه الإرادة التي ينبغي أن تكون صلبة ومتينة، يجب أن تتجلّى وتظهر في الواقع التنظيمي في كل فعالية او علاقة او نشاط مقاوم، أو لما بعد أي مؤتمريُعقد (أكان على مستوى المنطقة أو الاقليم فصاعدا)، فما يعنيني لو كسبت العالم وخسرت ذاتي (كتنظيم) كما يقول المسيح عليه السلام.

لذا كان التركيز من نقطة البداية، ونقطة البداية هي نحن، لأننا (نحن= الفرد مع الكل الفلسطيني والعربي) مادة الثورة ومشعل النضال الذي فينا إما يشتعل أويخمد، وفينا إما يتأصل أويتهاوى وينكسر.

مشعل الحرية

إننا ندخل مركب الفعل التنظيمي الدوري أو اليومي في حركة فتح وفي المؤتمرات بسعي طموح، وإرادة لا تلين، وسعادة لن تعطلها تخرصات الأقارب أو الأباعد.

والفجر الذي يطل من عيون فلسطين، ويناديننا، يفرض علينا أن ندقق في فريق العمل أي عمل، وفي حَمَلة المشاعل (في المنطقة وفي الاقليم وفي اللجنة

16- في التعبئة الداخلية للحركة، وفي صراعنا الداخلي يجب ان ننطلق من واقع المشاركة الديمقراطية في إحداث التغيير باعتبارنا فاعلين لا سلبيين انتظاريين بائسين.

المركزية والمجلس الثوري...) فلا نتوه بين الأشجار، ولن نرتكس أمام النباتات المتسلقة أبدا، فنحن في صراع معها متواصل.

يجب لا تشدنا الحميّة أو العصبوية المناطقية أو العشائرية، ولا ننساق وراء أصحاب الوعود اللاهبة أوالمصالح الآنية ما وجدوا.

إننا ندخل فعل الانخراط في أي عمل أو نشاط، أو مؤتمر داخلي للبناء، أو لاقتراح رؤى لبرنامج سياسي نضالي مقاوم للحركة نرفعها كتوصيات للأطر العليا.

لسنا حشدا انتخابيا يُساق كالأغنام، بلا رأي أو نظرة أو علم أو تعلم أو مسؤولية، فالرحلة طويلة، وعلى كافة الاتجاهات.

وكما قال علي بن أبي طالب (رض): النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ. فلنحدد أين نكون

يجب أن يكون سعينا التأثير في طرح الفكرة أو الرأي، واقتراح الخطوة في إطار التوصيات الناضجة لتحقيق برنامج عمل، ونشاطات، أنا ونحن أول من ينخرط للعمل فيه في إطاري فصاعدا.

إننا نتعامل في محيطنا بمحبة وتفاعل وتفاني من أجل الوطن بحيث نتجاور، فلا يُلغي أحدنا الآخر، ولا يهمل ولا يهمش، ولا يُقصي، بل يرعى ويضم ويجمع التنوع في بوتقة الديمقراطية المنضبطة للقانون والنظام.

ذاهبون لأي فعالية حركية لتأكيد أننا مؤمنون والحمد لله، وأننا منخرطون في العمل من أجل حقنا التاريخي في فلسطين كل فلسطين، مهما كانت المرحلية والواقعية السياسية، ولذلك نحن نعمل معا والنضال شاق والدرب صعب ونحن لها.

ننفذ المطلوب منا من تكليف أو مهمة في إطار عمل الفريق الواحد،

وأهدافنا السياسية وبرنامج عملنا في المنطقة أو الاقليم وبكل الحركة واضح، لذا لن نسمح للطفيليات أوالطحالب والنباتات المستسلقه أن تخنق الاشجار الباسقة أبدا، وإلا فالصراع قائم ماداموا يكبتون الأنفاس.

نعم ننفذ المطلوب منا بقيم التقبّل والاحترام والتنفيذ الأمين والايجابية بلا تذمر اوسلبية أوركون أوتيئيس للآخرين...

ندقق

سندقق في حَمَلَة المشاعل القادمين لمواقع قيادتنا في الانتخابات (الوطنية او البلدية، او الطلابية اوالنقابية، اوالحركية...الخ)، أو بالاستمزاج من المنطقة فالاقليم صعودا على قواعد منها التالي:

1. القدرة: القدرة العقلية والجسدية والنفسية والقِيَميّة (الخلق القويم والقدوة) للعضو كي ننتخبه أونزكيه ليتبوأ الموقع المطلوب

وفي الخلق القويم وتأثيره يقول الحسن البصري: عِظ الناس بفعلك، ولا تعِظهم بقولك. وعلى قاعدة:

2. توفر همة العمل وإرادة الفعل والبرنامج وخوض الصراع بلا تذمر وانكسار، وبلا انسحاق تحت ضربات الاحتلال، أو تحت أقدام الفيلة من الداخل والخارج من أصحاب الذهنيات المستبدة أو المناهج الفوضوية أو الاستغلاليين.

وعلى القاعدة الثالثة -3قاعدة توفر الوقت بتخصيص جلّ وقتنا (ومالنا وأرواحنا وفكرنا) فداء للوطن.

ولتحقيق هذه الأهداف فنحن حملة الأكفان، وأوائل من سنكون على لائحة الشهداء... هكذا وإلا فلا.

إن القواعد الثلاث الممثلة بالقدرة العقلية والنفسية والجسدية والاخلاقية، وبتوفرهمة العمل وارادة الفعل، وبتخصيص جلّ الوقت والمال والروح، هي

مقتضيات النظر لمن يتقدم ليشغل المواقع المتقدمة في أي إطار... وإلا فلا.

لن نقبل

لن نقبل من يظن القيادة مكسبا ماديا أو مغنما أو وجاهة او تسيّدا.. (لا تقولوا أنت أوأنتم لا تفعلون هذا، فهو واجب علينا جميعا، إنه واجب لا ينتظر، فالكل يجب أن يقوم به وفق القاعدة النبوية الشريفة: باليد أوالقلب أواللسان وهو أضعف الايمان)

ولن نقبل من يشك أويظن بالنصر الظنون

لن نقبل من نتوجس منهم أن يطأطِئوا الرؤوس.

لن نقبل من ينقادون لإشارات الاحتلال أو أزلامه فيتحولون شيئا فشيئا الى خنجر في صدر الثورة والحركة.

لن نقبل أيضا بأولئك الذين يستغلون مصالحهم المالية، أوالرأسمال القذر لنهب البلد والسيطرة على الهرم الاقتصادي والهرم السياسي، وهم منزوعي الاخلاق والقيم والثقافة حين تُقدّم مصالحهم (أوتختلط)على المصالح الوطنية، فالرأسماليون الاستغلاليون داء الأحزاب وآفة التنظيمات السياسية، فإما يطيحون بها أويسخرونها لخدمتهم، لا لخدمة عموم الجماهير... سواء وجدوا في المؤتمر، أو كان في مسيرتهم ما يدل على ذلك.

لن نقبل الجثث الهامدة أو الخُشُب المسندة أو أرجل الكراسي الذين يقبلّون الأيادي والاقدام للمستبد (الديكتاتور) فينا، في أي منا، ويركعون عند أول اشارة تلوح لهم لتحقيق مكسب سلطوي يستغلونه سلبا لتحقيق مآربهم الخاصة، لا لخدمة الوطن بدماء متجددة وأفكار متجددة ومتطورة تنتهض به، وتشحن الهمم.

لن نسمح

لذا نحن لن نسمح لمثل هؤلاء من الرأسماليين الاستغلاليين، أو الجثث الهامدة، أوالخناجر في جسد الثورة أو السوداويين السلبيين المنهارين نفسيا أن يتقدموا الصفوف.

(وماذا إن تقدموا؟!، نقول أن الصراع لا ينتهي ولا يجب أن ننهار أو ننسحب أو نركن، فيتعملقون على ظهورنا)

نفعل ذلك بـإرادة خوض الصراع بكل جهدنا، فنحن بمجموعنا نعي ونعقل، ونسمح للأزهار أن تتنوع.

وفي ضوء قناعتنا بطهارة الثوب ولابسِيهِ من أبناء حركة فتح، الا أن الظن في بعضه إثم، وفي بعضه الآخر حُسن تدبر، ونحن أبدا مع وعد الله (وعد الله، لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون –الروم آيه 6)

نضعه فوق الهامات

من يمتلك القدرة والإرادة والوقت ويتحلّى بالقيم، كما يتحلى بالتمسك الأصيل بالمباديء سنضعه فوق الهامات والأكتاف.

ونكون له مع ذلك بالمرصاد بالنقد الـذاتي، والمراجعات والمحاسبة، والتقويم بمحبة ولطف وتساند.

فمَن منهم ياتُرى بقامة أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما، وهما لم يتكبّرا على المحاسبة والتقويم!

نحن بلغة الحوار والحصاد نكون أقرب لعين الأرض.

ونحن بعمل الفريق نكتسي حُلّة الانتصارات بإذن الله تعالى.

فنحن/ أنا/ كلنا ككوادر وأعضاء وقيادة سنبقى أوفياء لفلسطين ولشعبنا وحضارتنا وقيمها، وللختيار سيد الشهداء، ولتراب هذه الأرض الطيبة بعملنا وقيمنا وإيماننا، والله معنا.

الفصل الثالث:
الصراع في السياسة، والقيادة

في إدارة الصراع وإستراتيجية التنظيم

التنظيم السياسي والأوامر

عناوين القيادة

كيف نعمل بثقة بالنفس فنحدث التغيير

كيف نحافظ على الفوز؟

التعامل مع الأجيال؟ تجاوز النقص والاخلاص لفلسطين.

الابداع لا السوداوية وخطاب الأزمة.

استنهاض الكادر في إطار عقلية العمل والتجدد

في إدارة الصراع وإستراتيجية التنظيم

هل يعقل أن يكون هناك مؤسسة لا تمتلك إستراتيجية واضحة؟ وهل يعقل أن يكون هناك تنظيم سياسي بلا إستراتيجية أصلا؟ نعم، يعقل!

بل وهو حاصل إلى درجة أن كوادر أحد التنظيمات يفهمون الإستراتيجية كفن للحرب فقط، لا شأن لها بالتنظيم السياسي غير مدركين التطورات المتلاحقة في مختلف العلوم والاستخدامات للمصطلحات التي منها (الإستراتيجية) تلك التي انتقلت من عالم العسكر والحرب إلى عالم الإدارة والتنظيم والمؤسسات وذلك منذ العام 1951 كما يقول د. سعد غالب ياسين في كتابه الهام حول الإدارة الإستراتيجية.

ونزيد على ذلك ان المؤسسات في العالم بدأت تدخل الاستراتيجيات في كافة أعمالها حتى أن السمعة للشركة أو المؤسسة (السمعة: هي مجموع إدراكات الخارجين عن المؤسسة حول الصفات البارزة لها، وهي تعكس الاحترام العام الذي تتمتع به من قبل مساهميها المتعددين) أصبحت لها إستراتيجية لأنها مصدر ردود الأفعال المباشرة للمساهمين في بيئتهم أي أن نمو الشركات كما أثبتت الدراسات يتأثر بسمعتها في السوق لذلك أصبح للسمعة إستراتيجية تدار. ومع ذلك مازال هناك من يقول لك ما لنا والاستراتيجيات!!

هل الإستراتيجية خطة أو سبيل للعمل فقط كما يورد د.السيد عليوة، أم هي وسائل لتحقيق غاية ذات بدائل كما يقول العالم (بوسمان)؟ أم هي (أهداف وخطط وسياسات تتعلق بتحقيق التناسب بين موارد المنظمة الداخلية وظروف البيئة الخارجية المحيطة بها)وأن تحقيق التناسب "التكيف" يؤدي إلى تحقيق الأهداف الإستراتيجية بكفاءة عالية؟

أم هي حسب (منتسبرع): عبارة عن خطة موضوعة تحدد سياقات وسبل التصرف، وهي حيلة أوخدعة تتمثل في مناورة للالتفاف حول المنافسين، وهي نموذج متناغم الأجزاء من خلال السلوك المعتمد أوحتى غير المعتمد

للوصول إلى وضع أو مركز مستقر في البيئة، وهي في النهاية منظور فكري (رؤية) يعطى القدرة على إدراك الأشياء وفقا لعلاقاتها الصحيحة.

كلها تعريفات صحيحة وتنظر للمفهوم من زوايا مختلفة فأين نحن من ذلك؟

وبما أن البيئة والموارد والقيم حسب (ثومبسون)تؤثر في صياغة أي إستراتيجية، فإنه عموماً يجمل د. فلاح الحسيني أن الإستراتيجية –ما نريد أن نعتمد عليه في التعريف- هي عملية تنظيم الأفكار لمواجهة حالات المخاطر وعدم التأكد، وتحديد الفرص المتاحة للمنظمة في البيئة وبالتالي استخدام الكفاءة المميزة للاستفادة من الموارد المتاحة للمنظمة.

وعليه تكون كل من مداخلات وكتب وآراء (صن تسو) و(كلاوزفتز) و(ليدل هارت) و(بوفر)[17] عن الإستراتيجية باعتبارها فناً للحرب فقط قد تطورت كثيرا مستفيدة بالضرورة من هؤلاء المفكرين الكبار، وبقيت قيادات فلسطينية عديدة تفكر بالمسألة بعقلية ما قبل النكبة، أي قبل تطور المفهوم؟

لماذا الإستراتيجية؟

امتلاك المؤسسة لأهداف يعد أولوية، وامتلاكها لخطة لا نقاش فيه، رغم أنك قد تصادف في مسيرتك العملية مؤسسات تسير (على الله كما يقولون، أي بلا تخطيط أواتجاهات أو رؤية، وفي واقعنا الفلسطيني حول هذا الموضوع حدث ولا حرج.

تنظيم سياسي يغني فيه قادته على كافة الموجات والطبقات وفي مختلف الفضائيات ويحلم أن يعود ويسود، وتنظيم سياسي آخر لا يستطيع ان يفرق بين إستراتيجية المقاومة العسكرية وإستراتيجية تحمل أعباء السلطة ويدعى أن الله حافظه دون سواه.

17- مفكرون استراتيجيون عسكريون.

وتنظيم سياسي آخر يعتبر أن إستراتيجية المظاهرات والبيانات والمعارضة لهدف المعارضة تبقيه حيا في عقول أو قلوب الناس، وكلهم باعتقادي واهمون.

إن الإستراتيجية حينما يتم اختيارها بفهم صحيح، والإدارة الإستراتيجية أيضا، تفيد أي تنظيم سياسي (منظمة) أو غيره إفادة هامة في:

الاستجابة للتحديات التي تواجه المنظمة وتعكس أفضل البدائل والخيارات المتاحة.

تطبيق أنظمة كفؤة لتحفيز العاملين وتحقيق تناسق جماعات العمل وأفراد التنظيم.

توفير فرص لتطبيق أساليب إدارية فعالة مثل الإدارة بالأهداف أو الإدارة من خلال الأنظمة.

تنمية القدرة على التفكير الاستراتيجي الخلّاق لدى القادة.

«ويضيف د. سعد غالب أيضا لما سبق ذكره»: تحدد الخصائص الأساسية المميزة للمنظمة من غيرها المنافسة لها.

تمنح المنظمة إمكانية امتلاك ميزة تنافسية مؤكدة.

تحديد الجماهير والقطاعات الممكن أن تؤثر فيها.

تخصيص الموارد المتاحة للاستخدامات البديلة وزيادة الكفاءة والفعالية.

خلق درجة عالية من التكامل والتنسيق في البيئة التنظيمية.

القدرة على التفكير المتميز ورؤية المستقبل والتنبؤ بمتغيرات الواقع، والاستجابة السريعة والمرنة له.

كل ذلك وتتساءل عن أهمية أن يكون لنا في تنظيماتنا السياسية إستراتيجية

ما؟ وإن تعاملنا مع إستراتيجية ما لا نستطيع الأخذ بالاعتبار القيم والموارد والجهود والفرص معا في آلية تكييف وتوازن تجعل من الأهداف الاستراتيجية قابلة للتحقيق، وليست مجرد شعار يأسر القلوب والألباب.

الصراع ونطاقه في التنظيم.

في الصراع داخل التنظيم السياسي يتم استغلال الموارد كأدوات، حيث يعتبر الأشخاص والأموال والعلاقات أدوات في الفوز بهذا الصراع، ومعظم الصراعات تأخذ أشكالا، و تتركز حول الأفكار أو استغلال الأفكار والنفوذ والسلطة وحجم الصلاحيات والتأثير في القرار والمصالح الشخصية بزيادة حجم الأموال أو تحسين الصورة أو التقدم في التنظيم.

قد يتخذ الصراع منحى إيجابي وقد يتخذ منحى سلبي. والصراع في النطاق الايجابي مهما كانت أهداف المتصارعين يعنى عدم المس بقواعد اللعب مثل القوانين أو اللوائح أو الأعراف، فالصراع أو ما يصطلح عليه (باللعب) عندما يكون مرتبطا بذلك فانه في حالتي الشدة أو الانخفاض لا يضر التنظيم أوالحزب، بل قد يدفع لتحسين هذه القوانين أو اللوائح أو النظم الحاكمة، والتي ربما لجمودها أو تآكلها وعدم قدرتها على استيعاب المتغيرات لم تعد قادرة أن ترسم حدودا واضحة للعلاقات والصلاحيات والنفوذ، فيأتي الصراع هنا كعامل تغيير أساسي بها.

أما في النطاق السلبي فان الصراع يخرج عن الحدود أو القوانين أو الأعراف فتستغل كافة الأدوات لتكتيل الانتصارات حيث الأشخاص يخضعون والعلاقات يتم استغلالها والفكرة تصبح في خدمة الأفراد لا التنظيم.

في أحد التنظيمات الفلسطينية الصغيرة عانت القيادة من سلسلة من الأزمات شقت المكتب السياسي إلى قسمين إلى الدرجة التي تحولت فيها الكلمة والهمسة والاجتماع والمكالمة الهاتفية عنوانا لاصطفاف أومدخلاً لإعادة ترتيب المواقف، والنظر إلى المعسكرات بعين مختلفة. ولما أصبح حجم

النفوذ يتحدد بالقرب أو البعد من الشخص حصل الانشقاق.

في تنظيم سياسي فلسطيني إسلاموي استخدمت الأداة الأكثر تطويعا في عمليات الهجوم الداخلي بين مراكز النفوذ، وهذه الأداة هي الأشخاص أولًا والأفكار ثانياً، ولأن الأفكار في التنظيمات الأيديولوجية عامة ومنها الدينية سهلة التطويع لإرادة مركز النفوذ فلا يبقى على الأدوات الطيّعة وهم الأفراد إلا الطاعة العمياء فيشكلون اصطفافات تؤدي في حقيقة الأمر لشرخ عمودي.

إن النفوذ بشمول تأثير الشخص في الآخرين خارج نطاق أو حدود صلاحياته قد يرتبط في التنظيم السياسي بالمال أو الموقع القبلي أو الشهادة العلمية أو الصورة الإعلامية أو حجم العلاقات التي قد لا يتيحها له الموقع أو الصلاحية ولكنه يخرقها ويتمدد خارجها فيستفيق التنظيم متأخراً على إخطبوط له في كل مكان ذراع.

التنظيم قِيَم ومنجزات

في أحد اللقاءات التنظيمية العشوائية أي تلك التي يرتب لها البعض دون هدف واضح أو جدول أعمال، ودون معرفة طبيعة الحضور، في هذا اللقاء دار الحديث عن إدارة التنظيم وكان الحديث في هكذا اجتماعات ينتقل بين المواضيع دون اتجاه محدد، والأنكى من ذلك والأمرّ أن عددا من الحضور كانوا يتكلمون بالهاتف أو يخرجون لذات السبب أي الحديث، مما سبّب إرباكا شديداً حيث اضطر عدد من الحضور لإعادة ما قالوه مرارا وتكرارا.

عن إدارة التنظيم ذكرتُ أن ملك الإدارة أو من سمي (غورو) الإدارة[18] بيتر دراكر تحدث عن المؤسسة الناجحة قائلا أنها تحتاج إلى:

1. قيم والتزامات وانتماء.
2. إنجازات.

18- «الغورو» عند الهندوس مصطلح يجمع بين الربوبية والمعلم – وهو هنا بمعنى المعلم الاكبر

3. قدرة على التجدد والتغيير.
4. قوانين عمل.
5. الوعي بحاجات الجمهور وشبكة علاقات.

وذكرت أن هذا (الغورو)[19] الذي توفي عن 95 عاماً، والذي ولد في النمسا عام 1909 قد اعتبر مقياس الحكم على (الموظفين)في المؤسسات هو النقطتين الأوليين ما دعا مدير شركة «جنرال الكتريك» في الثمانينات من القرن العشرين أن يعتمد عليهما ليصنف موظفيه إلى ثلاث فئات والثالث منها لا أمل فيه، ففصل ثلث الموظفين ليقفز ناتج أرباح الشركة لعشر أضعاف في فترة قصيرة، وأهمية الاقتباس هنا أن المقياس هو القيم والانجاز وكان ذلك في الشركة فما بالك بتنظيم سياسي هو أكثر حاجة لهاتين النقطتين.

تصدى لي أحد الحضور متهكما معتبرا أن ما ينطبق على المؤسسات لا ينطبق على التنظيمات السياسية فلم أجبه لان من لا يدرك أن العلاقات الإنسانية الطوعية في التنظيمات السياسية هي أكثر حاجة للانتماء والقيم من العلاقات الوظيفية في الشركات لا يدرك حقيقة الإدارة التنظيمية.

وفي ذات السياق وفي صراع عجيب على تثبيت أو نقض عقلية المؤسسة قمت ومجموعة من الخبراء والأساتذة بتقديم مشاريع لوائح ونظم لأطر مختلفة في حركة فتح لقيت استحسانا وقبولاً من أحد الأخوة القياديين حينها، ولما حدّثت بالموضوع أخا من المسؤولين الميدانيين اعتبر ذلك ترفا لأننا كما قال: نعمل بالقطعة وحسب الحدث لا حسب اللوائح والنظم!

19- المقصود هنا هو بيتر فردناند دراكر (بالإنجليزية: Peter Ferdinand Drucker) كاتب إقتصادي أميركي من أصل نمساوي يهودي، ولد في فيينا عاصمة النمسا في 1909م وعاش معظم حياته في الولايات المتحدة الأمريكية حيث عاش في الفترة بين (19 نوفمبر 1909- 11 نوفمبر 2005) أجمع الكل أنه الأب الروحي للإدارة، فهو الذي حدّد مفهوم الشركة في تحليله الرائع لشركة جنرال موتورز توفيّ في عام 2005م عن عمر 96 سنة وكان قد حصل على أرفع الجوائز التقديرية في الولايات المتحدة "الوسام الرئاسي للحرية" في عام 2002م.والده كان محامياً ووالدته طبيبة أي أنه عاش وترعرع في بيئة مثقفة.أنتج أربع سلاسل تعليمية مصوّرة عن الإدارة، من صفاته المميزة (محب للقراءة، ذاكرة قوية، شديد الذكاء والادراك والفهم)، وله اكثر من 40 كتابا

التنظيم السياسي والأوامر

عالم الاقتصاد والإدارة الشهير(بيتر دراكـر) كان مُلهما للعديد من الاقتصاديين والمدراء بحيث أن كتاباته وأفكاره ساعدت الكثير من الشركات والمؤسسات على التطور استنادا لاعتماد أسس الانتماء والقيم للمؤسسة أولا، وللقدرة على الانجاز ثانيا.

عندما أوضحت ذلك استسخف أحد الحاضرين[20] في الاجتماع هذه المقارنة بين الإدارة والتنظيم السياسي وهذا الأمر في العام 2008 بعد أن أصبح المفهوم مفهوما من الجميع.

ولكن للغرابة أنه بقى أناس تحكمهم عقلية الفوضى واللانظام بحيث أنهم يعتقدون أن التنظيم السياسي لا شأن له بعلم الإدارة.

الإدارة والتنظيم السياسي

أن تحفز الآخرين فأنت تقود، وأن تحل مشاكلهم فأنت تدير. وان تُخرج منهم أفضل ما لديهم فأنت تقود، وان تكلفهم بمهام فأنت تدير. وان تفعل الأشياء بشكل صحيح فأنت تدير وأن تفعل الشيء الصحيح فأنت تقود. لذا فالقائد بالضرورة مدير والمدير ليس بالضرورة قائدا، وفي التنظيم السياسي نحتاج لمدراء كما نحتاج لقادة ولقدرات أخرى.

عندما بدأنا مع د.حسن المطري بانتهاج الأسلوب العلمي في عمل الدورات التنظيمية وكان ذلك في العام 1987 قمنا بمجموعة زيارات لأساتذة جامعة مختصين بالإدارة لنسألهم عن آلية تطويع مفاهيم الإدارة لصالح التنظيم السياسي، إلا أنهم كلهم للأسف لم يجدوا إمكانية لفعل ذلك حيث عبروا عن اختلاف عميق بين المسألتين وبالطبع كانوا مخطئين؟

20- المفاجاة ربما غيرالسارة أن المذكور أصبح وزيرا في مرحلة لاحقة!

لأننا قمنا ضمن فريق د.حسن المطري[21] بتطويع كافة مفاهيم الإدارة وعلم الاجتماع وعلم النفس والفكر والفلسفة وغيرها من المواضيع ذات الصلة، قمنا بتطويعها للوضع التنظيمي القيادي الإنساني.

في مرحلة لاحقة قمت بحمل ملفين ضخمين من المواد التدريبية التثقيفية التي جُهّزت من قبل عشرات الأساتذة والكوادر على مدار سنوات في سياق نفس القاعدة وسلمتها في تونس للأخ هايل عبد الحميد (أبوالهول) الذي كان له حينها رحمه الله اهتماما عاليا بذلك، كما كان للأخ محمد غنيم (أبو ماهر) مسؤول التعبئة والتنظيم للحركة ذات الاهتمام.

عدد كبير من المواد وأغلب العناوين الرئيسة هي ذاتها التي استندنا عليها في عملنا كمسؤول للتدريب والدورات في التعبئة والتنظيم في تونس، ثم في فلسطين مع اتباع منهج منفتح في التفكير ما أثرى وأغنى.

أضفنا لاحقًا مع عدد من الأساتذة الكرام أخوات واخوة في حركة فتح عناوين وتفصيلات أخرى هامة وذلك في دورات الأقاليم في الخارج، ثم منذ العام 1996 في دوراتنا في الوطن، لتظل الإدارة إدارة نحتاجها في أي جماعة او مؤسسة او تنظيم سياسي.

كيف تعطي الأوامر

أجد من المفيد في المؤسسات عامة، وخاصة في المنظمات المجتمعية والسياسية أن يتم التعامل مع الأعضاء ضمن الهيكل أو الإطار بعقلية المشاركة لا عقلية التابع والمتبوع، لذا فإن إعطاء الأوامر يجب أن يأخذ شكل التوجيه والإرشاد وضمن آليات اتخاذ القرار التي ترتبط بالاجتماع واللوائح.

21- حسن المطري أو أبوعلي المطري، واسمه الحركي عيسى الكردي قيادي فلسطيني فذ من حركة فتح، واحد أهم القيادات المميزة التي أدخلت فن الإدارة في سياق العمل التنظيمي في عمل الدورات التنظيمية والسياسية في الكويت من العام 1987-1990، وكنا معها مزاملين في هذا العمل الهام.

وبعد صدور القرار تأتي اللحظة الحرجة حيث أن طريقة تطبيق القرار عبر تبليغه يجب ألا تأخذ صفة الأمر المباشر، لماذا؟ يجيبنا على ذلك الكاتب (ف. جون ريه)[22] كالتالي:

1. لا تعطِ الأوامر: لأنه عندما تُعطى الأوامر فإنك تطلب من شخص ما أن يفعل شيئا مثل (ضع الملف في الدرج). انك عندما تعطى الأوامر فإنك لا تتيح للشخص أن يفكر ماذا يفعل أو كيف يفعله. كل ما يفعله هو أن يرضيك بأن ينفّذ حرفيا ما قلته (أمرت به). هناك سببان يجعلان هذا الشئ سيئا الأول انك لا تسمح للشخص أن يتصور أفضل الطرق لتحقيق المهمة، وثانيا: لا تدعه يتعلم.
2. أعطِ الإرشادات بدلاً من الأوامر: عندما تحدد للشخص (سواء الموظف أو الكادر) ماذا تريد أن ينفّذ بدلا من إعطاء الأوامر فإنك تعطيه الحرية لبذل كامل جهده ليحقق المهمة. ومع ذلك فإن هذا ليس دائما الحال لأنك قد تحتاج للمتابعة والتوجيه، ولكن تبقى فرصة أن يقوموا بعمل أفضل مما خططت له.
3. ويضيف «ف. جون ريه» أن الشخص عندما يُعطى الإرشادات والتوجيهات بدلا من الأوامر[23] فان عليه أن يفكر وليس إتباع الأوامر فقط، حيث ينخرط (الكوادر أو الموظفون الذين أعطوا الإرشادات) في التفكير بآليات التنفيذ واتخاذ القرار بأفضل طريقة وبأن يستثمرون القليل من ذواتهم في الحل. وأيضا تتولد لديهم القناعة بما فعلوا فيقدرونه ويدافعون عنه.
4. كن واضحًا: الأوامر دوما واضحة (قدم لي التقرير على مكتبي يوم الخميس) تمثل أمراً فلا تدع مجالاً للتفسيرات، وعليه فعندما تعطى

22- ف.جون ريه كاتب ومؤلف متخصص بعلم الادارة، وخبير في فن الادارة ومهاراتها حيث خصص جون وقته طوال حياته المهنية لإرشاد المديرين الجدد، في كثير من الأحيان النساء والأقليات.

23- التوجيه او الإرشاد دالة على الطريق وسياقات متعلقة بالخطة ومباديء توصل للهدف وتعطى بشكل سلس وهو من سمات المديرالفعال والقائد بينما الاوامر تفهم بمنطق الجبر والقسر.

التوجيهات تحتاج لتكون واضحاً بشأن النتائج المتوقعة.

يشعر بعض السياسيين والقادة والمسؤولين ذوي الرؤية القصيرة بالمكانة أو القوة عبر ممارسة سيطرتهم على الآخرين ومن أشكال هذه السيطرة إصدار الأوامر بشكل واضح أو غير واضح، ولكنه صارم وملفت للنظر.

إلا أنه في الإرشادات فإن قاعدة الوضوح تعنى ألا تقول مثلا: (أريد منك أن تراجع تقارير الشهر الماضي وأن ترجع لي)لأنها جملة قليلة الوضوح، بل ممكن أن تقول في لقائنا يوم الخميس أريدك تنظيم تقارير الشهر الماضي في قائمة واحدة وأن تقول لي أين تقدمنا وأين تراجعنا، ما يعنى وضوحاً أكثر للتوجيهات.

5. 5. أعطِ التوجيهات لا الأوامر: وبواقع الاستفادة من نفس الكاتب يقول أن واجبك كمدير (أو قائد أومسئول) أن تجعل الأشياء تحصل. وهذا يعنى أيضا أن تحصل الأشياء من خلال الآخرين. انك عندما تعطي الأوامر فانك تقيّد الفريق (المجموعة) بمستوى خبرتك فقط، ولكن عندما تعطى التوجيهات تدع الكوادر (أو الموظفين)أن يساهموا بما يستطيعون.

من الممكن أن تكون مساهماتهم ليست بنفس جودة ما تفعل، ولكنها تعطي مؤشرا على انك يجب أن تعطيهم تدريبات أخرى. وعلى الرغم من ذلك قد تكون أفضل من فكرتك. عندما يحصل ذلك يكون لديك كادر(أو موظف) يشعر بالانخراط والمشاركة كما يشعر بالتحفيز، وتبدو أنت أكثر فطنة.

استغلال المرأة في التنظيمات السياسية

أصبح الجميع يتغنى بدور المرأة في العمل السياسي، وقبله في العمل المجتمعي والنشاطات الجماهيرية، فبعد سنوات طوال من إغفال دور المرأة وتهميش وجودها بدأت التنظيمات السياسية ولأهداف مصلحيه وليس لقناعة عميقة برفع شعارات تمكين المرأة أو المرأة المؤمنة أو إشراك المرأة في

القرار وغيرها من الشعارات.

استندت التنظيمات إلى الواقع الاجتماعي لاستغلال المرأة فالتنظيمات (الإسلاموية - السياسية)استغلت الجهل المجتمعي العام ومنه جهل بعض النساء، أو قلة وعيهن وخضوعهن للقيم الموروثة والمرتبطة خطأ بالإسلام لتكريس دعم النساء لهذه التنظيمات والأحزاب.

ففي أكثر من بلد عربي استُغلت النساء تحت مظلة رموز أو شعارات دينية من مثل (صوتك أمانة) و(الإسلام هو الحل) و(إقامة الشهادة لله) و(يد المتوضئ هي خير يد تصون) بوصفها التنظيمات التي تحمل صفة (الممثل الشرعي الوحيد للإسلام) وباستغلال مبدأ المشاركة ليس كمبدأ ديمقراطي وإنما كواجب ديني.

لقد لعبت البيئة الاجتماعية الثقافية ذات الطابع التقليدي الماضوي التي تربط الإسلام بالخرافات وتقديس شيخ الجامع أو الداعية -كما كانت الحال في العصور الوسطى في أوربا حول مركزية الكنيسة-حتى لو ارتكب الخطايا دورا في تطويع عقول النساء خاصة عبر جلسات القسم والحلفان على انتخاب ممثلي التنظيمات (الإسلاموية) لأنهم يمثلون الله دون سواهم، ويدعمون ماليا ولأنه لا يجوز الحنث بالقسم ما قد يشوه الجنين أو يسقط الابن في الثانوية العامة أو يجعل من جسد المرأة أو زوجها أو أولادها مرتعاً للأمراض ما يلقى قبولا عند العامة.

ولم يكن لاستغلال المرأة باعتبارها ضمن الفهم الناقص أنها «ناقصة عقل ودين» «لا يجوز توليها الأمور العامة من حكم وقضاء خاصة»[24] مقتصرا على التنظيمات الاسلاموية، بل ان عديد تنظيمات المجتمع المدني السياسية وغير السياسية الأخرى من ديمقراطية أو علمانية أو يسارية قد مارست ذات

24- في العام 2012 أصدر "الاخوان المسلمين" اعلانا برفع الحظر! عن ولاية المراة! أي تم السماح لها حسب فكرهم المشاركة بالشؤون العامة أي ان تكون رئيسا او قاضية، بعد أن رفضوها 80 عاما.

الاستغلال! إما عبر مزيد من التحرر والانفلات الذي يتنافى بكثير من أشكاله مع الدين الإسلامي وحضارتنا ومع القيم والأخلاق المشرقية عامة، أو تبني (أجندات)المنظمات والمؤسسات الأجنبية في النوع الاجتماعي (الجندر) وفي العنف الأسري وفي حق المرأة بجسدها... الخ من العناوين التي لا تتفق مع قيمنا الشرقية في الدين الإسلامي والدين المسيحي.

أما عن الاستغلال بحجم المشاركة، فلقد اتفقت غالب التنظيمات على حصر حصة المرأة في القيادة السياسية فعليا بالحد الأدنى تحت دعاوى مختلفة منها حرمة الاختلاط أو عدم القدرة على السهر، أو رفض هذه التنظيمات وجود المرأة من أساسه في قمة هرم السلطة في الحزب أو الدولة.

في حالتنا الفلسطينية -على سبيل المثال- تتمثل المرأة في قيادة حركة فتح المركزية بسيدة واحدة وعشر أخوات أو أكثر في مجلسها الثوري، بينما يغيب مثل ذلك في الأطر الحزبية في فصيل «حماس».

وفي حين تقوم المرأة بحركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح بدور نشط في زيادة حجم مشاركتها من باب الأهلية والمساواة نجد الحث في حماس على استبعاد ذلك في الأطر التنظيمية حيث الأولوية للزوج والبيت والأولاد رغم اضطرار كافة التنظيمات لإعلان أسماء نساء مشاركات في المجالس البلدية، أوالانتخابات التشريعية رضوخا للقوانين فقط أو كسبا لأصوات النساء دون قناعة حقيقية بدورها.

ورغم هذا الاقصاء المفاهيمي للمراة في التنظيمات الإسلاموية فإنه يسجل للمرأة بحماس رضائها بدورها المحجم، وهي من وقفت وراء عدد من انجازات حماس.

إن استغلال المرأة في الأحزاب السياسية عامة يأتي من عدم احترام دورها أولا، ويأتي من النظر إليها نظرة سلبية ثانيا، وأيضا باعتبار أن المرأة التي تعمل في الشأن العام أما مسترجلة أو أرملة أو مطلقة في آلية تعريض بالنساء

تسخف من قدرات وإمكانيات النساء، وتلجم الكثيرات عن المشاركة خاصة والنظرة للمرأة المختلطة في الرجال بالنشاط العام لا تحظى باحترام كافٍ في المجتمعات التقليدية ما تكرسه التنظيمات الدينية من جهة وكثير من كادرات التنظيمات الأخرى ذات الواقع الاجتماعي الثقافي المحافظ.

تعيش كثير من كوادر الأحزاب في صراع نفسي وتناقض ففي حين يشارك الكادر الرجل المرأة في مواقع ومواقف ونشاطات مختلفة نجده يرفض ذلك لزوجته أو أخته أو ابنته لأنه لا يرى بها الأهلية أويعتقد أن البيت مكانها الوحيد أو لا يثق ببيئة العمل أو الاتصال التي تشارك فيها، أو أن يعبر عن رغبة بالتواصل مع المرأة لأهداف مختلفة ما لا يرغبه من الآخرين في قريباته، ما يدلل على هشاشة ايمانه بالفكرة.

أن النظر للمرأة كأم أو ابنة أو زوجة هو تحديد لوظيفتها ودورها في المجتمع، والخوف من دخولها نطاق العمل العام هو حرمان المجتمع من أفكار وإبداعات وقدرات يجب استثمارها في المرأة التي يجب ان ينظر لها كإنسان ومواطن له كافة الحقوق وليس غير ذلك.

مع الاحترام الكامل لخصوصية المرأة ولخصوصية الرجّل فلكل في المجتمع الإنساني دور تشاركي هو الذي يحافظ على النوع والبقاء وفي غير هذا الجانب فلا اختلاف لان الله خلق عقلا منحه الرجل والمرأة ليتم استثماره في كامل المجتمع لا من خلال نصفه فقط وتحت ذرائع وأسباب لن تصمد مع الزمن.

في حركة فتح ليس غريبا أبدا أن تفرد للمرأة مكانة هامة ضمن كافة البرامج والمشاريع النضالية الميدانية والثقافية والإعلامية والسياسية وفي كافة القطاعات، وكما نفعل نحن في دوراتنا وندواتنا كنموذج مشرق.

ولا يفوتنا التنويه للرسالة التي وجهها الرئيس محمود عباس للمرأة في عيد المرأة قائلا: (إن المرأة هي التي ربت الأجيال وزرعت في قلوبهم حب الوطن، وكانت شريكا للرجل في مواجهة المظالم التي لحقت بشعبنا) وقال:

(المراة نصف المجتمع وهي المربية للنصف الآخر، وهي المرساة والحضن الدافيء... إنها الأم والزوجة والأخت والبنت، وهي المناضلة والأسيرة والشهيدة والجريحة، لذلك فإن حقوقها في المساواة مع الرجل ليست مِنّة منه بل هي أسس بناء وطننا ومجتمعنا السليم.) ولا تعليق فهذه هي حركة فتح.

عناوين القيادة

القائد[25] المزاجي

في النظام الأساسي لحركة فتح[26] وفي 3 مواضع على الأقل يتم التعرض للمزاجية، في المادة 29 فرع هـ منه ترد كلمة المزاجية مرفوقة بالرفض ومقرونة بالعقاب حيث أن الانضباط يعنى: عدم اتخاذ القرارات الفردية والمواقف المزاجية، وفي المادة 38 الفرع «ل»، يعد من واجبات العضوية العمل بروح أخوية وجماعية ونبذ كل الأساليب الفردية والمزاجية، ولأن المزاجية والعشوائية والفوضى تمثل مسلكيات مرتبطة معا فإن التنظيم السياسي يضع أنظمة ولوائح داخلية لتحكم بدلا من ذاك المزاجي الذي يعتبر أنه المرجعية بلا قيم أو لوائح أو رادع.

المزاجي في الحياة العادية شخصية متذبذبة غير قادرة على بناء علاقات دائمة أو القيام بأعمال نافعة أو ذات أثر فما هو الحال عندما يكون هذا المزاجي قد وصل لقمة الهرم في مؤسسة أو منظمة أو شركة؟

مفيد كان في قمة هرم وزارة من الوزارات وكان هو المرجعية لمعظم أن لم يكن لكافة الموظفين بحكم موقعة ورغم أن الوزارة يفترض أن يحكمها لوائح ونظم إلا أن السيد مفيد لم يكن ذا صلة بهذه المفاهيم.

يأمر بأمر هنا ولجهة محددة وفي ذات الحالة مع جهة أخرى يصدر أمرا مخالفا، يعاقب الموظف الفلاني على جرم هو يراه جرما، اقترفه دون سند

25- تعريف القائد يفترض توفرعناصر منها القدرة للقائد كطرف أول بالتأثير على الآخرين "تحت مسؤوليته" كطرف ثاني، وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف وفق الخطة، أويمكننا تعريف القيادة أنها: تحقيق الأهداف من خلال الآخرين بحفز كل طاقتهم. ومن هنا فمن زاوية القيم والاخلاق قد نجد القائد السيء اوالسلبي او بالمقابل الجيد أوالايجابي، ولكنه قائد بالحالتين لتوفر العناصر بالتعريف.

26- في المؤتمر السادس لحركة فتح عام 2009 تم تغيير اسم النظام الأساسي الى النظام الداخلي.

قانوني، ولا يعاقب الموظف الفلاني على ذات الجرم.

يطلب من الموظفين احترام المرجعيات، ويخترق الأقسام والإدارات والفروع غير آبه بوجود مسؤولين فيها. يضع أطر بديلة لكل من لا يعجبه وسرعان ما يلقى بهذه الأطر أو الشلل في غياهب المجهول فلا تعود تعلم أهيّ الشرعية أم تلك القائمة حسب هيكلية الوزارة.

لا يقبل بانتقاده أبدا، وهو مسموح له بنقد وشتم والتعريض بمن يشاء وفي الاجتماعات، ويرى الحرية موقوفة عليه وعلى (شلّته)، ويجب أن يُحرم من نسمة الحرية كل مخالف لمزاجه العكر والمتغير.

(يجب أن تكون العلاقات بين الأعضاء علاقات موضوعية مقياسها مبادئ الحركة وأنظمتها، ولا يكون هناك مكان لعلاقات شخصية مبعثها الرغائب والهوى - كما تقول المادة 5 من مقدمة النظام الأساسي لحركة فتح)مع (ضرورة محاربة كل مظاهر الغرور والكسل والبحث عن الراحة والمزاجية وسائر المظاهر الضارة– المادة 38 ن).

الشخص المزاجي وبال على نفسه وأسرته وأصدقائه فكيف وهو في موقع المدير أو الوزير أو القائد أو المسؤول في التنظيم أو المؤسسة أو كصاحبنا السيد مفيد المدير العام في الوزارة؟![27]

القائد المدّعي!

تمر عليك في حياتك نماذج متنوعة من الشخصيات فيها المنجز أوالمفكر أو الناقد أو الانبساطي المرح أو مغلق العقل أو المدعي أو الأناني أوالمفعم بالحيوية أو...الخ، وربما لا تستطيع أن تحدد ملامح وصفات الشخصية من اللقاء الأول على أهميته، وبالضرورة تستطيع أن ترسمها بوضوح من خلال التجربة.

27- هناك فروقات بين مفهوم المدير ومفهوم القائد، فقد يكون القائد مديرا، ولا يكون المدير قائدا. فالقائد يعلم الأنصار ويطورهم ويسألهم ويهتم بهم ويشكر من ينجز بل ويذكر منجزاتهم... إنه ببساطة "نحن وليس أنا".

والشخص المدّعي هو من يستثمر الوقت المخصص له، ويسرق أوقات الآخرين ليضفى على شخصيته محدودة الكفاءة بالحقيقة أهمية طاغية معلوم لدى الغالبية يقينا أنها وهمية، حيث تظهر الثرثرة منه لساعات طويلة تراها مليئة بالادعاء أوالكذب أو بالعلك وتكرار الكلام، أو في تعميق المشاكل والخلافات لا حلها.

الشخص او القائد المدعي هو من أخطر الأنواع التي تصادفها، فهي تستطيع أن ترسم لشخصها تاريخًا في أذهان الآخرين، وان كان بالحقيقة وهميا أو مبالغا به، ولكن التكرار والاصرار من شخصه وصمت الآخرين الذين يعرفونه، وجهل البعض الآخر يجعل مثل هذه النوعية تتقدم الصفوف.

القائد الملهم

من الصعوبة بمكان أن تنجب الأمة زعماء أو رمـوز، إذ أن صناعة الرمز تحتاج لمواهب شخصية حادة وبارزة ولقدرات عالية، و)لآلية أو لماكنة(مرافقة للشخصية، إضافة لتوفر الظرف المناسب سياسيا أو اقتصاديا أواجتماعيا أوكلها معا.

ورابعا عامل ارتباط الشخص بقضية يكرس نفسه لها ضمن امتلاكه، وخامسا وجود فكرة أو أهدافا أو رؤية ووسائل فعالة وإبداعية تلهم الجماهير وتحفزهم وتجعلهم ينخرطون في العمل تحت لواء هذا القائد الملهم أو الزعيم.

ولأنه كذلك فإن الزعيم أو القائد الملهم قد لا يتكرر في نفس المجال (مجال سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ديني، فني... الخ) إلا كل عشرات السنين.

أن العوامل الخمسة المذكورة أعلاه والتي تسهم في صناعة القائد المحفّز أو المُلهم للآخرين وهو في ذات الوقت قد يصبح الزعيم أو الرمز، هذه العوامل من الصعب أن تتوفر كل سنة أو عقد وربما قرن.

فما بالَكُم ونحن نصطدم يوميا بمجموعة من الشخصيات في العالم الثالث هم قادة بأحزابهم أودولهم أومنظماتهم المختلفة ويظنون كل الظن إلى حد اليقين أن الدولة أو الحزب أو التنظيم بدونهم سيتقهقر وينهار!

هؤلاء المتوهمون يعتقدون أن جهودهم جبارة وبدونهم فإن الحزب كالخيمة منزوعة العمدان! بل ولديهم يقين أنهم أصحاب رؤيا أو فكرة تتعالى عن الجماهير وترتبط فقط بالمجال الذي يصنعونه لأنفسهم فكريا أو دينيا أو سياسيا أواجتماعيا!

وعليه فإن الحزب أو الأمة أو العالم يعتمد عليهم وعلى أفكارهم المُلهمة أو جهودهم الجبارة؟! فهم يقودون وما على الأمة إلا الطاعة والخضوع والاستمتاع بنتائج قراراتهم!

هذا الصنف من القادة (العظام!) كما يعتقدون ربما تجده في سوق الخضار أو عند سواقي سيارات الاجرة (التاكسي) وربما عند عمال البناء كما تجده في المستوى السياسي، وهو بيقينه بأفضليته وعبقريته وقدرته على إلهام الآخرين يمشي كالطاووس فلا تسعه الأرض لذا يتلقّب بألقاب الفخامة والسيادة والغبطة والمشيخة! وكيف لا وهو القائد (الملهم) و(العبقري) الذي لم ينجب الزمان له مثيلا رغم امتلاء المكان الذي يعمل فيه أو يتحرك من خلاله بالعشرات الذين يقنعون أنفسهم أنهم مثله أو أفضل منه.

إن القائد الذي يعتبر نفسه العبقري أو القائد الملهم، هو أحد أبرز أسباب تخلف الأمة أمتنا العربية والإسلامية وهو أحد أهم عناصر تردي مقومات الدول من صناعة واقتصاد وتجارة وعلم بل وفن، لأنه باعتباره الشخصية الشاملة الكاملة التي تفهم في كل العلوم عامة أو ضمن مجاله، يعني منطقه هذا عدم الحاجة للعلماء أو الأدباء أو المختصين.

نظرة فاحصة على مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية وعلى التنظيمات السياسية الفلسطينية تجعلنا نمتلئ رعبا وغماّ إذ نجد (قادة عظام!) من

مختلف الأعمار وربما من ما قبل سن البلوغ، أما سقف السن فمفتوح.

وبغض النظر عن الأمراض النفسية لأمثال هؤلاء فهم في الكثير منهم معدومي العافية الجسدية ولا يَعتبرون.

القائد الملهم أو الرمز قد يظهر في أي المجالات ربما في كل قرن مرة وربما لا يجود علينا الزمان بمثله إلا كل قرنين ويظل في التاريخ عنوانا في الأدب أو العلم أو السياسة أو الحكمة أو الرياضة أو الفن أوالدين مالا ينفع معه أفعال أولئك الذين تحركهم ظنون العظمة والاستعلاء والتكبر والإلهام لأنهم زائلون بلا أثر، تلاحقهم تعثر الغراب في مشيته وضحكات أقرانهم، وسخرية الجماهير المّرة منهم.

قيادة الفوضى!

هناك نوع من المسؤولين، وهم إما قادة أو مدراء يتولون إدارة مهام العمل في مؤسسات، خاصة في التنظيم السياسي عبر رسم التوجهات وإطلاق الرؤية وتحديد السياسات، ثم يقومون بعد ذلك بتسليم مفاتيح العمل لكل مبادر وقادر على العمل، يدعمونه ويصدون عنه كل محاولات التخريب أو القفز أوالتهميش أو التحقير.

عندما يضع المدير أو القائد الأهداف أو رؤية أو سياسة للعمل، ويختارأو ينتخب الطاقم يصبح دوره الرئيس بعد هاتين المرحلتين هو إمساك الخيوط لمنعها من التشابك، فلا تضارب ولا تقاطع، ويصبح دوره رسم مجالات التعاون بين الأطر والأفراد عبر توفير مناخ من الرعاية ومن خلال عملية الرقابة والتقييم والمتابعة.

إن المتابعة فن لا يتقنه إلا القلة من القادة الملهمين (بكسر الهاء) أوالمدراء المبدعين لأن المتابعة عين على الخطة وعين على التنفيذ، والمتابعة فن تمهيد السبل وتعبيد الطرق أمام القافلة لا إعاقتها أو نهبها، والمتابعة للقائد فن

إدارة الموارد والأفراد لتحقيق الرؤية عبر الانجاز وتحقيق النتائج.

إن القيادة بالرؤية قيادة شفافة ذات صدر مفتوح وأيادي مرحبة، قيادة الثقة بالذات والآخرين، قيادة الطاقة التي تنطلق من الشخص كأنه كوكب دري يضيء في الآخرين أداء متعاظما، وينابيع متدفقة حيث التحفيز يعد عاملا حاسما في صاحب الرؤية الذي يعمل تحت ضوء الشمس لا في الظلمة.

في التنظيم السياسي أفراد وصلوا لمواقع القيادة (أي المستويات التنظيمية العليا) في غفلة من الزمن ليقودوا في الفوضى، أو كما كان يردد أحد أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح ويسميهم القادة بالصدفة، وهؤلاء وصلوا لمواقعهم نتيجة الصراعات السياسية-التنظيمية-المصلحية، أو أوهام العمل السري أولقدرات انتهازية بلطجية طاغية أو لتقاطعات مراكز القوى أو لاعتبارات القبيلة او الجغرافيا.

ومن هؤلاء من يفتقر للبناء الذاتي، فلا هو ذو خلفية ثقافية عملية تساعده على ملء موقعه، ولا هو يريد أن يتعلم أو يتطور فهو مكتفٍ بما استقر في رأسه من سنوات طوال فلا كتاب ولا دراسة ولا جريدة تستحق القراءة!

أو كما قال لي أحدهم متفاخرا؟! وهو يمط يديه وراء رأسه الكبيرة، وهو جالس خلف مكتبه الوثير: والله انني لم أقرأ كتابا من أربع سنوات؟!

إن مثل هؤلاء القادة في خضم الفوضى تراهم أجسادا بلا روح وشخصيات قد تظن أنت أنها للوهلة الأولى مليانة كما يقولون، ولكنه عندما يتكلم أو حتى يتنفس تكتشف أنه الطبل الأجوف.

إن الموكوسين من قادة الفوضى يحبون الرجال والنساء الضعفاء، ويقدرون العناصر باهتة الملامح، والأفـراد ذوي الحاجات المصلحية الذاتية لأنهم يستطيعون السيطرة عليهم بالتخويف أو المال أو إدعاء الوصول للمقامات العليا، أو عبر إظهار الرفق أو التدين أو الشعبية، فترى الأعضاء حوله بمنزلة

الأتباع أو المريدين من شيخ الطريقة فيستسلمون كليا، فما دامت حاجاتهم مشبعة فلا بأس من قرع الدفوف في عرس تنصيب القائد الفوضوي قائدا ملهما.

إن القائد الفوضوي قائد بلا مبادئ وبلا قيم: يحلف ولا يلتزم ويفتي ويغير فتواه ويحلل بلا دراية، هو نصف مستمع، يرسم ويخطط بلا معلومات، ويسرق جهود الآخرين دون أدنى حرج او خجل، ويكتل ويستزلم ومن يخرج من محيط دائرته يلقى العنت والشدائد.

إن قائد الفوضى نقيض قائد الرؤية، حيث لا رؤية عنده ولا تخطيط، ولا تنظيم ولا قوانين، وإنما دفقات من الأفكار العشوائية المرتبطة بمصلحة آنية تصيب أحيانا، وتنكسر في أحايين كثيرة، تنجح آنيا وتدمر التنظيم استراتيجيا ولكنه في نظره العليل وعقله الكليل عمل جليل ليس له مثيل.

عندما يفتقد المدير أو القائد الرؤية والقيم والقوانين أو المبادئ أو مفاتيح العمل فإن عمله، وإن كثر جهد بلا نتيجة وعمل بلا مضمون وتعب مع رغبة في ازدياد مبهمة الأسباب.

صادفت قائدا فوضويا من أكثر من عشرين عاما وكانت كنيته (أبو محمد)، وهو أيضا قائد بالصدفة حيث استشهد زملاؤه في إطاره فلم يبق ليستلم الموقع إلا هو، فكان أبو محمد -رحمه الله الآن- يثير الغبار حول الآخرين فيسد الرؤية عنهم ويسخف منجزاتهم وإن كانوا تحت إمرته من جهة، ويدبج المعلقات بما يقوم به وإن كان من أتفه الأمور، فعلى سبيل المثال ظهر تلك الأيام جهاز المثالة (الفاكس) وهو كغيره أداة عمل إلا أن قائد الفوضى اعتبر الفاكس اختراعا سريا فلا ورقة أو رسالة تخرج أو تجيء إلا تحت نظره وبيده هو فقط، فيصبح انتاج الفاكس انجازا من انجازاته، وما أسهل أن تمحو اسم شخص لتكتب اسمك عوضا عنه حتى لقب المذكور باسم (فاكس مان)، وهذه الأيام ظننت أن مثل هذا النوع انقرض فإذ ببيوض الديناصور تفقس، وعودة لصاحبنا أبو محمد الفاكسمان نوضح أنه بمجرد أن

جفت الموارد المالية أطفئت عليه الكهرباء وأصبح المريدون يمرون عليه دون أن يحييوه حتى قضى كمدا.

إن قائد الفوضى ينشر الفوضى ليسود، وقائد الفوضى يستغل الفوضى ليستمر، وقائد الفوضى-مع تحفظي أصلا على تسميته بقائد- يدعم الفوضى ليقود.

يقول ملك الإدارة الحديثة الفيلسوف (بيتر دراكر) إن القيادة نتائج وليست خصائصا، فماذا يفيد الأمة قائد قنوع ذو أخلاق حميدة لا يحقق نتائجا أوانجازات؟ فما بالك بقائد لا يمتلك لا الخصائص ولا القدرة على الانجاز!!

في الثورة الفلسطينية-ولحقتها في ذلك بسرعة الريح حركة حماس- نرى بوضوح من أشكال الصنف الثاني الكثير وربما أنماط أخرى سلبية، وهذا الصنف الفوضوي أو قائد الصدفة رغم أنه قد يستثمر بعضا مما يحفظ من ظاهر الآيات أو يتغنى بغابر الأمجاد أويتظاهر بالعمل أو الجماهيرية أوالبساطة، فإنه بتعبه هذا خاسر وبلا قيمة، ويظل أصحاب هذا النوع من الإدارة يشكلون ثغرة في المركب، أو تفاحة فاسدة في الصندوق سرعان ما تصيب البقية بالعطن إن لم تنتزعه من حضنها.

إن قائد الرؤية في حركة فتح وفي أطر الثورة الفلسطينية باعتقادي موجود في مختلف المستويات حتى مستوى الخلية، فحين ترى الفكر الوثاب ورعاية المبادرات وتطبيق القوانين وتحقيق للتعاون والتآلف بين الأعضاء وحين ترى المركب يسير بثقة، وحين ترى متابعة بعينين مفتوحتين من رجل يشع طاقة تغمر الآخرين ما يلههم للعمل فإنه بواردنا أن نتغير ونتقدم ونحقق أحلام الأمة.

المهمشون

لم أكن أظن أنني سأصادف في حياتي، وبشكل متكرر مثل هذه النوعية من البشر وهي نوعية من يطلق عليهم بالمهمشين سياسيّا، ولكن هذا ماحصل واضطررنا للتعامل معهم بصعوبة بالغة.

إنك من الممكن أن تصنف الموظفين أو العاملين أو الأعضاء في التنظيم إلى 3 فئات أساسية كالتالي:

الفئة الأولى: العاملين أصحاب الرؤية والملتزمين بالانجاز وتشكل ما نسبته تقريبا 10%.

الفئة الثانية: الراغبين بالعمل المحتاجين للتحفيز، أو المتكاسلين الذين يؤثر فيهم مناخ العمل وتشكل ما نسبته 80%.

الفئة الثالثة: وتتكون من صنفين هما اللامبالين او المهمشين، والى جانبهم البلطجية.

والفئة الثالثة هي من صادفتها بشكل متكرر وتعاملت بالطبع مع الفئتين الأخريين ولكن هذه الفئة هي الفئة الخطرة لأنها بصنفها البلطجي تأسر التنظيم وتسرقه وتصول وتجول مستخدمة كل أساليب الإرهاب الفكري والإداري والمالي.

وبصنفها المهمش نتيجة تهميشها بإرادة منها أو بسبب الآخرين فهي تعيش خارج سياق الأحداث في العمل أو التنظيم وقد تخطئ الحكم عليها بأنها لا مبالية بمعنى عدم رغبتها بأن تتخذ لنفسها دورا في العملية الإدارية أو التنظيمية.

إن خطورة هذه الفئة تظهر بوضوح عندما تتاح لها الفرصة حيث أنها تتحول إلى وحش يريد أن يسترد سنوات عمره الفانية التي عاش فيها منبوذا أو مهمشا أو يتحول إلى كلب مطواع للسيد البلطجي غالبًا الذي فتح له الباب وجعل منه شيئا مذكورا.

لقد كان صديقي ولنسمه فالح رجلا ذو تاريخ نضالي لا يُنكر ولكنه شخص متطلب لا يعمل بقدر ما يطلب لذلك أدمن تقديم أوراق المساعدات المالية للرئيس عرفات رحمه الله، وأما في عمله الوظيفي فقد كان محدود القدرات لا يعمل إلا باتجاه واحد، ويريد من الآخرين أن يحملوه على ظهورهم.

ظل صديقنا فالح في الظل عشر أعوام إلى أن جاء الوقت وقدمه أصدقاؤه بعد أن خلت الساحة فتحول إلى وحش كاسر يلطم ذات اليمين وذات الشمال.

أما الكلب المطواع للسيد البلطجي فكان رجلا تعاملت معه عن بعد. كان قد فقد موقعه لسبب أو لآخر فلما أخرجه عدوه اللدود ضمن حسابات محددة في التنظيم من قعر بئر النسيان تحول إلى ادأة لينة في يده، تضرب ذات اليمن وذات الشمال دون التفات للصواب من الخطأ وإنما في آلية عرفان بالجميل لا تعترف بالقوانين واللوائح بقدر ما تعلي من قدر الشخص الذي أعطاها عملا ومكانًا بين الآخرين وبضع دريهمات بعد سنوات من العزلة والنبذ.

القائد الحاسم

عرفتُ ثلاثة نماذج من القادة في الثورة الفلسطينية فيما يتعلق بموضوع الحسم والبت في الأمر، فالأول كان حريصًا حازمًا حاسمًا، لا يترك القضايا تطول ولا يدع مجالاً للفوضى أو للقيل والقال، ولا يترك مساحة اجتهاد غير منضبطة للوائح والنظم والقيم، إذ كان يسارع لطلب الأطراف ذات العلاقة بالأمر أو المشكلة ويستمع ويربط الوقائع ويصدر الحكم فتنتهي المشكلة، ولا تطول أو تتحول لأزمة، ولا تترك مساحة لاستمرار التباغض أو التأثير السلبي على العمل.

أما الثاني فكان قائدا متأنيّا يطرح النموذج الأبوي، يترك المسائل لفترة طويلة ولا يتخذ موقفا من الأطراف بشكل دائم. قد يتخذه لصالح طرف مرة

و يتجاوز الموقف للطرف الآخر مرة أخرى. أي أنه لا يحسم ولكن يتعامل مع الموقف ذاته بمنطق (التمرير)لهذا ثم التمرير لذاك الشخص بغض النظر عن القوانين واللوائح، وبغض النظر عن القرارات التي يكون هو من قام باتخاذها.

وكان الثالث قائدا متهاونا يسعى للتوفيق وان لم يحصل يترك الأطراف تتصارع ويترقب ظهور النتائج، لا يدافع عن قراره ولا تهمه اللوائح، وينظر للمخرجات فان كانت في صالحة من الطرفين رغم تنازعهما سعى للتهدئة دون إيجاد الحل الحاسم أو المرتبط باللوائح أو حتى المرتبط بقراراته، ولسان حاله يقول ما داموا يتصارعون ويرجعون لي في كل مرة فليكن.

الأول يبني مؤسسة لأنه يحترم اللوائح والقوانين والقيم، كما يحترم التخصصات ويدافع عن قراراته.

والثاني وسطى يحاول إرضاء الطرفين ومنحهما الفرصة للعمل بغض النظرعن اللوائح وفي سعى ضعيف لبناء عقلية المؤسسة بالتوافق.

والثالث متهاون لا يهمه تواصل النزاع والخلاف بقدر ما يهمه ألا يخسر أحدا ولو على حساب القوانين والتخصصات واللوائح، وبقدر ما يهمه العمل.

فهل نختار المؤسسة أم التوافق أم التناحر، وهل نختار المهتم باللوائح والقيم أم المهتم بإرضاء الأشخاص أم نختار المهتم فقط بالعمل والنتائج؟

في التنظيم السياسي عامة، تتواجه الأساليب الثلاثة فلا تنظيم ولا يحزنون، ولا مؤسسة ولا خلافه، ولا عناية تصل إلى حد تكريس الحرص، حتى أصبحت التنظيمات ملتقى لكتل وشلل وجماعات وفرق أشبه بالسوق «السوبرماركت» حيث العلامات التجارية لنفس المنتج متعددة وعليه بإمكانك أن تختار منها ما تشاء اليوم ما تلقيه غدا في الزبالة وتختار غيره (والعوض بسلامتكم) كما يقول المثل الشعبي.

المتابعة كمهمة قيادية

عندما يقوم أي شخص بعمل فإنه ينفذ مجموعة من الخطوات المتتالية التي لا يتم العمل إلا بإنجازها.

إن خطوات العمل هذه قد تحتاج لخطة وقد لا تحتاج عندما تصبح رتيبة (=روتينية) متكررة، فالنجار عندما يذهب إلى بناية ليحدد متطلبات الأبواب للشقق يبدأ بأخذ القياسات ثم يحدد السعر ويعود ليصنع الأبواب وكلها خطوات عمل ترتبط بآلية وخطة عقلية وميزانية ووقت وجهد ذهني لتحقيقها هو يتقنه، وعليه فإن المتابعة للعامل من رب عمله أنه يقوم بتنفيذ الخطوات وفق الخطة والأسلوب وفي الزمن المقرر.

أما في الإدارة للمؤسسات فإن المتابعة فيها ترتبط بالقيادة والتوجيه لأن آلية التيقّن ترتبط بمقياس أومعيار الأسلوب والخطوات المقررة والزمن وحدود الإمكانيات والأشخاص وعدم التداخل... الخ من المعايير المحددة لأي عمل، وعليه تصبح المتابعة عبارة عن إطلالة دورية من شرفة الإدارة على ساحة المعركة أو العمل.

وفي التنظيم السياسي فإن مهمة المتابعة مرتبطة بالهيكل التنظيمي بمعنى أن كل مسؤول أو منسق أو أمين سر لإطار (الإقليم، المنطقة...) (الوحدة، الأسرة...) حسب تقسيمات أي تنظيم، هذا المسؤول هو المعنى بمتابعة الأعضاء والوحدات ونشاطاتها ضمن صلاحياته بمعنى تيقنه من تنفيذهم لخطوات العمل وفق المعايير، أو تيقنه من استخدامهم لقدراتهم بحدودها القصوى لتحقيق الإنجاز، أواستيثاقه من قدرتهم على التطور والعمل.

يقوم الحداد أو بائع البطيخ أو مسوق زجاجات الماء أو موظف الكهرباء بإعطاء تقرير شفوي لرب عمله في إطار المتابعة، وما هو ضروري في التنظيم السياسي أن يقدم كل مسؤول وحدة أو مهمة أو لجنة لمسؤوله تقريرا دوريا شفويا ومكتوبا، يعلم فيه مسؤوله بتنفيذه لخطوات العمل بالأسلوب المتفق عليه وبالشكل المقرر وبالأشخاص المكلفين وفي الزمان والمكان المقررين

وضمن الميزانية المتاحة، أو بغير ذلك أو إضافة لذلك من معايير.

وعليه تصبح المتابعة بحسب علم الإدارة مهمة إشرافية فالمدير أوالقائد الذي يمارس المتابعة لا يقوم هو شخصيا بتنفيذ العمل وأن حصل أن قام هو بالتنفيذ بدلا عن الآخرين فاما يعد ذلك نقص في وعي القائد أو المدير وعدم فهمه لمهام عمله أو دلالة على فشله في إدارة الوحدات أو الأشخاص.

كثيراً ما يحصل الخلط في التنظيمات بين المهمات التنفيذية والمهمات الإشرافية حيث أن الثانية هي مجال المتابعة والأولى مجال تركز الفعل والعلاقة بينهما ترتبط بوسائل المتابعة الأساسية من: محضر اجتماع، تقرير خطط، تقارير أداء وكلها دورية وترفع من المستوى التنفيذي إلى المستوى الإشرافي أومن المستويات التنظيمية الدنيا إلى العليا.

وللعلم فإنه في التنظيمات السياسية قد يكون هناك تداخل في المهمتين بمعنى أن تنفيذ أمين سر المنطقة لمهامه عبر تنفيذها (وهذه مهمة تنفيذية) لا يعفيه من متابعة عمل أعضاء لجنة المنطقة (وهذه مهمة إشرافية).

إن المهمات التخصصية في التنظيمات أو الاستشارية في الإدارة ليست مهمات يجوز لها أن تتابع النشاطات أو الأعضاء لأن في ذلك خلطا، بل وتدخلا في عمل الأطر (الهياكل)صاحبة الصلاحية، وما مهمة التخصص إلا تقديم (خدمة) أو (فعل) في اتجاه محدد (تنمية عقلية، تطوير أداء، تدريب، شرح، تحليل استنتاج، تقديم تقرير، استبيان أو استطلاع رأي، فرز الأعضاء، إجراء انتخابات، تقديم كشوف، تقديم أفكار أو آراء، تلخيص محاضر...).

وليس لها أن تتابع ذلك في الأطر ما يعني نقص في الوعي الإداري التنظيمي أو اغتصاب لمهام الآخرين، أو رغبة في تشكيل محور أو تيار داخل التنظيم أو الحزب.

إن المهمات الاستشارية أو التخصصية مرتبطة بالمسؤول الأول فقط، أو بحدود الصلاحيات المنصوص عليها دون الارتباط مطلقا بتشكيل آلية متابعة

للأداء أو للأعضاء أنفسهم في الهيكل، وإلا لأصبحت خطوط السلطة من أعلى إلى أسفل كثيرة ومتداخلة أولا وتضعف من خط السلطة الضروري والوحيد والمتمثل بالمتابعة والإدارة والقيادة وفق التسلسل من أعلى إلى أسفل.

الحرائق والأوراق الخضراء في المؤسسة

عرفت مديرًا كان يحبّ أن يكون مهاباً مسيطرًا فاستخدم في ذلك الأسلوب التقليدي المعروف أي الثواب والعقاب أو ما يسمى حديثا بسياسة الجزرة والعصا. فكان يغدق على المقرّبين الذين يلبّون أغراضه حتى لو لم تتوافق مع سياسة المؤسسة ويبعد المخالفِين وأن كانوا من المتخصصين أوالمهنيين المشهود لهم.

ولتمتين موقعه في المؤسسة أغلق باب المعلومات فكان يقننها فلا تخرج إلا (مفلترة)وبالقدر الذي لا يضره كما يعتقد، كما وبث العيون في أجزاء المؤسسة يتحسب الخطوات، ويحسب الحركات فالنظرة والكلمة عنده لها معنى من أي شخص أتت قريب مقرب أو بعيد مبعد، وعليه كان لا بد للعصا والجزرة أن تظهر في كل موقف وكل سكنة وهنّة بحيث أن جو المؤسسة أصبح مليئا بالحرائق والدخان فالدسائس في كل مكان و(المؤامرات) لا تكاد تنتهي، لا سيما وأن مجموعة امتهنت ذلك لغرض أن تتكسب فما دام رب البيت بالطبل ضارب فشيمة أهل البيت الرقص.

خرج الناس من قمصانهم النظيفة وبدوا قذرين يتحسّبون للكلمة ويزاودون على بعضهم البعض في التقرب من المدير، وكانت الحظوة تقاس بكمية المعلومات المقدمة للمدير عن فلان وعلان.

إضافة للمرونة النفسية الشديدة للشخص الواشي إلى حد تقبل الإهانات والتذلل الذي فيه تنحني قامة الرجال ليقبّلون الأيادي والأقدام بعملية مبررها أنهم يتسابقون لنيل الرضا والقرب. وبالطبع لامتلاك تلك المظاريف الورقية الصغيرة الصفراء التي تمتلئ بالأوراق الخضراء.

ولكل ثمنه حسب تقدير المدير فمنهم من لا يسوى ورقة خضراء واحدة ومنهم من لا تكفيه الأوراق العشرة ذات المائة دولار للواحدة منها.

كان المدير يتعامل مع المؤسسة وكأنها ملكه الخاص، ويتعامل مع منطقة صلاحياته كنفوذ لا يحتمل التحدي بأي شكل من الأشكال. لماذا؟ لأن مجلس الإدارة الذي هو عضو مؤسس فيه كما كان يردد يتعامل مع بعضه البعض وفق نفس المنطق حيث أن القوي فيهم هو من يسيطر على منطقته سيطرة كاملة ويحكم قيادتها دون معارضة مطلقا.

استخدم سياسة الثواب والعقاب وفق أهوائه وفي نطاق سيطرته ولأغراضه ولزيادة قوته ونفوذه أما هو فمُعفي إعفاءا كاملاً من المحاسبة حتى لو تم تدمير المعبد على من فيه، وهذه ليست نكتة أو قصة سخيفة أبدًا، بل حقيقة هي أقرب لواقعك أكثر مما تظن.

كيف نعمل بثقة بالنفس فنُحدث التغيير

في بلدة سبسطية قرب نابلس ولمجموعة من الشباب قمنا بإعطاء ورشة عمل حول تنمية الثقة بالنفس حيث تم استعراض 6 آليات يمكن استخدامها لتعزيز الثقة بالنفس، وبما أنني لست عالما نفسيا فلم أكن لأدري هل تطبيق النظري يؤدي فعلياً للتعزيز أم لا.

بعد ذلك أرسل لي طالب في السنة الرابعة في إحدى الجامعات رسالة يتحدث فيها عن ضعف ثقته بنفسه وعن خجله وعن عدم قدرته على المواجهة وأشار إلى انه قرأ المادة في موقعي حول الثقة بالنفس ولم تفده، كما لم تفده أنه سكن مع طلبة أقوياء كما قال، وطلب مني معالجة الأمر إن أمكن.

ان كان لي أن أقدم سبيلا من التجربة مع الذات و الآخرين لا من المسطور النظري فيمكنني القول ان الاعتراف بالمشكلة هو نصف الطريق للحل لأنه لا علاج لمريض ينكر مرضه ولا دواء يحقق شفاء ما دام المريض مقتنعاً بعدم الشفاء لذا فان خطوة الاعتراف تعد غنيمة وهذا أولاً.

ثانيا يجب توفر الرغبة في التعزيز أو التطوير، والرغبة محرك الإرادة للقيام بالفعل. لقد كنت أشعر بخوف كبير من مجرد الجلوس في اجتماع أو الصعود إلى المسرح لتسلم هدية تفوقي في المدرسة فكيف بالحديث أمام الآخرين.

فماذا تغير؟ انه الاعتراف والرغبة والإرادة ثم العمل وهذه الخطوات الأربعة تعني ثالثا ممارسة الاختلاط والتواصل والحديث بين الناس وفي الندوات والاجتماعات بقناعة التغيير في ذاتي.

أما رابعا فان الإعداد المسبق لما سيقال وان كان بضعة كلمات يعد منقبة.

وخامسا فان تخيل المواقف المختلفة ومعايشتها ذهنيا ثم تطبيقها في

الواقع يعد خطوة لا غنى عنها وقد تفشل مرة فتتعرق فلا تحملك رجلاك وتخور قواك ولا تتكلم وقد تتلعثم في الثانية ويضحكون منك ولكنك في الثالثة ستفوز أوتحقق قهرك لأسوأ مخاوفك.

أما سادسا فلا غنى عن الصلاة والدعاء كما لا غنى عن مخاطبة النفس بالأفكار الايجابية: أنك ستفعلها وأنك ستفوز وأنك ستحقق المراد فأنا قوي وأنا قادر وأنا استطيع وأنا الفائز.

في المرات الأولى التي واجهت فيها الجماهير رددت عبارة أيها الأخوات أيتها الأخوات عدة مرات ولم تكن هناك أخت واحدة بين الحضور، وفي المرة الثانية شعرت بخوار في رجليّ وفي الثالثة عندما ألقيت محاضرة أحسست أن العرق شكّل غشاوة على عينيّ، ولكن إصراري على خوض غمار الفعل واختبار كافة المواقف الذهنية ثم الفعلية قد حقق الثقة بالنفس وباعتقادي القدرة على المواجهة والتغيير.

استثمار العقل

كانت المرة الأولى التي كتبت فيها بحثا خارج نطاق تخصصي- وتخصصي الأول كان الهندسة المدنية- قبل 30 عاما أو أكثر، وكان البحث عن الاتصالات في التنظيم.

تخرجت مهندسا وعملت لفترة محدودة في المجال، وقام الأخ أبو علي مسؤولي التنظيمي في حركة فتح حينها بالإعداد لدورة حول الثقافة الحركية، كانت مهمتي فيها إعداد مادة الاتصالات وتجهيزها ثم إلقائها في الكادر الحركي بالدورة.

هل تظن أن مسؤولية إعداد مادة أو بحث أو دراسة عمل هيّن أو سهلٌ؟ إن كنت كذلك أدعوك لإعداد ورقة من 4 صفحات حول موضوع تنظيمي أو سياسي أو تثقيفي ليس بطريقة القص واللزق المنتشرة هذه الأيام، وإنما

بطريقة التمحيص والتقليب والإعداد الذي يشغّل العقل، وبعد ذلك مطلوب منك أن تحاضر بالمادة أمام جمهور!

فان كنت تظن أن العمل الفكري عمل سهل على اعتبار انه مجرد خربشة قلم أو صوت على الورق فأنت واهم، لأن العمل الفكري معركة تدور في الدماغ لتنتقل إلى اللسان أو القلم هي حقيقة معركة يا غالب يا مغلوب.

يقول العلماء أن الإنسان يفكر بخمسين إلى 60 ألف فكرة يوميا، تصوروا حجم الاستهلاك لخلايا الدماغ، وحجم التفعيل فيها، وهذه الأفكار ليست بالضرورة هامة أو مفيدة أو مثمرة، وإلا لكنا كأمة وأفراد في حال غير هذا الحال أولا.

وثانيا فإن الإنسان بطبعه يستسهل الأمور ويتعجلها (خلق الإنسان عجولا)لذلك فإنه يستهلك دماغه فيما لا يضر ولا ينفع وقد يضر ولا ينفع.

ما نريد قوله أن استثمار الأفكار في العقل يعني توجيها باتجاهات ثلاثة، الأول: أن تكون أفكارا إيجابية، والثاني أن تشتمل على أشعة (ألفا)التأملية، والثالث أن نتحرى الأفكار المفيدة.

القدرات العقلية تتفاوت فمن يبذل جهدا يطور ذاته بذاته، ومن يستسهل أن تلعب الأفكار برأسه ذات اليمن وذات الشمال وكأنه حائط لملعب (اسكواتش)يتلقى ضربات الكرة مستسلماً فله ذلك.

أما من يريد أن يرى تغييرا في مسار عقله فليس له إلا نصيحة العالم والمخترع أديسون التي تنص على أن يبذل الجهد لأن الإبداع والتطور كما قال يحتاج إلى %99 جهد وعمل دؤوب.

عودة لبحثنا في الاتصالات من 30 عاما مضت، أقول لقد كنت مجمداً لفكري البحثي عند حدود ما أخذته بالجامعة وفي كلية الهندسة تحديدا، بل كنت أرى البحث والدراسة عبء يجب التخلص منه، ولكن ذلك كله تغير

منذ ذاك اليوم الذي كلفني فيه الأخ أبوعلي المطري باستثمار عقلي والبحث والمحاضرة، ليلازمني هذا المنهج مقرونا بالتوتر والقلق كحوافز للتعديل والتحسين والتطوير ونشدان الأفضل أن في كتابة الدراسات والبحوث وان في أي أعمال أخرى.

حُسن الإعداد هو الحل

ماذا يحدث عندما تعقد اجتماعا بلا جدول أعمال، أو عندما تعد لرحلة دون أن تقوم بتنظيم نشاطاتها وتكليفاتها، أو أن تقيم حفلة بمجرد الاتصال لدعوة المحتفى بهم دون برنامج زمني وإداري للحفلة؟

بالطبع في جميع هذه الحالات وبمجرد عقد الاجتماع أو الرحلة أو الحفلة ستقف مشدوها من كم المشاكل التي ستجابهك أو من القضايا الكثيرة الصغيرة التي لم تنتبه لها.

إن الإعداد المسبق أو التمرين على الموضوع باعتباره عنصرا رئيسا في فن إتقان العمل ليس كلاما في الهواء بل حقيقة، وإليكم ماذا يحصل عند افتقاد الإعداد المسبق أو المران أو التنظيم.

قمت وعدد من الأخوة بتنظيم رحلة للأخوة والأخوات في الجامعة إلى منطقة جميلة فدعونا الجميع وجهزنا الحافلات، ولما لم يكن لدينا كشف بمن سيحضر فقد كان عدد الحافلات أقل من العدد الحاضر فكانت أول المشاكل وأصعبها ما طغى على الرحلة وهدد سمعة مجلس الطلبة بالفشل.

ومع انسحاب عدد من الطلاب والطالبات، انطلقنا بالحافلة إلى المنطقة المحددة ولم نحدد طبيعة البرنامج فكانت كل مجموعة تتحلق معا أو تتشاجر أو تلعب بشكل عشوائي وكنا نرغب كمنظمين بعقد ندوة سياسية قبل الغداء فلم نستطع لسوء التنظيم وافتقاد البرنامج وضياع التكليفات أن نجمع إلا عددا قليلا من الأخوة والأخوات.

ارتبكت وأنا أتحدث فيهم عن الوضع السياسي وتوقفت كثيرا بوقفات غير محسوبة ما جعل كلامي مملا جدا، كما علمت لاحقا، وعندما تداركت الأمر بإشارة من أحد الأخوة شكرتهم ودعوتهم للغداء.

أن حسن الأداء لا يتحقق بالفوضى والعشوائية، وإنما بالتنظيم والتخطيط والإعداد المسبق، بالتمرين المتكرر بل وبتصور المشاكل ذهنيا وتصور حلولها قبل وقوعها وإلا فإن العواقب ستكون غير سليمة.

المعاناة واتخاذ القرار

ماذا يدور في عقلك عندما تفكر باتخاذ قرار صعب؟ وكيف تستطيع أن تقرر في ظل محدودية البدائل؟ وكيف تعالج الآثار الجانبية للقرار المتخذ؟ وكيف تحسم في النهاية رغم الصعوبة وربما الألم أن هذا القرار هو البديل الأمثل لهذا الموقف وفي هذا التوقيت؟

قد يسعفك الوقت للتفكير في اتخاذ القرار، وتظل تعاني طويلا وقد تجد نفسك فجأة أمام حالة لا تستطيع منها الفرار، فقرر! سواء أكان القرار المطلوب مستعجلاً أو في فسحة من الزمن فإنه يضغط عليك ويصرخ في وعيك.

إن المؤثرات الضاغطة في اتخاذ القرار كثيرة ولكن دعني أجمل بضعة عوامل اعتقد أهميتها أولها: الوقت، فالوقت في القرار ذو أهمية قصوى، إذ أن أهمية القرار أو نتائجه تعتمد على الوقت فإن فاتك القطار لن ينفع الندم.

اما العامل الثاني فهو: توفر إرادة اتخاذ القرار، فقد يعلم الشخص أن بدائله متاحة ولكنه منهك أومتعب أو ضعيف فلا يتخذ القرار لضعف الهمة أو فقدان الإرادة، وقد يمتلك الشخص جسداً قويا ولكنه يخور في المواجهة،

وثالثا: فإن توفر الإرادة عامل مهم ولكنها كلما كانت إرادة حرة كلما

كانت ضاغطة باتجاه تحقيق أهداف الشخص ذاته، ما يختلف كثيرا لو كانت إرادة الشخص مقيّدة أومسيّرة من آخرين.

أما رابعا: فإن تقبل النتائج يعدّ عاملا ضاغطا، وكذلك الرغبة في رؤية النتائج أو حتى تقبل النتائج السلبية أيضا يعد عاملا مؤثرا وضاغطا لاتخاذ القرار.

وخامسا: توفر الظرف المناسب من دعم فني مثلا أو دعم نفسي أو دعم اجتماعي من شخص أو أشخاص مقربين أو جماعة مقربة.

أن الثلاثية النفسية التي تحكم اتخاذ القرار تبدأ بالمعاناة المشتتة ثم المركزة وتتصاعد إلى القمة ليصل الإنسان أحيانا لحد التمزق، وعندها تنشق السحب عن ضوء أبيض فتظهر نقطة الانزلاق والتي عندها يجب أن يتم اتخاذ القرار، فإن اتخذ فإن الراحة النفسية هي المكافأة لهذه العملية النفسية الشاقة.

مررت كثيرا في نزاع أو صراع نفسي كبير لكي اتخذ قرارا، مثل قرار الترشيح للجنة الإقليم في حركة فتح بأحد الدول، ثم قرار الاستمرار أو الانسحاب في ظل الضغط الكبير الذي مارسه علىّ عضو اللجنة المركزية المسيطر على الإقليم ومازلت في العشرينات من عمري آنذاك، ثم كان لقرار الخروج من تلك الدولة معاناة أخرى ولحقه قرار العمل مع الرئيس الراحل ياسر عرفات أو العمل في مكتب التعبئة والتنظيم في تونس مع الأخ أبو ماهر، ثم قرار البقاء في تونس أو العودة للوطن، وعشرات القرارات الصعبة الأخرى في الوطن والتي كلها كلفتني جهدا عصبيا وجهدا نفسيا مؤثرا بالإضافة لقرارات شخصية أخرى تتعلق بالدراسات العليا والأبحاث.

يمر القرار بالنفس الإنسانية في اعتقادي بالمراحل التالية:

1. الإحساس بالحاجة لاتخاذ القرار: فعندما تعارضت مبادئي مع الممارسات التي يقوم بها بعض الزملاء زملاء في العمل خضت معركة

نفسية لإحساسي بالحاجة لاتخاذ قرار في هذا الوضع فإما أن استخدم إستراتيجية الانسحاب أو المواجهة وفي الأولى راحة والثانية معاناة.

2. المعاناة: فمن الواضح أن المعاناة تسبق وتترافق وقد تلحق اتخاذ القرار، خاصة إذا كان الشخص يهتم، نعم، يهتم. فالاهتمام بحد ذاته يولد عقلية الإتقان والتميز والإبداع والتغيير، فمن يهتم بأسرته أو مبادئه أو عملة أو متعته أو أصدقائه أو قضية عامة فإنه يتخذ السبل لتحقيقها ويضطر لأن يختار من بينها وفي ذلك معاناة كيف ومتى يقرر.
3. البحث عن البدائل: ثم حين توفرها آلية البحث فيها، ما هو البديل الأصلح أو الأسهل أو الأهم؟ أوالذي يخفف المعاناة أو الذي يجلب السكينة... الخ، وعملية البحث العقلية النفسية هذه تعنى ان تتقابل مجموعة العوامل الداعمة لهذا الخيار في مواجهة مجموعة العوامل الداعمة لذاك الخيار في الذهن أو على الورق وأنت بينها كالقاضي يفصل بين حجج النيابة ومحامي الدفاع.
4. الشعور بالخوف: حيث أن القرار خاصة المصيري في حياة الإنسان ينقله من حالة إلى حالة ومن مرحلة إلى مرحلة أخرى مختلفة كلياً. من مرحلة المعروف والمجرب الى مرحلة مجهولة غامضة، ينتقل من منطقة الراحة والأمان التي يعرفها إلى منطقة الفزع والخوف من المجهول القادم.
5. زوال العبء: مع قرب اتخاذ القرار ورغم الشعور بالخوف من المستقبل، من القادم من النتائج، فإن حملاً ثقيلا يبدأ بالزوال عن كتفيّ صاحب القرار فيمتزج شعور الخوف بالراحة بشكل عجيب.
6. الحسم واتخاذ القرار: أن مرحلة الحسم باتخاذ القرار تكون قد تجاوزت البدائل واختارت، ويكون المولود من تزاوج مرحلتي الشعور بالخوف وزوال العبء والراحة مولودا يجب التعامل معه ورعايته.
7. السكينة: في مرحلة السكينة تتوقف التعارضات التي كانت قائمة في الذهن، وتنسحب أصابع المعاناة التي أطبقت على الدماغ حيث تواجهت العوامل في معركة طاحنة، والآن بعد اتخاذ القرار (البديل المتخذ) تختبئ البدائل الأخرى تحت بند غير المقبول أو المرفوض أو

المؤجل ويتقدم القرار مزهوا إلى الأمام، في حال ممتزجة من الخوف والراحة معا ليدخل الإنسان بعد اتخاذه القرار لهذه المرحلة مرحلة السكينة التي قد تكون مؤقتة أو طويلة استعداداً لآثار ونتائج ما حسم.

كيف نحافظ على الفوز؟

ليس من المهم أن تفوز حركة فتح في جامعة بيت لحم أو جامعة بيرزيت، وليس المهم أن تحقق انتصارات أخرى هنا وهناك، لماذا؟ لأنه قد لا تستطيع الحفاظ عليها مستقبلا، وعليه فإن المهم هو كيف نستطيع الحفاظ على الفوز واستثماره و ذلك بتحصين كادر فتح وكادر الشبيبة بمضامين الفكر والقيم الوطنية الفتحوية الأصيلة تلك القيم المستمدة من حضارتنا العربية الإسلامية المنفتحة غير المنغلقة، وبعقلية الممارسة وتحقيق الانجاز.

من المهم لنستمر أن نعرف كيف نحافظ على قيم الولاء لخط الشهيد القائد الكبير الختيار ياسر عرفات الذي لم يستشهد إلا وكان قد حقق القفزة في الفكر الثوري والوعي الوطني من جهة حيث ربط بين آلية الصلابة والمرونة في توازن يفهم الواقع وقواه ويحلله ويستفيد منه، ومن جهة أخرى ربطه بحاجات الناس والجماهير.

إن حركة فتح الناس وفتح الغد وفتح الجماهير وفتح فلسطين هي فتح المحبة التي تسبغ على الجميع حتى على المخطيء من أبناء الشعب محبة الأب الحاني الذي يقوّم الاعوجاج ولا يكسر، يصلح الخطأ ولا يقتل، وهي فتح التي تأخذ أبناءها بالشدة اللازمة في رحابة الاستماع للنقد ورحابة حرية الحركة التي ترفض بعض عقليات السطوة أو الهيمنة أو الاقطاعيات تلك التي تعشعش في أقبية التنظيمات الشمولية.

من الفوز يجب أن نصنع الغد، ونكرس الحدث ونتحلى باليقين، وعدم التوقف عند النتيجة ثم النوم على بساط من حرير، أو الاحتفال من خلال التضييق على الآخرين، أو العودة لتكرار الأخطاء بلا هيبة من النظام الفتحوي ستسبب عدم القدرة على استثمار الفوز.

إن استثمار الفوز أهم من الفوز بحد ذاته، وبما أن معركة الحركة الوطنية الفلسطينية وسيفها الديمقراطي ممثلا بالطلبة يجب أن يظل مجردا ضد

الطغاة ممن يتجهزون لسلب أسلحة الديمقراطية في المجتمع من يد دعاتها، فعليه لا نوم بعد اليوم بل عمل وبناء وتمسك بالقيم والنظم.

إن استثمار الفوز يبدأ أولا بمحاسبة الذات، نعم... فهذا وقته وليس أيام الفشل فقط، أين قصرنا ومن قصر فينا، لأن محاسبة المقصرين في ظل الفوز رغبة في الحفاظ عليه، ومحاسبة المتراجع في ظل الفوز رغبة في تقدم أكثر وعمل أكبر لا يكتفي ببضعة مقاعد ولا يكتفي بعمل وحيد أوحد هو الحشد للانتخابات، بينما ننام طوال العام عن خدمة الطلبة وعن تطوير أنفسنا وأطرنا: فلا بناء ولا تأسيس ولا اجتماعات ولا تقارير ولا متابعة ولا حساب.

إن استثمار الفوز يعني ضرورة العمل على التغيير ثانيا، التغيير في مفاهيمنا وأهدافنا بما يتوافق أكثر مع غايات وأهداف ومتطلبات الجماهير الطلابية، لأنه بلا خدمة دؤوبة للطلبة وللمشروع الوطني فإن الخسارة قادمة، ونحن أصحاب مشروع سامٍ وهدف مقدس لا يتوقف إلا بالتحرير للوطن، ولا يتوقف عند حدود الأشخاص فالأفراد زائلون والفكرة لا تزول.

إن استثمار الفوز يعني ثالثا وضع قواعد ولوائح وضوابط لعمل الكوادر يتحركون في نطاقها ويبدعون وينطلقون، وفي نفس الوقت ينضبطون لما أقروه بلا تهاون وبلا هوادة، فلا مناص من المتابعة والمحاسبة وفق النظم واللوائح.

كي لا نعتمد على الوضع السياسي وتأثيراته الدولية والإقليمية وانعكاساتها على الساحة فنصبح غير فاعلين بل ورقة في مهب الريح متى ما كان الوضع الدولي في صفنا فزنا ومتى ما كان مخالفا لنا خسرنا، يجب رابعا أن نستثمر الفوز برؤية سياسية واضحة في الحركة وبرؤية طالبية واضحة تحكم كل الجامعات والمعاهد فنعطي للطلاب حرية واسعة يبتعدون فيها عن السياسة الرسمية فينطلقون في ملعبهم بأنفة وقوة وتميز ولكن ضمن الأسس المتفق عليها.

إننا في معرض متغيرات كبيرة سياسية وإستراتيجية في المنطقة لذا يتوجب

لاستثمار الفوز أن نتعلم ولا نمل التعلم فنستمع لنبض الشارع في البدء والختام فلسنا ملائكة ولسنا التنظيم الذي لا ينازع ولسنا حزب السلطة ولسنا الوحيدين في الميدان ولسنا قوة لاتبارى، ولسنا صحابة الرسول ممن غفرت لهم ذنوبهم كما يدعي الآخرون لأنفسهم، ولسنا المنزهين او أصحاب نزعة الصواب المطلق.

ومع وضعنا كل الآذان على قلب الشارع نستمع لدقاته ومخطط قلبه وجب علينا تحقيق الثقة بخياراتنا وأهدافنا التي يجب أن تكبر فلا تقف في جامعة بيرزيت مثلا عند حد 25 مقعد فقط، لأننا نحن في فتح صناع الكيانية والهوية الفلسطينية، أصحاب الاستقلالية المتحررة من التبعيات لأي نظام رجعي أو تقدمي، ونحن تنظيم الجماهير وتنظيم القدرات المتجددة وتنظيم المبادرات وتنظيم الفكر اللامع وتنظيم الإبداع، وتنظيم الوسطية في أمة لا تقبل التطرف وتأنف من التجبر والتسلط الديني أو الدنيوي وهذا خامسا.

إن الاستثمار للفوز فينا –سادسا- يستدعي تواصل الخطوات الديمقراطية في كافة مفاصل الحركة كي لا يظل المؤتمر السادس أو السابع أو الثامن شعارا بل يصبح تاريخا، ونقبل على المؤتمر الذي يليه بأنفس جبارة وعيون مفتوحة ورغبات في الانجاز.

إذ نبارك لحركة فتح عرس الديمقراطية الوطني، فإننا والحال كذلك يجب -وهذا سابعا- أن نؤمن ونكرس ذلك فينا وبالآخرين قيم الديمقراطية من انتخابات وتداول سلمي وشفافية وقانون بحيث لا نقبل مكانا للمسيء بيننا ولا نقبل الدفاع عنه مهما كلف الأمر، فلا حصانة لمسيء من دين او قانون، لأن الذين قتلوا أكثر من 650 بريئا في غزة تحت دعاوي التكفير والردة أو التخوين سيتبوءون مقعدهم خلف صفوف الجماهير التي ستلفظهم وتتجنبهم.

وكي لا نكون في الصفوف الخلفية غدا وجب علينا أن نصلح الكثير في ذاتنا لا يضيرنا فساد الآخرين في فكرهم أو ممارساتهم فالاقتداء لا يتم إلا بالحلقة

الأقوى بالرسول الأعظم وقادة الأمة والثوار وقادة الرأي والعلم في الوطن وفي العالم ممن يجب أن نسمع ونفهم ونتعلم منهم بنفسية الطالب المقبل على العلم وعقلية الثائر الذي لا يقبل الظلم وإرادة المواطن الذي يفهم حقوقه وواجباته.

التعامل مع الأجيال؟ تجاوز النقص والإخلاص لفلسطين.

سأعالج في هذه المادة مواضيع أربعة في أولاها عن التعامل مع الاجيال، ثم انتقل للقسم لفلسطين وليس للحزب او التنظيم كآلية تثقيف للأجيال، ثم فكرة الحوار مع حماس، ولماذا ندافع عن حركة فتح وعقلية التجدد.

كيف نتعامل مع الأجيال؟

تعاني حركة فتح من تدافع للأجيال فيها خاصة في الفترة ما بين الأعوام (1989- 2008)ولاحقا حتى العام 2018 رغم المؤتمر السابع وهي الفترة الزخمة والصعبة متلاحقة الأحداث الجسام سياسيا وتنظيميا وعسكريا بين مؤتمريها الخامس الذي عقد في تونس، والسادس، ثم السابع.

تدافع الأجيال أو صراع الأجيال في المجتمعات ملحوظ وقائم، ويكاد يكون أمرا طبيعيا وكذلك الأمر في التنظيم السياسي.

انه في فترة 19 عاما بين مؤتمري فتح (الخامس والسادس) لم يتغير في الحركة صف القيادة الأول والثاني فمن الطبيعي أن تصبح الصراعات محتدمة على الأفكار والمصالح والمكانة والتقدم للصفوف والمشاريع والنفوذ وخدمة الجماهير والنضال أو خدمة الأهداف الذاتية في توليفة متعددة الجوانب.

نفخت عديد الفضائيات والصحف والأصابع الأجنبية في موضوع صراع الأجيال في فتح، فوصفت اصطفافا بين الشيوخ سنا على حده وبين الشباب سنا ما هو توصيف جد خاطئ.

في حركة فتح على الأقل هناك خمسة أجيال، جيل الانطلاقة (1948-1965) وجيل المد الثوري ثانيا (1965-1971م)، وجيل الصراع السياسي الداخلي والإقليمي (1971-1987) وجيل الانتفاضة (1987-1994) وجيل السلطة الوطنية ويتلوه جيل المقاومة الشعبية بامتياز منذ العام 2005.

ولكل جيل ضمن كل مرحلة قيم وأفكار وأهداف ومشاريع ورؤى مختلفة لا يصح معها الاعتباط بتقسيم الصراع أو التدافع وكأنه فقط بين جيلين.

فمن هم الشيوخ؟ وما هو السن؟ ومن هم الشباب؟ وما هو السن؟ انه تدافع أجيال متعددة لا حل لها إلا بالديمقراطية والشفافية في فتح وعبر تداول السلطة بالانصياع للوائح واحترام القوانين والتنظيم.

لماذا يكرهون فتح؟

لم أكن أفهم لماذا يكرهون فتح؟ فيثيرون صراع الأجيال أو عدم التجدد او عدم الديمقراطية أويكبرون من حجم السلبيات لتفوق حجم جبل أحد، لاسيما وان الفكرة نبيلة والبناء النظري بغالبه متوافق مع تطلعات الجماهير بحيث أن حركة فتح تحسست آلام الشارع وأحلامه ورسمتها كأهداف ومسالك عمل، وأنجزت في الطريق الكثير.

يكرهون فتح كما قد يقول قائل: لأن بها فُساد ومفسدين أو لأنها استأثرت بالسلطة دون الآخرين أولأنها ابتعدت عن الناس وسعى قادتها وكوادرها لتحقيق مصالحهم الشخصية على حساب العباد، أو لأنها مارست طغيانا ما على الناس من خلال بعض ممارسات الأجهزة الأمنية في مرحلة من المراحل.

أو يكرهونها لأن قادتها يقولون ما لا يفعلون، أو لأنها لم تحقق ما وعدت به الشعب الفلسطيني من دولة واستقلال وحرية، وربما يقولون إنها مكروهة لأن الفتحويين زنادقة أو علمانيين أو ديمقراطيين كفرة أو مرتدين من الاتهامات الجديدة؟؟

هل هذا صحيح أم أن به شئ من التجني، أو الكثير منه؟

بإمكاني بعد هذه السنوات الطويلة في حركة فتح أن أقول: أن الناس لا تكره حركة فتح أبدا، فقد تختلف مع عصابات فيها أو منحرفين أو البعض ممن انتهت مدة صلاحيتهم الذهنية وبإجمالهم فهم قلة، نعم تختلف مع

مثل هؤلاء الذين يتواجدون في كل تنظيم، ولكن الناس لا تكره فتح.

إن من يكره حركة فتح هم هؤلاء العصابات أو البلطجية أو المنحرفين أو تجار التنظيمات داخلها أوفي الفصائل غيرها الذين يتعمدون تأجيج الصراعات وخرق القوانين... أي قوانين، أو الذين يتعاملون مع الحركة كمورد مالي ومعقل نفوذ ومنصة سيطرة على عباد الله من الأعضاء والكوادر الأنقياء.

هؤلاء بشعورهم الطاغي بالنقص ورغبتهم أن يحترمهم الناس دون جدوى يتواثبون حول القيادة ويتميزون غيظا ويمتلؤن حقدا فيقومون بتدمير التنظيم ليس لفوضويتهم أو جهلهم أو نقص عقولهم أوعشوائيتهم كما يظهر الأمر للوهلة الأولى، وإنما عن سابق إصرار وترصد لأن تنظيم التنظيم ووضع أسس وقواعد وقوانين له يكشف مثل هذه الشخوص ويعرّيها أمام الكادر والأعضاء -في كل التنظيمات-بعد أن كانت عارية فقط أمام نفسها، حيث تبصق على نفسها في المرآة حين الخلوة، وتحاول أن تغطي على عجزها وجهلها بممارسات لا نظامية مقصودة.

إن من يكره فتح هم جهالها الذين يسعون للسيادة أو الوصول لمنصب من خلالها، والذين يعكسون جهلهم هذا عبر الإعلام والفضائيات... ورب ضارة نافعة حيث يصبح الناس في ظل توفر الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي أكثر قدرة على تمييز الغث من السمين فلا تختار إلا الأفضل، لأن الجماهير إن أخطأت مرة فلا تخطئ مرة ثانية.

في حديثه عن الصراع حول الرئيس يقول مروان كنفاني في كتابه سنوات الأمل ص 442 أن أشخاص الدائرة حول الرئيس - ما يصدق في العمل التنظيمي أيضا - معرضون دائما (لدوامة متكررة من محاولات العزل والدس والوقيعة... تبدو تلك الصورة كموجات بحر متلاحقة تحمل كل منها تحالفات وقتية ومتغيرة).

ويضيف كنفاني في الصفحة التالية أن هذه الدائرة كانت (مغرقة في

التنافس والتناحر عامرة بالاستعداد لانتهاج كافة الطرق واستعمال كافة الوسائل لنهش الذمم والتعريض بالكفاءة والنزاهة الوطنية) ما أظنه يصدق على تلك الدوائر حول خليل الوزير أو صلاح خلف وغيرهم، أو حاليا حول قيادات التنظيمات الفلسطينية الحالية، ما أرجو ألا يكون كلها.

الإخلاص لفلسطين لا للإخوان المسلمين.

احتفلت حركة (هي حزب) حماس في غزة[28] بتأسيسها بشكل عرضي، لتحتفل بحقيقة الأمر بمرور 80 عاما على ولادة حزب الإخوان المسلمين حزبها ذو الامتداد العالمي لا العربي ولا الوطني الفلسطيني ما بدا واضحا بقسم الإخوان المسلمين في المهرجان الباهت سياسيا.

تحتفل حماس في بهرجة وتزويق كبيرين لافتين في ظل واقع بائس لم تعش غزة مثله في جميع العهود السابقة، فقر وبطالة وجوع وأيام سوداء.

في مقابل اكتساب واكتناز أمراء الحرب للأموال والثروات القادمة عبر الإنفاق والاحتكارات والمافيات، وفي مقابل الحفاظ على رؤوس قادة حماس، وبعد الانقلاب الدموي البشع تهدي الحركة في يوم (حماس الأكبر) هدية للشعب الفلسطيني في أكبر عملية فساد مالي علني من خلال المهرجان المذكور حيث أنها صرفت ما يقارب 3-5 ملايين دولار -حسب بعض المواقع الالكترونية – لتحتفل (بالحج الأكبر في مهرجانها) بديلا عن الوقوف بعرفه (وكذلك الامر في السنوات اللاحقة حيث البذخ لم يتوقف مقابل معاناة الناس).

من ينظر لعدد من قادة أو نواطق هذا التنظيم يرى بوضوح علامات

28- في العام 2008 كان قد مر على الاخوان المسلمين الأعوام الثمانين حيث تأسس الحزب "الاخوان المسلمين" عام 1928، وكان الاخوان المسلمين الفلسطينيين جزء منهم بذات الاسم، الى أن تم انشاء فصيل حماس وكما في ميثاقها عام 1988 باعتبارها الفرع الفلسطيني للاخوان المسلمين.

الفرقة والارتباك والانقسام الشديد سواء في التصريحات أو ردود الفعل العصبية أو الحناجر الهادرة أو الابتسامات الصفراء العريضة، ويرى في عيون الجميع منهم صراع الفاسدين والغلاة المفسدين أولئك الذين يستغلون الدين استغلالا شديدا بحيث أنهم يعصرونه عصرا ولا يبقون منه قطرة واحدة فهم المؤمنون المسيطرون بفضل الإخوان المسلمين وعشرات المحطات الفضائية التي تتبعهم ضد (المنافقين)أو(الكفار)الذين (لا تتكيف) معهم آيات الإصلاح والحوار كما أورد خالد مشعل في قناة الفجر!؟.

أن التنظيم –أي تنظيم وليس فقط حماس-الذي يعجز عن رؤية غيره لا محال أن مآله السقوط، ولا محال أن نهايته ستكون بنفس الطريقة التي جعلته يرتقى على رقاب العباد قسرا وعبر فوهة البندقية، فالجماهير التي اضطر الكثير منها للمشاركة في (عرس حماس الأكبر)– بالترهيب والترغيب- البديل للوقوف بعرفة هي الجماهير نفسها التي تحس بعظم الظلم خاصة متى ما جاء من أولئك الذين يظنون أنه بقى شئ فيهم للداعية بعد أن انتحر على عتبة كرسي السلطان وبعد أن استل السيف ليجز به رقاب الشعب، فإغواء الكرسي الزائل لدى الذين (يكيّفون)الآيات كما يشاؤون لا كما جاءت في إغواء شيطاني لامناص من الاستجابة له.

أن المسارات الثلاثة التي تحدث عنها الحمساويون-تحديدا تيار الانقسام الأبدي فيها- وهي مسار المقاومة: الشعار الزائف، حيث لم يبق مقاومة بمعنى كفاح مسلح ولا يحزنون إلا ضد حركة فتح، ومسار الدعوة التي انتحرت على محراب شهوات السلطة، ومسار السلطة (سلطتهم) التي تلوثت بالدم والفاقة والحصار هي مسارات مسدودة. فلم يعد يتشرف فرد من أبناء غزة أو العالم الإسلامي أن ينتمي لأي من هذه المسارات التي دنست وداست جروح الناس وقتلت فرحتهم سواء بالحج أو العيد لتضخ الأموال من أجل احتفال زائف استعراضي باذخ لا قيمة له إلا بتحطيمه لكل أساس بني خلال 40 عاما للوحدة الوطنية.

إن بداية الانهيار هي بالشعور بالتفوق وتضخم الذات العليا، وبداية الانهيار سوء الاعتقاد بالنفس قبل سوء الاعتقاد بالآخر، وبداية الانهيار أن يستحكم هوى السلطة وجبروت القوة في عقل الداعية – الذي كان داعية – مهما أقسم من على منصة الخطابة قسم الإخوان المسلمين، والذي ما هو في كل الأحوال كان أو سيكون قسم الإخلاص لفلسطين أبدا، قسم حركة فتح.

(أقسم بالله العظيم، وأعد بشرفي ومعتقداتي أن أكون مخلصا لفلسطين، وأن أعمل على تحريرها، باذلا كل ما أستطيع... ألخ، هذا قسم حر والله على ما أقول شهيد) هذا هو قسم فتح المسمى قسم الإخلاص لفلسطين لا لغيرها وهو الولاء والوفاء للوطن بعد الله لا لحزب أو تنظيم أو جماعة أو شخص.

إن الذي ما زال يظن بنفسه حكومة شرعية بعد أن أوصل الدم إلى كل بيت في غزة هو واهم، فالشرعية الوطنية لا تكتسب بالقتل حتى لو كانت بدايتها صندوق الانتخابات لأن المسدس يسقط الصندوق ويقيم دولة المافيات والفساد والتخريب كما هو حاصل، وأن الجماعات المتناحرة على النفوذ والسطوة والمال تحت غطاء الدين أو غيره سرعان ما سيخرج من بين ظهرانيها من يرفض جهرا لا سراً مثل هذا الفسوق ويعلن البراءة منه، كما يعلن الولاء لله تعالى وللقيادة الوطنية الشرعية الموحدة.

إذا كان الزهار الذي يظن نفسه ممثل الفلسطينيين الوحيد في لقائه مع صحفية (هآرتس) الإسرائيلية -التي يقول أنه لا يعترف بها- حاملا معه العُجب والكِبر فانه بلا شك لا يستطيع النظر لنفسه بالمرآة دون ان يصفر طربا للبدلة غالية الثمن التي أصبح يلبسها ولموكب السيارات التي تحف به من يمين وشمال –عندما أصبح وزيرا وبعدها-كلما خرج من بيته في غزة ذات المساحة الصغيرة الضيقة جدا، ما كان يعيبه على من سبقوه في السلطة الزائلة، والى هنا يكون قد تحقق حلمه بالعظمة والرئاسة والسلطة وبذلك يملك جنة الدنيا والآخرة كما قد يعتقد.

ليعلم كل رافض للوحدة مؤيد للانقلاب واستمرار الانقسام في حماس

او غيرها أن مئات التنظيمات في التاريخ الإسلامي ظنت نفس الظن أي الديمومة ومنهم القرامطة فلم ينفعها ادعاء العظمة أوالقوة أوالنيابة عن الله أو رسوله فتلاشت، وبقى الإسلام العظيم.

إن الانهيار: صعود صاروخي يعقبه عدم قدرة على التنفس في الأعلى حيث أن كمية الأكسجين تقل لذلك فان الرئتين قد تتفجران. ومهما صاحب الصعود من أدوات ملك زائل استخدمت بشكل حاقد فإن الناس ليسوا إمعات، والشعب الفلسطيني المحافظ والمؤمن بطبعه ليس كافرا وليس مرتدا وليس مشايعا لهم، والجماهير ليست عمياء، والبسطاء لماحون وقادرون على تحديد المسار الحقيقي والذي ليس هو أي من مسارات حماس الثلاثة التي حادت وابتعدت عنها.

انك تستطيع أن تشتري جوع الناس وغضبهم وسواد أيامهم بكسرة خبز أو لتر بنزين أو بدعوة غاضبة أو صراخ على منبر لمرة واحدة، ولكنك لا تستطيع أن تشتري شعورهم الحقيقي، وغضبهم الدفين وصبرهم العفيف ودعواهم لله برد الظلم الذي فاجأتهم به مليشيات حماس تلك التي ظنوا بها خيرا في البداية فكانت عليهم طامة كبرى في دينهم أولا وفي وطنهم وقضيتهم ثانيا، وفي أولادهم وأقواتهم ثالثا وربما أولا.

انك قد تخدع الناس بعض الوقت ولكنك لا تستطيع أن تخدعهم كل الوقت. فيوم الكفارة قريب مهما طال الزمن، وانحراف البوصلة للقائد السياسي لا تقوّم إلا بالقانون وبكلمة الحق التي ستقولها جماهير غزة هادرة بلا وجل عند أقدام الجور.

إن الشعب الذي بذل الغالي والنفيس وقام بعشرات الثورات والانتفاضات لا يتخلى عن قيم الحرية والوطنية والوحدة ما تخلى عنها الآخرون، لذلك فإن لصبر هذا الشعب العظيم المخلص لفلسطين فقط حدود.

كيف نتصالح مع «حماس»؟[29]

في حركة فتح نتعلم الالتزام، ولأننا أصلاء الثورة الفلسطينية ونسل عظماء فلسطين ممن فجروا الثورات تلو الثورات، ولأن فتح سيطرت على القرار الفلسطيني وعلى الحركة الوطنية بالرحابة والمحبة وبالقدرة على احتضان الجميع وبالقدرة على تفهم الاختلافات وبالقدرة على رعاية التعددية في ظل غابة البنادق كما كان يسميها المغفور له الزعيم الشهيد ياسرعرفات.

أقول لأن فتح كذلك، ونحن فيها تعلمنا الالتزام رغم المساحة الواسعة للحوار فيها ورغم الحرية الكبيرة...

ولكن لأن لكل فعل رد فعل كما تقول الفيزياء مساو له بالقوة ومضاد بالاتجاه، ومن قام بفعل القتل الذي لم تشهد له الخمسين عاما من تاريخ الثورة المعاصرة هم انقلابيو حماس... فهل ردة الفعل شيء غير طبيعي أم ماذا؟

وكي لا نبتعد كثيرا فإن القتل بكل وضوح غير مقبول، ليس لأننا لم نعتده ولم نفعله في تاريخنا كحركة فتح ما أبقى صورتنا ناصعة البياض بهذا الجانب، بل ولأنه مرفوض دينيا ووطنيا من أي طرف أوجهة جاء، وعليه نرفض ردات الفعل بالمجمل لأن الفيصل هو القانون فقط لا تهم الردة أو العمالة والقتل بالسلاح خارج نطاق القانون.

والعالم كله قد شهد وعبر فضائية «حماس» مستوى ومعدل القتل من المتطرفين المتسترين بالإسلام، بل وشهد حجم المغالاة التي خرجت عن أعراف وقوانين الشريعة الإسلامية السمحاء حتى تجاوز القتل المرعب أكثر من 600 شهيدا لا نريد الخوض في تفاصيلها لأنه لمن يريد بإمكانه الرجوع إلى عديد المواقع بالصوت والصورة، أو لأهالي الضحايا في قطاع غزة.

29- رغم أن هذا الجزء قد كتب عام 2009 فهو مازال في العام 2019 يتحدث في ذات الشأن!

نعم لدعوات الحوار والوحدة الوطنية رغم الشتم والبغض والاتهامات المتتالية لحركة فح وقادتها سواء من حركة حماس أو ممن يؤيدونها بدعوى تسلمها راية المقاومة من كتف ياسر عرفات، أو بدعوى أنها تمثل الإسلام حصريا! وكأن الأمة قد كفَرت عداهم، أو كُفّرت.

إذن فإن موافقتنا على العودة الدائمة لمربع الحوار والوحدة الوطنية لا تعني أبدا عدم الاقتصاص من القتلة من جهة كما لا تعني إلا عودة الأمور لنصابها قبل الانقلاب الأسود، وتعني إرساء أسس وقوانين لا حياد عنها للحوار تمنع القتل المستقبلي استنادا لفتوى فاسق هنا أو هناك أو تهم الزندقة والتكفير والردة المسيّسة والمرفوضة.

إن للحوار أسس وللحوار قواعد وللحوار مفاهيم حيث لا يجوز الحوار تحت تهديد أو تلويح السلاح والدعم الخارجي الذي فاق المليارات، ولا يجوز الحوار تحت تهديد سحق ومحق حركة فتح أو تحت عنوان أن ما لي يبقى لي وأريد مشاركتك فيما عدا ذلك.

ولا حوار متناغم أو متزن بدون الرجوع عن الباطل والانقلاب والقتل بحيث يصبح التخلي عن عبادة صنم السلطة واجبا على من استلموا السلطة طويلا في حركة فتح، أو على من ركبوا قطارها حديثا من حماس وأعجبتهم المقاعد الوثيرة لدرجة أنهم سيبيدون الأمة كلها دونها.

إن الحوار إيمان مسبق بإمكانية التعايش مع الآخر المختلف بالرأي والفكر بل والعقيدة أيضا، وبالإيمان بإمكانية الصواب من سواي وأيضا بإمكانية تعدد الصواب.

إن الدعوة للحوار والمصالحة والوحدة الوطنية لا تعني فرض مفاهيم الدكتاتورية والتسلط التي تعيشها بعض الشعوب العربية تحت حكم ملوك غير متوجين أكثر ظلما وعنفا وبغضا من ملوك متوجين يرعون حماس أو أدعياء المقاومة.

إن الدعوة للحوار بل وممارسته والالتزام به، وتفهم الآخر فريضة دينية ووطنية نلتزم بها، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وفي ظلهما فإن المواطنة المحتكمة للقانون هي المواطنة الحقة لا حكم أصحاب العباءات والعمائم أو أصحاب الربطات والياقات البيضاء.

زمن الدفاع عن فتح![30]

سكتنا طوال فترة المجزرة في غزة عن أفعال مليشيات حركة أو فصيل «حماس» ولنقل المليشيات السوداء فيها مفترضين بالضرورة وجود عناصر خير، ما هو أكيد ففي الناس كثير خير في أي فصيل.

نقول سكتنا عن إساءاتهم وأفعالهم التي تدمي القلب، وتوحد الفتحويون قاطبة مع المقاومة مع كافة الفصائل الى الحد الذي شاركت فيه كتائب الأقصى الجريحة في غزة في مقاومة العدوانات الصهيونية المتكررة على شعبنا الفلسطيني في غزة.

رغم عشرات علامات الاستفهام على استغلال دول المحيط للعدوانات؟ ما ظهر جليا من عدد من الدول التي صدعتنا بمدافعها الكلامية إذ لم تقدم شيئا لفلسطين أو غزة إلا حرب الفضائيات والدعم الشفوي وجمدت ترسانات الأسلحة وأغلقت كافة الحدود ليبقى شعبنا الفلسطيني لوحده يتجرع الوحشية و الألم الكبير و يداوي جراحه؟ في كافة المدن الفلسطينية.

سكتنا عن خطايا ترتكب من خلال الفكر الانغلاقي الاقصائي الذي بدا يسود في بعض حماس ولم نتكلم في كثير من الاحيان احتراما للدم، وقلنا ربما الدم يوحد والدم يوفق والدم يجمع ولا يفرق ولكن هيهات فإن الحقد الأعمى وانتشار مدارس التكفير والتطبير(ضرب الرؤوس الحليقة واستقطار الدم) والتخوين في كل زاوية في فلسطين أصبحت سمة لفئة من الاسلامويين الذين

30- هذا الجزء من الكتاب كتب عام 2009 و مازال في العام 2019 يتحدث في ذات الشأن! وصلاحيته لم تنفد.

لا يرون-ضمن التعبئة الداخلية المغايرة أحيانا عن العلني- إلا معسكرين أو فسطاطين أحدهما فسطاط الممانعة (وهن الراغبات) والآخر فسطاط الخيانة ولا يرون ألوان قوس قزح في الفعل الوطني والسياسة والمجتمع.

إن ما حصل في غزة أثناء العدوان الوحشي من قبل حماس فترة الانقلاب عام 2007 وما بعدها كثير وغير مقبول ولا يغسله إلا إعادة التعبئة والتثقيف لمثل هؤلاء المعتدين من حماس -ونتمنى أن يكونوا قلة- على الوطن والمواطن؟؟ ما يحتاج لقرار سياسي جريء من قيادة حماس إن أرادت أن تكون جزء من المجتمع وليس أداة لنحر المجتمع تحت حجج المقاومة أو الإيمان أو الإسلام أو احتكار أي منها؟؟

غريب أمر هؤلاء القتلة؟؟ وغريب أمر هؤلاء الحاقدين أصحاب البطش والبيانات؟ يظنون بالشعب الأبي الصامد قبول الإهانة منهم وأنه سيبقى عليهم وهم مازالوا يتجبرون بدلا من أن يتواضعوا لشعبهم حتى لمن خالفوهم؟؟ وغريب أمر هؤلاء الأشداء بينهم الفارين من وجه عدوهم؟؟ لا أعتقد أنهم ينتمون لتنظيم وطني أو إسلامي أبدا؟؟ وحتى لو ادّعوا ذلك؟؟ فكيف يتفق أن يهدد الشخص قومه النازفين بالويل والثبور وكأن لسان حالهم يقول ما لم يستطع العدوان فعله فنحن له؟؟؟

والى بعض أصوات فتح غير المفهومة، لم يعد الصمت عليكم ممكنا، أنتم مستهدفون ومنظمة التحرير الفلسطينية والشرعية والدولة المستقلة هو المستهدف الحقيقي من الحرب الصهيونية على شعبنا وأرضنا وليس هنية أو الزهار أوعبدالسميع، يا أخي أنتم المستهدفون ومع ذلك تخرجون على الفضائيات تشتمون فتح وكأنكم لا تعون ما يحصل أبدا؟؟ وكأنكم تنظيم مهان دوما؟؟ وتتهمون فتح وليس هذا الوقت أو الزمان؟؟ فبدلا من أن تدعموا الصمود والمقاومة والتي كانت فتح جزء لا يتجزأ؟ منه والشعب الفلسطيني البطل، تردحون.

وبدلا من أن تقووا حركتكم المحاصرة سياسيا وماليا منذ سنوات تسيرون في

طاحون تدميرها؟؟؟ وكأن الفكرة الوطنية عندكم قد استنفذت؟! وحان وقت إطلاق رصاصة الرحمة عليها؟؟ ترووا قليلا فحركة فتح الرحابة والديمقراطية والسماحة لا تعني أبدا أن نتشاتم على الفضائيات ولا تعني أبدا أن نستخدم الفضائيات (الفضائحيات) منصة لأغراض شخصية لكم.

إنه زمن الدفاع عن فتح وزمن الدفاع عن (م.ت.ف) التي استهدفت في حرب المخيمات (1984-1988) في حرب لمصلحة الأجندة الإقليمية ذاتها اليوم حين راح في تلك الحرب ما لم يقتله الإسرائيليون منا في مختلف الحروب.

للقلة الفضائية من أبناء حركة فتح تعالوا عن مصالحكم الذاتية وافتخروا بانتمائكم الوطني الفلسطيني العروبي الإسلامي، أي انتمائكم لحركة فتح، ولا تخجلوا منه كلما تفاجأتم بسؤال لا تعرفون الاجابة عليه انقلبتم على أعقابكم شتما في ذواتكم، قوموا بقيادة حملة الدفاع عن حركة فتح وعن المنظمة وعن الشرعية الآن واتركوا الخلافات جانبا أو أثيروها في مكانها الصحيح أو اخرجوا من فتح فالطريق سالك.

ولقيادة حماس في الخارج أو في غزة نقول: إننا نطالب «حماس» التي ترغب بالسلطة بقوة وباستمرارها بيدها وحاربت من أجل ذلك لأهداف لا نتفق معها عليها، نطالبها أن لا تصمت فلم يعد السكوت مقبولا عن الفاسدين وتيار البطش فيها، و أن تكشف الغطاء عن مثل هؤلاء المجرمين الذين يوزعون دوما بيانات الفتنة الجديدة، وأن تخرس أصوات القتل والبراء والولاء المغلوط، والتكفير والتخوين لهذه المجموعات التي تختطفها، وتنزع أسلحتهم الموجهة فقط للداخل وأن تعي أنها تعيش في مجتمع ديمقراطي ليس إقصائي أوديكتاتوري، وبعدها تقول أنها تريد الوحدة الحقيقية وعدم تشطير الوطن؟ فهل نرى اختلافا؟؟

فتح إما التجدد أو تفرق السبل

نخرج من سياق الحوار مع «حماس» لنتكلم مع حركة فتح فنقول: كيف للإنسان المناضل عامة، وللمواطن الفلسطيني الصامد أن يرى اللوحة ذات الثقوب ولا يتكلم؟! وكيف له أن يرى الصورة غير المكتملة ما يظهر القبح على حساب الجمال ويصمت؟؟ إذ ليس من عادة الفلسطيني الحر أن يصمت، فهو الذي هز العروش بقضيته وأطلق الطاقات بقضيته وألهم الجنرالات كما ألهم القيادات والكادرات بجرأته في الحق التي أرعبت الإنجليز ابتداء، ثم الإسرائيليين بالأمس واليوم ما يمثل محصلة شخصية جهادية نضالية صابرة صامدة مرابطة بعرف الدين الحنيف والفهم القومي والبناء الوطني.

والشخصية الفلسطينية التي تأبى الصمت هي الشخصية المتمردة أبدا على الفاسد والباطل سواء لبس عباءة الديمقراطية أو الوطنية أو الإسلام أو أي لون آخر، فلم تسكت أبدا على تجاوز أو إساءة أو فساد أوانحناء أو خطايا.

لقد قادت حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» المسيرة بهذه الشخصية (الفلسطينية) التي صنعت (فتح)، وفتح أسهمت بعظمة في إبرازها وبلورتها وتصديرها لكل أنظمة الديكتاتورية والتسلط-قبل أن تعود لنا مثل هذه الأنظمة بلبوس الإسلام في غزة- في العالم لتعلن أن الفلسطيني منهج فكري وأداة تغيير وفعل صائب ومقدرة لا تزول وإمكانية تجدد أبدية.

إن فتح التي أبدعت وما زالت وعمقت الربط بين القضية والوسيلة بحيث أن تكاملهما أودع في قلوب الموالين من الأمة العربية والإسلامية وأحرار العالم ولاء لهذه القضية عبر فتح، هي فتح التي تصنع التاريخ كل يوم ولا تعجز بفلسطينيتها عن الصراخ جهارا نهارا بالقول (لا) كبيرة في وجه العدوان والاحتلال وفي وجه الانقلابيين المخزي وأمام الظلاميين.

كما لا تستحي أن تصرخ في داخل بيتها عندما تشعر أن البوصلة قد تنحرف أو أن المسيرة قد تتوقف او تتراجع.

إن بناء العقل الفلسطيني بالمكونات المذكورة كان امتيازا فتحويا، وان الفتحوية بالبنود المذكورة كانت فعلا فلسطينيا فحدث هذا التلاقي الذي حاول الصهاينة أن ينسفوه كما حاول اللاحقون بدعاوي الدين والمقاومة والتكفير أن يفككوه، وهيهات هيهات... فما بين الشعب الفلسطيني والفتحوية حبل مجدول يربط ولا يفصم.

لقد أنتجت فتح عقلية منفتحة ديمقراطية حرة شورويّة مدنية لا تفهم السكوت على الخطأ كما لم تفهم استقرار الاحتلال فأبدعت ثورة مستمرة ثم أشكال متفاعلة متعددة في المقاومة أو الكفاح الوطني وما زال في جعبة الفتح -لمن عمي أو صم أو خرس- الكثير مما سيصعق المراهنين على زوال فتح أو ذوبان وهج مشعلها المضيء

فتح التي أضاءت الدرب فصنعت الكيانية والشخصية و أظهرت الفتحويين كفرسان العقل في خضم الحضارة العربية الإسلامية تدوس على الأزمات كما تدوس على الرمل الأبيض وتسير بهدوء الواثق رغم الظن كل الظن من القريب أحيانا قبل البعيد أن فتح الأزمات تعني الزوال ما هو سعي المحافل الأمريكية والإسرائيلية قبل سعي الحاقدين من الانقلابين أو أولئك المتضررين من قوة وعملقة هذه الحركة فينشرون و يكتبون السموم ويلجأون للكذب والافتراء والتهجم الشخصي والشتم لضعف حججهم وقلة معينهم وبعدهم عن النزاهة، ولا أسميهم كي لا يكبروا ويظلوا في مربع الصغار.

فتح النضج والتجدد أصاب العديد فيها مرض الشيخوخة الفكرية فلا برنامج ولا رؤية ولا قدرة على إدراك المستجدات ولا خطة ولا قرار بل ولا رغبة في التجدد، ولا إمكانية حتى جسدية على الاستمرار ونحن عندما نقول ذلك داخل البيت وان حمل الإعلام كلامنا فلأننا نقولها والكثير من الناقدين

الفتحويين الأصلاء برغبة التغيير الذي لا مناص منه والتجدد الذي لا بديل عنه فهو سنة الله في خلقه وهو أصل الأشياء ومسار الفعل.

إن فتح التي جعلت من النقد نصف العملة جعلت الوجه الآخر هو الإبداع والعمل والتجدد فلا نقد بلا عمل ولا عمل بلا نقد ولا نقد بلا سعي للتجدد وإحداث التغيير والمبادرة في الذات والفكرة والتنظيم وهذا أيضا من مقومات الفكر الفتحوي الذي لا يفهمه المنحازون لعقلية المؤامرة أو أصحاب الفتن أو أولئك القلة من الحاقدين لسبب أو بلا سبب.

إن شيخوخة فكر وعمل أعضاء اللجنة المركزية في فتح وعدد لا يستهان به من المجلس الثوري في كثير من المراحل بين المؤتمرات، كانت ضمن أسباب عدة أخرى مدخل التردي وسبب الأزمات التي عانت منها الحركة ففي كل محطة أو مفصل بدل أن تظهر اللجنة المركزية حكيمة متضامنة تقوم بالتوزع على مساحة الاختلاف العربي بل والإقليمي والعالمي دون رابط يربطها ودون عقلية إلقاء الشباك التي كان ينتهجها الفارس الذي ترجل فحيثما أمطرت الغيمة فله خراجها.

أما الآن فالمطر غزير والغيمات كثيرة، والخراج ليس لنا لأن إدارة القيادة أو إدارة التعارضات والاختلافات داخل اللجنة المركزية أصبحت بعيدة كل البعد عما كانت توصف به إدارة الرئيس الراحل المعلم ياسر عرفات بأنهم يتناوبون أو يوزعون الأدوار.

لقد شطّت اللجنة المركزية بشخوصها وشطّت بتحالفاتها وخرجت عن العصمة النسبية التي كان الكادر ينظر لها بها[31] لأنها انحازت لذاتها، في عدد من المفاصل والمواقف، ولم تلق نظرة واحدة على كم التحديات التي تواجه القضية والحركة من تحدي الاحتلال الجاثم بحكومته المتطرفة التي ستهدم

31- كانت النظرة ذات الاجلال للجنة المركزية للحركة مرتبطة بالعطاء والفعل والاقدام في مراحل عديدة من مراحل الثورة، وبدأت تخبو هذه الحالة من الاجلال بعد المؤتمر السادس ثم السابع لحركة فتح.

مشروع الدولة إلى تحدي النظر في تجديد أساليب النضال إلى تحدي إنهاء الانقلاب الدموي في غزة الذي دفع بالقضية عشرات السنوات إلى الخلف إلى تحدي البناء الذاتي وتجديد الأطر.

إننا لا ندين لأحد في الحركة، وندين للحركة فكرا وأطرا ومنهجا ومسارا موصلا لفلسطين، وفتح أكبر من مجموعنا، كما فلسطين أكبر من أي مسار، لذا فلن نعيب على من يخرج شاهرا قلمه في وجه الخطأ لأنه في حركة فتح إمكانية النقد عالي الصوت الذي لا يفهمه الحاقدون والانقلابيون في غزة على سبيل المثال ويظنونه وغيرهم تشرذم وسيركعوا عندما تلطمهم موجات الفتح.

إن شيخوخة اللجنة المركزية، والمقصود دوما شيخوخة الفكرة والبرنامج وطريقة التفكير وقلة المنجزات، هي التي أفضت لهذا الكم المتراكم من الأزمات وعدم ثقتها بالكوادر وظنها أن لا حركة بدونهم هو ما قصم ظهر البعير فهم تجربة نحترمها ونجلها ولكن الكادر الأصغر أصبح يمتلك مجموع تجاربهم ويزيد لذا فلقد كان الأجدر بهم أن ينحازوا للتجدد والتجربة المتعاظمة لا أن ينحازوا للذات والشيطان وفقدان الأمل وقلة الهمة وضعف الإيمان وافتقاد الرؤية السياسية لغالبهم.

إن إدارة الصراع في الإطار القيادي الأول بأن تلقي بمشاكلها على الكادر الوسيط والأصغر أصبحت سياسة مفهومة، فمن نوعية الأعضاء بالمؤتمرات إلى عددهم إلى مكان وزمان المؤتمرات، ما هو في حقيقة الأمر تأجيل مستمر وصولا لثبات الوضع القائم أو للاستكمال غدا مرفوضا لأن من يمنون النفس بالاستكمال عامة لا يختلفون كثيرا عن سابقيهم بل هم ممن يشعلون لهم النيران.

أن خرق النظام سواء بتطليق مبدأ جماعية القيادة المنصوص عليه في النظام الداخلي كما هو شأن طبيعة العلاقات في المركزية، إلى التفرد في الإعلان عن مكان وزمان المؤتمر-أي مؤتمر- هو مما كان وأصبح غير مقبول لدى

الكوادر التي سترى أن عليها الكلام رفضا للصمت بل والفعل ما يمثل فضيلة الفلسطيني، فتتحمل عبء التجدد بالحركة لا انتظار رضا فلان أو علان من أعضاء المركزية، فإيماننا بالله الذي لا يهتز، واحترامنا والتزامنا بالقانون وحركة فتح وفلسطين أكبر من الجميع، وأكثر ثقلا في ميزان حسناتنا عند الله تعالى.

الإبداع لا السوداوية وخطاب الأزمة

لاحظت حالة احباط عامة وتهكم وحنق ورغبات في الانفلاش مترابطة مع نظرات سوداوية خطرة، ربما نتفهمها معا في إطار كل كبوة او مذبحة او عدوان علينا في غزة أو الضفة، ورغبتنا وجميع الأخوة في تقديم أرواحهم فداء لأهلنا في غزة

إلا أن تلك الحالة لدى بعض كادر فتح إن استمرت فإنها تسبب الرجرجة للتنظيم والجرح النازف، بأن يسير على طريق كله مطبات ومنعرجات صعبة وهو ما لا نريده أبدا، وهو من مقدمات الشعور العارم بالكآبة المرضية ثم اليأس والقنوط الذي نهانا الله تعالى عنه في كتابه العزيز.

إن التنوع في الطرح والتحليل والحوار والآراء القائم لدى الأخوة على الشابكة وفيسبوك وفي مجموعات (واتس أب) دلالة على قدرتهم الفكرية والعقلية التى تحترم، ودلالة أيضا على رحابة فتح وديمقراطيتها بحيث لا سيف يرفع ليجز الرؤوس ولا إشارة (لا) ترتفع لتخرس الأفواه ولا تنصب مشانق لهذا أو ذاك كما لا تمارس فتح سياسية الاتهام والتشويه والنبذ للمخالف فيها أبدا.

ولكن هذا لا يعفينا من التنبه لبعض الأقلام من أصحاب التيئيس المقصود والرغبة في تدمير الحركة تحت شعارات براقة وتحت دعاوي الإصلاح او التغيير.

إن الأخوة كوادر حركة فتح على الفضاء الالكتروني خاصة باعتقادي متنبهين لهذه الفئة القليلة وقادرين على تمييزها وتحجيمها لاسيما بعد أن يثبت البرنامج الحركي في نطاقه ويصبح هو المرجعية للتعددية.

أين هي فتح سؤال يردده البعض متهكما على كل إطار يعزل نفسه عنه أو أن الإطار المعني لم يتمكن من استيعابه، وفي هذا بعض الصحة التي لا تعفي الشخص أن يتحلى بقيم حركة فتح الأساسية تلك التي إن لم يتمكن من

عكسها على مسار حياته فهو يقف على مفترق طرق.

إن من القيم الأساسية التي لا تتغير في الحركة هي الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والإيمان بحقنا الثابت في فلسطين الذي لا ينازع، ومهما كبرت المخاطر ومهما تأزمنا واختلفنا، ومهما ضعفنا أمامها فإن هذا الإيمان مستقر لا يتزعزع

وثانيا التضحية ما يعني أن يأخذ الإنسان من وقته وفكره وذاته وماله لصالح هذه الحركة لأن مقدار التضحية يجب أن يرتبط بحجم الإيمان.

وثالثا وهو ما أريد أن أركز عليه هنا هو عقلية المبادرة والمبادأة والفعل والنشاط تلك التي تحترم العمل وتقوم به فلا تكتفي فقط بالنقد (أوالتشنيع أحيانا) أو تكتفي بذكر السلبيات في إطار لن يكون نهايته إلا قتل الإيمان والتضحية والإبداع في الفرد الفتحاوي.

ورابعا وخامسا إلى عاشرا قد نضع التفكير الايجابي المنطلق للمستقبل قيمة أساسية كما نضع الانتماء والالتزام قيمة لا غنى عنها يجب أن تحترم وتفهم وتنفذ بأدواتها كما أن الصدق والمحبة وحرمة العرض والمال والدم كلها تعتبر من أهم وأبرز قيم فتح.

إن ياسر عرفات بهذه القيم الثلاث وبالكثير بالطبع غيرها تميز عن أقرانه، وظل دوما في المقدمة لا يهمه من ينقده لأنه كان صانع سياسة وصانع فكرة وصانع منهج وصانع فعل.

إن صناعة الأشياء والأحداث والمبادرة تجعل من العقل حرا غير مقيد يفكر في شتى الاتجاهات. يفكر كيف يعمل وكيف يقدم وكيف ينجز بينما اقتصار العقل على البحث في الماضي وتمجيد الماضي وترقب الأخطاء وإبراز السلبيات قد يصبح مدخلا للجمود بل ومحققا للركود وسببا لترهل التنظيم وسلبيته.[32]

32- د.عبدالحميد الأنصاري يسمي هذه الفئة من الاسلامويين: المنتحرون على عتبة التاريخ.

إن النقد في أي حركة ثورية أو ديمقراطية ضروري بل وضروري جدا وهام ويحض عليه، لأنه يصوب المسار أو يجب أن يفعل ذلك ويحدد الأمور التي يجب أن تتغير ويصنع رأي عام باتجاه التغيير المحمود، لكنه في حالة الأزمات المصيرية الكبرى ووجود العدو الواضح والمنافس النشط الذي يبغي شق الحركة وتفتيها جهارا نهارا يصبح النقد الصارخ (وليس الهامس أوالمرتفع، تراجع أدبيات فتح في النقد والنقد الذاتي) سلاحا بيد الآخر وفي نحورنا

إن تقديم الفعل والعمل والمبادرة هو الحل فإن قلنا إن القيادة نائمة أوقائمة، فاترة الهمة أو فاعلة لا تفعل شيئا، أو فعالة مقصرة أو أدت ما تستطيع من واجبها، لا تسوى شروى نقير أو أنها جواهر لا يمثل ذلك شيئا في حقيقة أننا نغير في فكرها وسلوكها لماذا؟ لأن العمل وحده هو الذي يؤخذ بعين الاعتبار وتترك كافة الانتقادات غير المرتبطة بفعل او إطار أو مجال تأثير تترك محلقة في الهواء دون أن تصل أي أذن، او تلقى في سلة المهملات، اوتبقى حروفا ناتئة على الشبكة فقط.

ما أريد قوله أن ابن فتح يمثل بُعدا وطنيا نضاليا في ذاته، لا يهمه إن تهاون الآخرون أو انكسروا أو قصروا لأن منبع إيمانه الله سبحانه وتعالى أولا كما قلنا والقضية ثانيا:هو أي إيمانه بنفسه، وثالثا وبقدراته وبضرورة أن يغير في ذاته وقد قلت كثيرا ومرارا أن محطة التغيير: (هي أنا)فإن لم أحدث تغييرا متصلا في عقلي وفكري وادائي وطريقة فعلي يوميا من خلال صناعة الأهداف والتخطيط والتنظيم لعملي فأنا واهم بأنني أقدم شيئا. إنني بذلك لا أقدم شيئا لذاتي فكيف لربي أو أهلي أو وطني أو تنظيمي؟!

يقولون أين القيادة في غزة؟ ويقولون أين القيادة في الضفة؟ والبعض ينكر وجود التنظيم رغم الانجازات الكبيرة المتراكمة-وان ببطء- التي حققتها الحركة لأول مرة في تاريخها في الانتخابات الداخلية المستمرة، وفي حصر العضوية وضخ سلسلة من المواد التثقيفية والدورات، ورغم التغيير العضوي في آليات التفكير والدمقرطة...الخ.

ويقولون القيادة مقصرة؟ ويقولون ويقولون الكثير... بل وأحيانا يرتفع القول لدرجة الخروج عن آداب النقد السليم والحديث والحوار، وقد اتفق مع الكثير من الانتقادات هذه بل وربما لدي أكثر منها ما كتبته في مرحلة الراحة لا مرحلة الهجوم والتدمير اليوم الذي تتعرض فيه الحركة لأشرس هجمة مخطط لها.

ولكن، هذه اللاكن اللعينة التي تتحكم في تسلسل الأفكار وتكبح التطرف... لكن لكل مقام مقال ولكل حالة دواءها الناجع ولكل مرحلة آليات التعامل معها، فلا يجوز أن نجنح كثيرا في النقد إلى درجة الشتم والقدح المفضي للتيئيس لأننا نخرج أنفسنا دون أن ندري ربما من أنفسنا، وننفصل نفسيا عن محيطنا وعن حركتنا، إن نظرة منا إلى الجانبين أو من فوق الشجرة وتحرر فينا قليل من ضغط الأفكار السوداوية قد يمكن الأكسجين أن يطوف بالدماغ فننطلق للفعل أكثر من النقد، ويجعلنا نضع كل شيء في مساره، حيث النقد مطلوب وحيث العمل بلا انجاز خسارة.

في التاريخ الإسلامي اختلف المسلمون في أواخر فترة الصحابي عثمان ابن عفان وفي حياة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، اختلفوا في السياسية والسلطة والحكم وتقاتلوا ومن ذلك الوقت بدأت بذور الانشقاقات تنمو إلى أن ظهرت في مرحلة لاحقة طائفة أو جماعة (أو تيار) عقلانية سميت بالمعتزلة عقلنت الفكر الإسلامي (والفكر إبداع أنساني كما نعلم جميعا) وقدمت للمسلمين الكثير وأسهمت في صد الاتهامات الموجهة ضد الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى بفعالية.

ولكن أين هذه الجماعة الآن واليوم من التيارات الإسلامية الموجودة؟ لقد تبخرت؟ لماذا؟ لأسباب عديدة بالطبع ومنها أنها التهت بالفعل النقدي عن العمل على الأرض لمصلحة الناس... ما لا نريده من كوادر فتح، بمعنى أن الاستمرارية لحركة فتح مادامت تحمل حاجات الجماهير على أكتافها فهي متواصلة وما دامت تتحمل تبعات القضية ومشروعها، وما دام كادرها يتجدد

في الأطر والأفكار وفي ذاته فهي حركة عفية وعصية على الكسر.

إن حركة فتح مسار طويل أن انحرف نصلحه وفتح ثوب أن اتسخ ننظفه؟ لأنها مازالت حركة الإطار الصالح لتحقيق أهدافنا السياسية فلا نغير المسار من النقيض إلى النقيض ولا نلقي بالثوب فهو لم يتمزق وبالفتحاويين الأشاوس لن يتمزق.

على أنا وعلى جميع الأخوة باعتقادي ألا يملوا النقد والحوار الداخلي نعم وهذا ما هو محمود، ولكن أن يكون بحسب درجة شدته في إطاره أفضل بكثير، وفي وقته، وفي مجال تأثيره، مع تأكيدي أنه قد تحصل ظروف وحاجة للنقد الصارخ خارج الأطر في كثير من الأحيان ولكن بنية التغيير لا التدمير وهو ما حصل في كثير من مراحل حياتنا.

إن المبادرة والعمل والانجاز يجب أن يكون ديدننا (فلا يجوز أن نظل نسمع جعجعة ولا نرى طحنا=أي انجازا، كما يقول المثل) فلا مناص لكل كادر فتحوي من الانخراط في نشاطات مختلفة ذاتية، وجماهيرية وفكرية واجتماعية ونفسية وإدارية وفنية ودينية بل ويوثقها ويمررها لإخوانه، ولتكن مهارة بناء الذات وتطوير القدرات مجال تنافسنا لمصلحتنا وخدمة للحركة وفلسطين، لا المدافع الكلامية فق ما كان سمة الإخوان المسلمين وما عاد ليصبح سمتهم ثانية مع حماس اليوم يلوكون الكلام ويتفلونه بلا طعم ويتقزز منه الناس.

إن (الكلام الكبير) والعبارات الرنانة الطنانة قد تشنف الآذان وتمتع النفس وتحرك العواطف لفترة ولكنها لا تحقق انجازا، فأن تطعم مسكينا سمكة هذا جيد ولكن أن تعلمه صيد السمك فهذا أفضل، وكي لا يصدق قول (شمعون بيرز) أن العرب يحبون زخرف القول ويستخدمونه للتنميق فقط ولا يستخدمونه للتعريف وإحداث الوعي، فإن اقتران القول بالفعل لدى كادرنا هو صفة قرآنية يجب أن نتحلى بها، ومن لا يعجبه فليشرب من بحر غزة، وبحر فلسطين.

إن لمسة على رأس ابن شهيد أو زيارة عائلة جريح أو سلة طعام لأسرة او بسمه في وجه عجوز أوقراءة القرآن او قراءة تجارب الشعوب أوقراءة قصة ل(باولو كويليو) اوأمين المعلوف او (غابريل غارسيا ماركيز) مثلا أو خدمة أرملة أو المشاركة النشطة في تنمية أطفالنا أو في الأفراح والأتراح لأبناء شعبنا وحل مشاكلهم... الخ من النشاطات الإبداعية، أهم لفلسطين وفتح من كل الحروب الكلامية للإخوان المسلمين وأفكارهم الخرافية والظلامية.

وهكذا كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قدوتنا ومفرج كربنا وهمنا بفعله وبدعائه الكريم الدائم وبعدم يأسه وتباشير الفرح والانفراج والتفاؤل تنير العالم كله منطلقة من وجهه الكريم، وهكذا كان الصحابة والحكماء وكان الخالد ياسر عرفات.

إن نفض فكر الترهل وثياب السواد ونعي الذات والتشاؤم والنقد المفرط المفضي لليأس والقعود عن الفعل، لا تتم إلا بالعمل وتحقيق الانجازات: الشخصية الذاتية والحركية والجماعية، أو المجتمعية، ولا تتم إلا باحترامنا لتعدديتنا في الرأي ضمن ضوابط الفكر الفتحوي واحترامنا لأطرنا –حتى على ضعفها وربما عدم قدرتها كلها على التواصل ما هو مشكلتنا جميعا وما يحتاج لنقاش كل في موضعه-وبالعمل فقط يعود لحركتنا نهضوية في مشروعها الفكري العروبي الإسلامي الإنساني المنفتح، والسياسي والجماهيري.

أنتم، نحن المبتدأ وأنتم نحن الخبر، والله معنا حكما وإنها لثورة حتى النصر.

الصوت العالي وتكتيكات المؤتمرات!

تعد الممارسة الديمقراطية أساس الحكم الرشيد (أو الإدارة الرشيدة)، وعندما توضع قواعد المحاسبة والمساءلة والشفافية للتنفيذ على كل الأعضاء في التنظيم فإن مبرر الخوف أو التوجس يصبح غير موجود، كما يزول مبرر الاتهام العشوائي أو الإشاعات.

أن مبرر السعي للحماية والأمان وفق منطق القطيع (أو الاستزلام) الذي يبحث عن رأس يصبح أيضا غير وارد، إضافة إلى أن حكم النظام هو البديل الأوحد لحكم الفرد المستبد أو الجماعة المهيمنة، لذا فإن التنظيم السياسي الذي يريد أن يحيا في هذا العصر لا بد له من التمسك بحرية الأفراد ودعم وعيهم وقدرتهم على إبداء الرأي وحقهم في الاختلاف ضمن نظام المؤسسة.

أقول قولي هذا ومؤتمرات فتح الداخلية فيها الأمواج تتلاطم وتخرج الأفكار وتتقاطع التحليلات وتتعدد الآراء التي يجب أن تكون كذلك أي متعددة، ولكن في سياق وحدة الأهداف وما يتم الاتفاق عليه من توجهات وقرارات.

إن أهمية القرارات والتوجهات في المؤتمر-أي مؤتمر- أنها تمثل حصيلة الأفكار والآراء التي تتقاطع أو تتغير أو ينفي القوي منها الضعيف في إرادة البحث عن الفكرة المؤثرة أو الجامعة أو المحققة للأهداف.

لا مناص من الاتفاق في أي مؤتمر على الأهداف (أو الثوابت)التي تقرر أن فلسطين موطن الفلسطينيين وأن فتح مازالت حركة تحرر وطني تجدّ في بناء السلطة والدولة، وأن ما أصبح يطلق علية (الثوابت الوطنية) في إطار الواقعية السياسية يمثل الحد المقبول للحراك السياسي الفتحوي الوطني والإقليمي والعالمي.

الملفات أمام كل مؤتمر تكون كثيرة والتعرض لها جميعا لن يكون متيسرا في أقله تحت ضغط الوقت، لأنه لو فتح أي من ملفات الكبوات والأزمات والصراعات، فإنه لن يكفيك أيام وأسابيع لإغلاقها، أوالبت فيها، ولكن ذلك لا يعني عدم التطرق لها بقدر ما يعني ضرورة الوعي باجتراح آليات نظامية تقوم بمعالجتها ضمن أمد زمني معين.

إن خطاب الأزمات الذي سيصعد الكثيرون ربما ليتناولوا من خلاله ما أصاب الحركة، في الموقع أو الشعبة أو المنطقة أو الاقليم او بالحركة ككل،

هو خطاب له ثلاث احتمالات.

فأما أن يكون خطابا تنفيسيا أو ثوريا تطهريا يوجه الاتهامات مشيرا إلى أصحابها دون حسابات، أو خطابا انتخابيا يوجه الاتهامات بقسوة دون أي إشارة لأصحابها أو لطرق الحل أو المحاسبة لأنه قطعا كان جزء من هذه الأزمة أو الأزمات، والاحتمال الثالث أن يكون خطابا موجها يشير إلى مكمن الداء ويطرح العلاج عبر آليات الحل المرتبطة بالفكرة والأشخاص والمكان والزمن المحدد لإعطاء النتائج.

إن خطاب الأزمة والكبوة أو الصراع قد يفتح جروحا كثيرة لابد أن تثار بمنطق الحرص لا الانتقام، ولكن الشجاعة ليست في فتحها فقط وإنما في وضع البرامج والخطط والرؤى التي تقطع دابرها وتتخلص منها. إن الصوت العالي في المؤتمرات قد يحقق كسبا مؤقتا، ولكنه قد يكون صوتا مأمورا في لعبة التوازنات لخدمة هذا الطرف على حساب ذلك ما يؤثر في صندوق الانتخابات ما يحتاج منا لوعي عميق ورؤية شفافة وقراءة عميقة لخلفيات كل متحدث ودوافعه وأسبابه وحتى شكل طرحه وطبيعة حركاته وصوته، فالمستسلم نفسيا لا يتحول بين ليلة وضحاها إلى فدائي، والمتعالي على الجماهير لا يتحول في لحظات إلى حبيب الجماهير، والذي يظن أنه يملك مفاتيح الفردوس لا يتحول فجأة إلى منبع حنان يستعطف الكوادر ويستثيرها مدعيا أنه يسير خلفها فيما تقرر.

في الخواطر الصوفية يقولون: (تستسلم الذات اليائسة القلقة دون وعي للاندراج داخل حدود القطيع أوالحشد، وتغدو رقما لا شخصية متفردة متميزة، وبالطبع فإنها تخضع تماما لمعايير وقيم القطيع دون أدنى توقف أو مناقشة).

في المؤتمرات عامة، وما يسبقها تظهر مجموعة من التكتيكات والمناورات يجب الانتباه لها من أبرزها

أولا: التساوق مع الجو العام، حيث ترى الأعضاء من كافة التوجهات المتعارضة يتحدثون حول موضوع محدد بنفس اللغة (مثلا الكل سيكون مع الثوابت وأن كان له رأي آخر).

وثانيا: ستخلق بعض التكتلات في المؤتمر عدوا وهميا من مثل الأمن في المؤتمر، والوقت، والطرف الخارجي الفلاني الذي يجب أن نحاربه وإلا سيفشل المؤتمر.

وثالثا: خلق أجواء محددة قد تكون رئاسة المؤتمر ضليعة في ذلك من خلال توجيهها لمسار الجلسات فمن أجواء محبطة أو سارة أو انتقائية إلى ودية أو متطرفة أو تفاؤلية أو تصعيدية.

ورابعا: فقد يسعى تكتل لإظهار رأسه وزعيمه بصورة البطل ليتمنى الجميع التقرب منه، أوبصورة المضطهد الذي يسعى الجميع للانتقام ممن اضطهده.

وخامسا: الضرب بيد من حديد عبر إثارة الغبار حول شخص أو أشخاص في المؤتمر يتم تقريعهم ليسكت الآخرون أو ينزوون جانبا.

وسادسا: وهو العامل الهام في التأثير على الناس ألا وهو الإيهام (صناعة الوهم أو الدعاية) من خلال الإشادة بفكرة أو شخص والتكرار للفكرة ودور الشخص فيصبح قيدا ذهنيا لا نستطيع التحلل منه، كما تفعل الفضائيات والدعايات وأساليب (الإخـوان المسلمين)في التلميع عبر إظهار ما يجب وإخفاء جبل الثلج تحت المياه.

إن أهمية المؤتمر-أي مؤتمر في أي تنظيم سياسي- بنتائجه ومؤتمرات حركة فتح هامة لأنها مؤتمرات لحركة عظيمة يجب أن تصعد درجة إلى الأمام فتصلح الكثير مما أفسده قادتها ليس فقط بضرورة فتح الملفات وإنما بإحالة كل قضية وكل متهم فيهم –ان وجد- إلى العدالة والمساءلة والمحكمة الحركية ليصار للبت في كافة المواضيع خلال شهور محددة.

إن مؤتمر حركة فتح أو أي فصيل سياسي هو مؤتمر صنع السياسات، فما رآه البعض محسوما من حيث أن لا خلاف سياسي واضح في الحركة أو الفصيل يقابله رؤية البعض المختلفة والمحترمة حول العديد من الملفات.

كما أن البعض يرون أنهم يمثلون التيار الوطني مقابل اللاوطني- في طرح غريب فان كان هناك توجه غير وطني في مؤتمر فتح مثلا، فلماذا نسمح بحضوره أصلا- وما يراه القسم الثالث من أن فتح المستقبل هي فتح النظام والقيم المستمدة من الدائرة الحضارية العربية الإسلامية.

وبناء عليه فإن على أكتاف كادرات المؤتمر السياسي التنظيمي مهمة صنع المستقبل بعيدا عن الغفلة والسقوط التي قال فيهما أبو حيان التوحيدي (إن الغفلة حضور الجهالة والغياب والعجز عن إدراك الحقيقة أو إدراكهما إدراكا وهميا زائفا ينطوي على الشبهة والضلالة والمخايلة بمعنى أن الموضوع يستقر محتجبا بظاهره الخارجي المموه الذي يستلب الوعي ويغيبه عن لب الموضوع وحقيقته الخفية في عمقه).

آن الأوان للذاهبين لأي مؤتمر ليتفقوا على الأسس التي تحكم إيقاع حركتهم والتي قد تكون كالتالي:

أولا: من المهم أن نختلف معا ولكن نتحاور، ونختلف مع الآخرين ونتجاور.

ثانيا: من المهم أن ننتصر للفكرة والتجربة والرؤية والرجال الأشداء القادرين على حملها، لا أن نعمل عبيدا عند الآخرين.

ثالثا: لا يجوز استثناء أحد فكل مخطئ أو مسيء يجب أن يأخذ قصاصه العادل حسب النظام.

رابعا: الحكم الأوحد بيننا ليست الرواية لهذا أو ذاك بل النظام والمساءلة والمكاشفة والقانون.

خامسا: سقطت القلاع الوهمية ودالت دولة الزعيم و الأزلام وانتهى

منطق الاستبداد استنادا للتاريخ أو الادعاء، لأن ما يجمعنا الثوابت والحرية والديمقراطية والوعي والعقل لا الاستغفال والإيهام أوالاستهبال.

لقد فعلتها «فتح».

لقد فعلتها "فتح" دوما، فبعد كل كبوة جواد، او مرحلة انسداد، أو نبوة سيف، نراها تتجدد وتستطيع النهوض من جديد، فطائر الفينيق الذي طالما تغنى به الشهيد القائد الخالد ياسر عرفات الذي كان مرافقا لمشهد المؤتمرات ومشهد الانتفاضات ومشهد المقاومة يطل برأسه محييا كل الفتحويين وأبناء فلسطين.

تشكل المؤتمرات في حركة فتح انعطافة حقيقية ونقطة تغيير في منحنى الحركة بكافة الأطر، تفشل حال نجاحها رهان الكثيرين من الإسرائيليين، وكارهي" فتح" الذين يراهنون دوما على فشل الحركة بل وعلى انقسامها وتناثرها فيخيب دوما رجاؤهم.

وكان الله معنا عند كل مفترق لأن الحق في ركابنا، وخابت كافة محاولات المخرصين الهزيلة بتعطيل المسيرة.

إن نقطة التغيير تتمثل بدورية انعقاد المؤتمرات عامة، ومنها مؤتمر الحركة العام (السادس ثم السابع) ما يجب أن يعيد الحركة بقوة إلى خريطة المنطقة سياسيا وتنظيميا ودبلوماسيا وإداريا لتستعيد «فتح" وتجدد شرعيتها الدستورية الداخلية، ولتذهب بعيدا نحو تقوية جسدها وخياراتها وكادرها المتقد حماسا والراغب في العمل.

كاد المنحنى يطبق على رقبة "فتح" في كثير من المراحل حيث تحاورت سنوات حتى دخلت معترك المؤتمرات، وهي جاهزة كليا للقرارات.

إن دورية انعقاد المؤتمرات واجبة، وانعقاد المؤتمر السادس بعد عشرين عاما، ثم السابع في وقته تقريبا أدى لانقلاب المنحنى رأسا على عقب مشكلا

بالفعل نقطة انعطاف حقيقية جددت الخلايا وأضحكت وجوه الصحابة رضي الله عنهم، وضخت دماء غير ملوثة في جسد حركة الشعب الفلسطيني تلك التي تنهل من محيطها الحضاري العربي الإسلامي، ولطمت كل المراهنين بالسقوط فأوجعتهم الضربة وأدارت رؤوسهم الخاوية.

لقد فعلتها «فتح» فحققت بانعقاد مؤتمراتها ستة أهداف يمكن أن نحددها بالتالي:

اثبت المؤتمرات قدرة «فتح» المكينة على وقف مسلسل الكبوات والأزمات والسلبيات، ورغبتها في النهوض والتطور والتقدم إلى الأمام.

عبرت فتح عن تمسكها بالثوابت الوطنية فكانت رسالة المؤتمرات أن «فتح» ما زالت حركة وطنية ثورية تسعى للتحرير، وتقاتل الاحتلال بكافة الوسائل وعلى رأسها الكفاح المسلح وحرب الشعب التي تظل خيارا إلى جانب الخيارات الأخرى فما كفلته الشرعية الدولية بنضالات أبناء الثورات المتعددة وأبناء الفتح كان حري بالمؤتمر أن يثبتها.

كرست «فتح» احتضانها لمشروع الدولة المدنية الديمقراطية التعددية المستقلة في آلية فهم عملي للواقع القائم وآليات التعامل معه.

أعطت المؤتمرات بانعقادها لأعضاء الحركة جميعا الحافز الكبير لأحداث التغيير في كافة الأطر والمستويات خاصة تلك التي تكلست في التنظيم والمؤسسات والنقابات ما يستدعى ورشة كبيرة لتشكيل صورة جديدة بكافة الأبعاد.

تفرض المؤتمرات قاعدة رئيسة تتجلى في أن النظام الداخلي للحركة والبرنامج السياسي هما عماد الحركة وموجّه تحركها ومرجعيتها ما يسقط فكرة القائد المهيمن أو الزعيم الأوحد (أو هذا ما يفترض أن نسعى له) حيث لا مناص من العمل الجماعي الحقيقي وبمرجعية واحدة هي النظام الداخلي والبرنامج.

تثبت فتح بعقد المؤتمرات أنها التنظيم الأهم في منطقة الشرق الأوسط، فهي التنظيم الديمقراطي الحقيقي في ظل ظلمات من فوقها ظلمات لأدعياء امتلاك الحقيقة والكذب على الله والناس من تنظيمات القمع وفقدان الحرية وبيع الضمائر أو السيطرة على العقول واغتصابها بدعاوي إيديولوجية أوإلهية، وأثبتت قدرتها على النهوض والتطور معبرة عن احترام حقوق الإنسان والمرأة، فها هي المرأة يتقرر حقها في 30 بالمائة من المواقع الحركية، وها هو العضو يتوسع مجال حريته وحركته في الأطر التنظيمية، وهاهي المركزية تتعانق مع الديمقراطية في سياق الالتزام والحرية.

حركة « فتح « التي فلت منها العقال لفترة طويلة فعانت من الكبوات إلى الدرجة التي ظن فيها العديد من الكوادر انه لن تقوم لها قائمة في مراحل متعددة، لا سيما وان كثير من الأقلام الممسوخة والفضائيات المعادية قد كرست وقتها فقط للطعن في الحركة وتلميع تنظيمات أخرى، سقطت هذه التنظيمات في امتحان المواجهة كما سقطت في امتحان الدم وسقطت بين الجماهير.

وهاهي حركة « فتح « تفعلها ثانية وثالثة وتنطلق بجداره من تحت الدمار الذي حاولوا أن يدفنوها فيه كما طائر الفينيق.

لقد تقلب كادر «فتح» على جمر النار سنوات طويلة فمع كل كبوة كان يزداد لديه الشعور بالمرارة والأسى، فيلجأ للنقد العلني إلى الحد الذي اخرج بعض الكادر عن طوره وانخدع بالصورة البراقة المكذوبة للآخرين وصدق الكثير مما أشيع عن حركته فنال من حركته على وسائل التواصل الاجتماعي دون إدراك لحجم الضرر.

لقد تحول النقد في مرحلة من المراحل إلى عمل بحد ذاته، فتجمدت الأفكار وتقلصت المبادرات وتراجعت لإبداعات وأصبح العمل الحقيقي مع الأعضاء والكوادر والجماهير نسيا منسيا، ولكن فتح فعلتها مجدداً وها هي تستعيد زمام الأمور مع كل مؤتمر أو موجة مقاومة او انتصار سياسي فتضع

المبادرة والإبداع والتفكير الايجابي والتغيير والتجدد والعمل على رأس جدول أعمالها، فتذوب كل الأفكار الخداعة والأفكار المعادية في بحر عطاء لا ينضب.

لقد فعلتها فتح لأنها تشكل الحائط المتين، والسد الضخم، الذي يسند ويدعم كل أصحاب المبادرات وكل الساعين لخدمة الوطن وكل القابضين على الجمر، وكل الذين يضعون خدودهم مداسا للجماهير حبا وحنانا وخدمة لا تتوقف، ولكل الذين جعلوا القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين هدفا لا يتزحزح لحظة من أدمغتهم، فيلاقيهم هذا الهدف قعودا ووقوفا وفي الصحو والمنام. إنها السد الذي يسمح بالفعل وانهمار الماء بسلاسة ونظام واتزان بين كل مكونات الوطن وطيف تعدديته.

فتح كانت ومازالت هي المعين الذي لا ينضب لكل الظامئين والشاربين من الجماهير الفلسطينية والعربية العريضة، ممن لا يطعنون في الظهر ولا يبصقون في الإناء الذي شربوا منه أوالمنهل، وممن لا ينكرون الآخرين، ولا يطلقون الطلقة الحاقدة عليهم في ظهورهم لتستقر في جسد الأخ أو ابن العم والجار الجنب، ثم يقبلون عليهم سلخا وتقطيعا ينزعون منهم القلوب ويقطعون فيهم الأرجل والأيدى والرؤوس مسلحين بمفاتيح الجنة المكذوبة دنيا وآخرة.

وتظل فتح المبتدأ وغيرها ستعلو وجهه الغبرة اليوم وغدا، وستتوارى الوجوه الكالحة ذات القتَرَة في ظل ركام الزمن وفي يوم العرض الكبير، وسينسى الكثيرون بإذن الله تعالى مشاهد الرعب والإرهاب والقتل من أولئك الذين لم يفهموا الحركة الوطنية والثورية إلا انتقاما وطغيانا وتعصبا وتطرّفا واقصاءً وسيطرة على السلطة ورقاب العباد فداءً لشخوصهم ودفاعا عن ذواتهم الفانية.

رغم أنف كل الأعداء والحاقدين فعلتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح وتجددت، ورغم أنف أولئك الذين لن يكفوا أيديهم ولا ألسنتهم عن الصحابة الأبرار فعلتها حركة فتح، ومن جنبات المؤتمر ومن على ثرى المقاومة الشعبية في كل مكان من فلسطين في الضفة وغزة والداخل، ومع دعوات

كل الأمهات في فلسطين، ومع مساعي كل الحركيين في كل مكان وكل الأخوة والأصدقاء في العالم، ومن عيون أبناء الفتح الدافئة والساهرة، ومن عقول لا تحدها حدود السماء ولا طبقات الأرض منفتحة ومتزنة، وأذهان قلقة ولكنها تعي وتدرس وتقرر، وأفئدة حانية ولكنها متحفزة... خرج المارد الفتحوي بكل قوة وعنفوان وعليكم أن تسيروا في مجراه الرئيسي أو ضمن روافده، ولكل طاريء على التاريخ والمستقبل أن ينظر إن كان له نظر.

استنهاض الكادر في إطار عقلية العمل والتجدد

(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (القصص5)

في الآية الكريمة دلالة على أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، فالمستضعفون في الأرض أي أرض لابد أن يأتي يوم يمنّ فيه الله عليهم، ويمكنهم من الاستخلاف وإعمار الأرض، بجعلهم أئمة أي دعاة للخير والصالحات، وهي مدخل الوراثة بمعنى تمكينهم من خدمة الناس وإعمار الأرض والدعوة لله.[33]

أركان العمل الثلاثة[34]

وفي الوعد الالهي دعوة للعمل تترابط مع فكرة العمل الواردة في القرآن الكريم بنص الكلمة:عمل الواردة بصيغ مختلفة 371 مرة.

واليكم الربط بحقيقته إذ يقول الله تعالى (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الزخرف:72)

ويقول سبحانه وتعالى بتكرار متصل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) (الكهف 107)، ما تكرر عدة مرات.

نستنتج مما سبق أن الضعف لا يمكن تخطيه الا بالعمل، وليس أي عمل فهو العمل الشروط بأركانه الثلاثة: أولا أنه عمل صالح مفيد ايجابي ومقترن

33- في التفسيرات العامية المشوهة افتراض أن "الوراثة" هنا هي كوراثة الابن عن أبيه ما هو غير صحيح البتة، بل هو القاء الواجب الرباني بالعمل في الأرض وخدمة الناس والدعوة لله وعمل الصالحات، وهو معنى الوراثة هنا، لا سيما أن الآية الكريمة جاءت بالقبيلة العربية المنقرضة قبيلة بني اسرائيل المندثرة، وبالطبع القرآن الكريم تنطبق حكمه وعظاته وتعاليمه على كل زمان.

34- ألقيت كمحاضرة في جامعة خضوري في حشد من الطلبة في مدينة طولكرم-فلسطين 4/ 11/ 2018

بالايمان فالعمل شرط الايمان وليس شطر من الايمان.

ومن هنا فالايمان بالهدف والغاية يشكل حافزا ودافعا للتقدم الى الأمام، ولكنه بلا عمل لا قيمة له مما ميز المسلمون فيه بين المسلم والمؤمن، وبذلك يكون الركنان المتعانقان هما العمل والايمان، ولابد للثالث من أركان العمل وهي صفته أي ان يكون عملا صالحا مفيدا ايجابيا كما أسلفنا، وعليه فالمكافأة الدنيوية بالفوز والأخروية بالجنة.

العُمَر والقسام وعرفات

(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ القصص 5)

ولنا في النماذج العربية الفلسطينية الكثير في سياق العمل، ولكن سنذكر منها ثلاثة نماذج، الأول: ظاهر العمر الزيداني الذي كان أول من رسم حدودا للأرض الفلسطينية في العصر الحديث في القرن18 ليكون اول رئيس للدولة الفلسطينية.

ولنا أن نعرج على الشيخ عزالدين القسام الذي أضاف للثورة عقلها المنظم فجعل الجهاد ضد العدو أصلا منظما وليس عملا فرديا او فزعة عرب.

ليأتي ياسر عرفات فيجعل من الاعتماد على الجماهير أساسا وهؤلاء الثلاثة من قيادة المستضعفين في الأرض منا وممن منّ الله عليهم بالثبات وانجاز النموذج لنحتذي به.

هل نحن ضعفاء؟

ماذا نستفيد من ذلك في عملنا الطلابي في الجامعة، إننا نستفيد الكثير إذ يجب ألا نظن بأنفسنا الضعف أمام أعدائنا، فإن حصل ذلك فقدنا من أركان المنة من الله الكثير، وفقدنا صفة هامة من صفات حرب الشعب طويلة

الأمد وهي امتلاك القدرة على التأثير بالآخرين.[35]

لكي يمن الله علينا ويهدينا ويوفقنا لا مناص لنا من تحقيق شرائط المنة والفوز على الحد الأدنى من خلال ثلاثية: الايمان والعمل والايجابية وهو بالعمل الموصوف بالصالح أو المفيد.

الجهاد وخماسية التنظيم

دعوني أتحدث بالفكرة الثانية وهي حول التنظيم، وخاصة السياسي، وأيضا سأذكر من كتاب الله العزيز ما يغنينا عن كثير تفصيل.

فيقول الله سبحانه وتعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (العنكبوت69) حيث يمكننا أن نتامل في هذه الآية الكريمة ما يخبرنا عن مفهوم العمل الجماعي أو التنظيم.

ف"الذين" دلالة الجماعة المخاطبة و"جاهدوا" بمعنى بذل الوسع والجهد بالعمل المرتبط بالايمان كما قلنا وهو العمل المفيد الصالح الايجابي لخدمة الناس وإرضاء الله التي تبدو واضحة بالآية حين القول "فينا" حيث الغاية رضاء الله وما ينبثق عنها من أهداف شخصية أو عامة أو تنظيمية أو وطنية كلها مربوطة بالحبل او الغاية الأكبر وهو رضا الله سبحانه.

ولتحقق الهداية من الله يقتضي هنا (الجماعية) و(العمل) و(الغاية) وفيها فإن امكانية تعدد (السبُل) في العمل الخيّر أو في مساحات التفكير او التدبير في الشأن السياسي اوالاقتصادي او التنظيمي تصبح متاحة ولكن

35- "تعتمد حرب الشعب على تجنيد كامل طاقات الجماهير والاستفادة منها بعد تنظيمها وتثقيفها وتعبئتها لصالح تقويض جبهة العدو تفتيتها. وحرب الشعب حرب ثورية طويلة الامد، لا ينحصر النضال من خلالها في الامور العسكرية البحتة، بل يشمل ايضا النضال السياسي والنضال الاجتماعي، وتطوير قيم ومسلكية الفرد بالاضافة الى تطوير قدرات الجماعة الثقافية والمهنية لتزيد من عطائها وخدمتها لمتطلبات الحرب والثورة «-من منشورات حركة فتح-التعبئة الفكرية-عن صخر حبش تحت عنوان حرب الشعب.

يتبقى وفق الآية الكريمة عنصر خامس وهو عنصر (القيم) حيث المحسنين والاحسان تقوى وعبادة والاحسان كما يقول الأئمة أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وإحسانٌ في حقوق الخَلْق... وهو بذل جميع المنافع مِن أي نوعٍ كان، لأي مخلوق يكون.

التنظيم السياسي هو مجموعة من الأفراد يلتئمون على أهداف محددة تجمعهم ويحكمهم قانون او نظام ذو هيكل تنظيمي، ويقومون بعمل مشترك، لذا فالعمل المفيد والصالح والمستدعي للتمكين والمنة من الله من الاوجب أن يكون منظما، فلا تشكك بمقدار العمل الجماعي على إحداث التأثير مقارنة بانجاز الفرد مهما كبُر وعظُم.

نموذج الكسب لدى ياسرعرفات

إن التنظيم يتسع وقد ينكمش، وباتساعه أوانكماشه أسباب عدة لكننا نريد توسعه اعتمادا على الفكرة والفعل او المبادرة.

ففكرة حركة «فتح» والثورة الفلسطينية هي فكرة تحرير فلسطين، ضمن الامة العربية ودورها، وهي الفكرة الجامعة لكل الناس بكافة الشرائح ومن هنا يتوقف علينا ضرورة إحداث التأثير في الناس الفئة المستهدفة.

وفي الجامعة هي جموع الطلاب المطلوب أن نجذبهم ونؤثر فيهم ونستقطبهم لفكرتنا وعملنا وأطرنا من خلال الانتقال خلال المراحل الخمسة للجذب وهي التصويب والتحديد للمستهدفين أولا، ثم مد الجسور ثانيا، ثم تحقيق الصداقات ثالثا، ما يليها من مرحلة النصير رابعا، فمرحلة العضو العامل.

وفي عملية الكسب والتأثير في الآخرين أساليب عدة دعونا نستعرض 9 فقط منها كالتالي من نموذج الراحل ياسر عرفات، فلقد تميزت حياته في مرحلة الصبا والشباب ما نريد أن نركز عليها هنا لأننا نحادث شبابا وشابات بمميزات جاذبة تسعة كالتالي:

1. كان ياسرعرفات يتشوق للتعلم، ولا يقف عند هذا الحد بل ينقل المعرفة ويعلّم
2. امتلك مهارة أو سمة العمل الدؤوب، وهو العمل غير النمطي بل العمل المتجدد إذ كان يفاجيء اقرانه دوما بكل ما هو جديد[36]
3. ذوعقلية جامعة غير مفرقة، وكان شخصية مستقلة عن الحزبية والعشائرية والعائلية.
4. يحتفظ بجيبه دوما بالخطة (ب)[37]
5. لايهاب محادثة الكبار باحترام وحسن حديث (لقاء الحاج أمين الحسيني في بيت والده، وهو بسن16عاما)
6. كان عمليا وليس نظريا فقط (يصنع خططه الحربية ويطبقها كطفل، ثم لاحقا كقائد ثورة)
7. الثناء والإشادة على زملائه ما يحببهم به ويشدهم اليه
8. إدارة الحوارات والنقاشات المتنوعة إذ يُحسن الاستماع
9. لم يتخلّ يوما عن حلمه حتى غدا هدفا (عاد من حرب 1948 النكبة، بعمر18عاما، والحلم بالتحرير أصبح هدفا).

حركة فتح والتأثير

والى ذلك فمن الممكن أن نقول أيضا أن التأثيرعامة يتطلب

أولا: الايمان بالفكرة والتآلف معها،

كما يتطلب ثانيا: إحسان لغة الجسد بما تشتمل عليه من الايجابية والمظهر الحسن، ومن الابتسامة واظهار الحفاوة والسعادة، ومن تقليد سلوك الآخرين والمحاكاة لهم.

36- كان يصلح الأشياء في البيت وخصص لذلك عدة خاصة، وكان يصنع الأشياء ويجمع الكتب ويقراها ويتعرف على المحيط، ويربط علاقات متنوعة مع أقرانه من مختلف الخلفيات...(نانسي دوبرو، ياسر عرفات متى لم يكن هنا، مؤسسة ياسر عرفات)

37- كان يقود المظاهرات في الثانوية في مصر ضد الاحتلال الانجليزي فقرا خطابا له ذات يوم في المدرسة امام جمع من الطلاب فجاه المدير ونزع الورقة، والى أن غاب المدير عن الأنظار قام ياسر عرفات باخراج الخطبة بنسختها الثانية من جيبه الخلفي.

كما تاتي ثالثا المصداقية والجدية من حيث إبداء الاهتمام بالجمهور، وإثارة حماستهم والتعاطف معهم، ومن حيث الالتزام بالوعود حين تقطع، وعبر التمييز بين الشخص والموقف، وتفويض العمل بثقة بالآخرين، وأن تكون الحدود والتوقعات والنتائج واضحة بين الأفراد.

وفي النقطة الرابعة وهي التواصل بمحبة لابد من استخدام تقنية المدح والثناء بمكانها والتقاط الأسماء، ويقول لك خبراء التنمية: أعد المشاعر قبل الكلمات، ومن المهم حسن الإصغاء و«الاستماع الانعكاسي» بترداد جزء مما يقوله الشخص مقابلك، وهنا أيضا لنا التقيد بقانون المحبة والنفس الايجابي.

اما بالنقطة الخامسة وتحت عنوان كن إيجابيا فإنا نقول: اعترف بالخطأ وامسك زمام المبادرة، ونقول كما الآية الكريمة «الكاظمين الغيظ»، لا تغضب ف«ليس الشديد بالصرعة» كما يقول سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، ومرة اخرى نؤكد على اعدادك المشاعر الايجابية قبل التلفظ بالكلمات، ولك أن تبتعد عن الجدل ما استطعت وأن تتقمص شخصية محاورك لتفهمه وفي المشابهة بالنطق او اللبس او التعبيرات رسالة إيجابية أيضا.

ولا مناص في النقطة السادسة من تخير الزمان والمكان والحال لحسن الاتصال ولايقاع التأثير الكبير، وأيضا التصويب نحو دائرة التأثير وليس دوائر الاهتمام.

عقلية التجدد الحركي

ذكرنا العمل وأهميته والتنظيم واحتضانه للعمل المنتج، لنقول أيضا أننا في حركة فتح نستنهض الكادر من 3 جوانب الأول: من حيث الشخص مع نفسه والثاني من حيث هو وزميله أو الشخص الآخر، وعلاقتهما الثنائية أو ضمن مجموع[38]، والثالثة هي نحن بعلاقاتنا الجماعية كتنظيم وجمهور.

38- في المؤسسة تواجد فريق من 35 موظف شاب ومشرق وحماسي، ومع ذلك لم يكونوا يتشاركون بالمعلومات فيما بينهم (الانانية)، بل وحتى الحلول لم تكن مشتركة، بمعنى تعمق الفردية والأنانية فيهم، فكان أن أجريت عليهم التجربة التالية: وضع صندوق وسط المطعم

وعليه لإن حركة فتح تجذب الآخرين بك وبي وبما تمتلكه من قدرات وكفاءات وفكر وتاريخ فعلينا أن ندرك أن عقلية التجدد الجاذبة في حركة فتح هي التي تتسم بالتالي:

1. التجاوز للقديم المُحبط البائس
2. نفهم الواقع بالتثقيف الذاتي والقراءة والاستفادة من التجارب
3. القفز نحو المستقبل ولزوم الإيجابية (والد نبيل شعث قال له: إلزم ياسر عرفات)
4. لانملّ الحركة فنصنع الحدث، فحركة فتح حركة التفكير المنطقي والابداعي حركة الواقع وقدرة التخيل

إن من مميزات حركة فتح أيضًا كما سبق وأشرت اليها في لقاء رائي (تلفزي) في فضائية فلسطين حيث قلت:

1. أنها تغتسل يوميا بماء التجدد فلا تقبل الماء الراكد أبدا فتأسن، والى ذلك تحتفي بالشباب
2. حركة فتح هي حركة بلون التراب فهي تجمع ولا تفرق، وتقبل التعددية

بالمؤسسة بعد أن أزيحت الكراسي الى الجدران، وفي الصندوق كمية كبيرة من البالونات (النفافيخ) وطلب خبير التنمية البشرية من كل واحد منهم ان ينفخ بالونا، ويكتب عليه اسمه بلطف لأن نسيج البالونات رقيق، ففعلوا الا خمسة تفرقعت بالوناتهم فاستبعدوا من التجربة.

وبعد ان نفخوها وطلب منهم أن يطيّروها بالمكان، اخرجوا من المكان.

في المرحلة الثانية قام منسقو التجربة بنفخ باقي البالونات التي بالصندوق.

ثم أعيد الفريق الذي أصبح تعداده 30 موظفا وموظفة الى المكان، وطلب من كل شخص فيهم ان يلتقط البالون الذي عليه اسمه من مئات البالونات الطائرة خلال 15 دقيقة كحد أقصى، وهذا ما لم يتمكن فيه أحد في ظل البالونات الكثيرة الطائرة في المكان.

في المرحلة الثالثة أعيد إدخالهم للمكان، للمطعم، وطلب من كل واحد منهم ان يلتقط بالونا عليه اسم، أي اسم، ويسلمه لصاحبه فانجروا المهمة في بضع دقائق!

ليتعلموا بوضوح مدى أهميته مشاركة المعلومات ومدى أهمية التوصل للحلول المشتركة وأهمية العمل الجماعي والتخلي عن الانانية أو الفردية بالنظرة والعمل.

قال قائد الفريق: نحن اكثر كفاءة عندما نكون راغبين بالمشاركة مع بعضنا البعض، ونحن أفضل في حل المشاكل عندما نعمل معا وليس بشكل فردي.

فلا تقدس الأشخاص ولا تقصي المختلفين

3. وحركة فتح حركة متعطرة رغم وجود بعض الروائح العطنة فيها نعم، لكن سرعان ما يتغلب الثوري على عالعقل الوظيفي، فلا يتحول الى تطهري ويصارع الانتهازيين ممن ركبوا قطار الثورة في مراحل المد او الكسب والصراع بين الثلاثة لا ينتهي أي بين التطهري والثوري والانتهازي.
4. حركة فتح حركة متأرجحة بين الفوضى العارمة الى حد السيولة أحيانا وبين عقلية المؤسسة ما يحتاج منا لجهد ذاتي وثنائي وجماعي منظم، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آل عمران 200).
5. حركة فتح حركة وطنية ديمقراطية مدنية تركز على الأولويات وتنحي الثانويات وتصنع الشخصيات بمكوناتها الثلاثة متعلمة وعاملة ونضالية.

ودعوني هنا أقتطف كلمة للعلامة العربي اللبناني الاسلامي هاني فحص رحمه الله إذ يقول عن حركة فتح (أريد لفتح أن تعالج أعطابها لأن فلسطين لا تستغني عنها، وأنا لا احب فتح لأنها جميلة او طويلة أو غنية...احب حركة فتح لأنها بنت فلسطين، لأنها أم فلسطين التي تشيبهها، ولا احب أن يتراجع الشبه بين فتح وفلسطين)

تمايز

وللتمايز عن الآخرين دعوني أقول أن مما لا تتصف به حركة فتح أبدا أي بأن نعرفها بالعكس عبر 5 مواصفات قد نصف فيها الكثير من التنظيمات الفكرانية (الايديولوجية).

وهي -أي تلك التنظيمات- أنها ذات فكر سياسي مقدس ومطلق لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، والقداسة تنسحب من الفكرة على الفصيل وقادته فيصبح الكل مجموعة من القدبسين.

وهي ثانيا: ذات فكر حصري يخصها فقط.

وثالثا: هي إقصائية للآخر من جنة فكرها وتنظيمها ورعايتها الحصرية.

ورابعا: هي تستخدم الخرافات باستغلال الثوابت.

اما خامسا: فهي تنظيمات متقوقعة على نفسها، منعزلة سواء من خلال بيئتها الذهنية اوالمادية أو حتى الالكترونية.

سمعة التنظيم والانتماء[39]

عمل وتأثير وتنظيم ومواصفات يجب أن نتحلى بها لنكتسب السمعة التي هي أيضا من عوامل الجذب والاستقطاب للقضية وللتنظيم.

ومن يصنع السمعة نحن، إذ بمقدار ما نكون نموذجا حيا للقيم والاخلاق نسود، فأنا لا أرى منك إلا فعلك ولا أهتم كثيرا لحديثك المنمق المنزوع العمل[40] يقول المتنبي:

لا يُدرِكُ المَجدَ إلاّ سَيّدٌ فَطِنٌ   لِمَا يَشُقُّ عَلى السّاداتِ فَعّالُ

لَوْلا المَشَقّةُ سَادَ النّاسُ كُلُّهُمُ؛   ألجُودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ.

أو كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي

وما نيل المطالب بالتمني***ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

39- نموذج الطالب الياباني»أوساهيرا« الدارس في ألمانيا في صناعة المحرك لبلاده ونقلها لمصاف الدول المتقدمة، نموذج كما نموج «لي كوان يو» رئيس وزراء البلد ونهضة سنغافورة بالعلم والعمل، ونموذج ياسر عرفات البركان الثائر الصغير في مواجهة الاسرائيليين وهو مازال طالبا، وأبوجهاد الذي بدا النضال بقنبلة مربوطة بخيط، كلها من نماذج الاصرار والعزيمة وصدق الانتماء للفكرة وكذلك أطفال تل الزعتر عام 1976 وصناعة الشموع لاضاءة المستشفى الوحيد المحاصر من قبل الانعزاليين اكثر من 50 يوما. بينما نجد في قصة السلطان المملوكي قانصوه الغوري في مواجهة السلطان سليم الاول عام 1516 بمعركة مرج دابق قرب حلب، وتفغلت المماليك من الحرب نجد ضعف الدوافع والحوافز وفقدان الانتماء.

40 كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (الصف 3)

وما استعـصى على قومِ منالٌ***إذا الإقـدام كـــان لــهـم ركابا

وللسمعة فعلها في الآخرين وفق ما تذكر الرواية عن أحد قادة الجيوش المتحاربة فترة ما أسمي في تاريخ الصين حروب الممالك الثلاثة حيث انتحى القائد الذي لا يهزم بقطعة من جيشة في قلعة بعيدا عن جيشه ليأخذ قسطا من الراحة، فعلم أعداؤه بذلك فتقدموا للقضاء عليه، فإذ به يفاجا بذلك من الاستطلاع خارج القلعة، فطلب منهم بكل ثقة آلة "أرهو" الصينية الوترية، واعتلى أعلى نقطة بالقلعة وبدا يعزف! وسط مفاجأة مجموعة الجند معه إلا أن الجيش العرمرم القادم للقلعة عندما شاهد المنظر من بعيد ذهل وظن بالامر خدعة، فرجع يجر أذيال الخيبة. إنها السمعة يا سادة التي يجب أن نحتفظ بها ولا نتخلى عنها.

صدق الانتماء

قلنا عمل وتأثير وتنظيم ومواصفات يجب توفرها في الكادر ليكون قدوة ونموذج وليكسب تنظيمه السمعة وان ركزنا على شيء محدد هنا فلنا ان نركز على الالتزام والانتماء والانضباط والديمقراطية وفي صدق الانتماء

1. صفاء القلوب وتوحد التوجهات
2. انجاز التكليفات بطريقة أكثر ابداعا واخلاصا
3. تنافس في بذل العطاء، لا على المواقع بلا عمل
4. زيادة الثقة المتبادلة (انا وهو، نحن..)
5. التشخيص المبكر للأخطاء
6. عدم الاكتراث للمناصب والعناوين
7. الثبات في العمل حتى آخر المشوار

والى ذلك فإن مظاهر ضعف الانتماء قد تبرز من خلال:

- ◊ عدم الاهتمام بالعمل أو الانشطة
- ◊ وعدم الاهتمام بالمواعيد والاجتماعات

- ◊ بل والتهرب من القيام بالمهام وإلقاء المسؤوليات على الاخرين
- ◊ ويبرز كثرة النقد والشكوى والتركيز فقط على السلبيات
- ◊ وترى التقليل من شان المؤسسة وعدم الاعتراف بمنجزاتها
- ◊ وهناك من يروج للآراء الشاذة وينسبها للتنظيم
- ◊ والعمل على التثبيط من خلال المقارنات غير الواقعية مع مؤسسات أخرى
- ◊ ناهيك عن المبالغة والتضليل أو التقليل والتهوين، وكلها أمراض وآفات لابد من التصدي لها.

ومن الله التوفيق. وانها لثورة حتى النصر

الكاتب: بكر أبوبكر



- مواليد فلسطين، تخرج في العام 1985 بكالوريوس هندسة مدنية.

- الشهادة العليا في العلوم السياسية عام 2003.

- شارك في عدة حلقات ودورات ونـدوات ومـؤتمـرات فكرية وإداريـة ونقابية وسياسية.

- عقد وأدار وحاضر في مئات الدورات لكوادر تنظيمية ووطنية وجاليات في عدة تخصصات فكرية وسياسية وتنظيمية وانسانية في فلسطين وخارجها.

- رئيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الكويت (1984 -1986.)

- عضو لجنة إقليم (قيادة) حركة (فتح)بالكويت (1987-1991)

- عضو المجلس الإداري للاتحاد العام لطلبة فلسطين منذ 1990.

- عضو المجلس الوطني الفلسطيني.ثم عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين منذ (2005 2010-)

- مسؤول الدراسات والدورات في قيادة مكتب التعبئة والتنظيم لحركة (فتح)، تونس (1991-1996)

- عضو قيادة مكتب التعبئة والتنظيم في الوطن منذ العام 2002. ومسؤول التدريب وإعداد الكادر

- نائب المفوض، ومسؤول دائرة التدريب في التوجيه السياسي والوطني في فلسطين (1996-2008)

- عضو المجلس الثوري لحركة فتح (2009-2016) ثم عضو المجلس الاستشاري للحركة.

* مسؤول التعبئة الفكرية في حركة فتح، مفوضية الاعلام والثقافة والتعبئة الفكرية منذ العام 2017

- له العديد من الدراسات والأبحاث والكتابات المنشورة في الصحف والمعتمدة للدورات المختلفة.

- مفكر وكاتب وأديب

صدرت له الكتب التالية:

الدراسات والكتابات:

1. مفاهيم لا بد منها – عناة للطباعة والنشر – رام الله 1997م.
2. تحقيق الفوز في قيادة الحملة الانتخابية – 1999 -gups.
3. مبادئ المسؤولية التنظيمية.- عناة للطباعة والنشر- 1998
4. كيف تقيم معسكراً؟ التوجيه السياسي، 1997.
5. التفكير في حركة (حماس)- مدرسة الكوادر1998-
6. حركة (فتح)بؤرة الإبداع والتميز –مدرسة الكوادر1998-.
7. حركة (فتح) والتنظيم الذي نريد، دار عناة، 2003.
8. وجوه القيادة، المركز الفلسطيني للدراسات، رام الله، 2005
9. حركة حماس سيوف ومنابر، دار عناة، رام الله، 2008
10. أوعية الفكر الاسلاموي محاولة للفهم، دار الجندي، القدس 2016
11. مدينة القدس، التاريخ الحقيقي، وتهويد الاحتلال، دار الجندي، القدس، 2017
12. حركة فتح والاسلام والعلمانية، دار الامين، رام الله، 2016
13. أساطير اليهود وأرض فلسطين في القرآن الكريم، دار الامين، رام الله، 2017

14. طريق مغلق، الديمقراطية والتعبئة في التنظيمات الاسلاموية، دار الامين، فلسطين، 2017
15. الانطلاقة الاغتسال في المطر والانتصار، دار الامين، فلسطين 2018

النتاجات الأدبية:

◊ م لا! (مجموعة قصصية).-دار الزاهرة2000-
◊ في الزمن الواقع بإمكانكم أن تطيروا (مجموعة قصصية)، دار الشروق، 2003
◊ برق مقيم (نصوص نثرية) –اتحاد الكتاب الفلسطينيين- القدس، 2004
◊ ثلاثة شروط بسيطة (مجموعة قصصية)، اتحاد كتاب تونس 2007
◊ صدر السماء الحافية (نصوص)-رام الله-دار الأمين للنشر2011-
◊ بيدي أن أصير دبابة (نصوص)-رام الله-دار الأمين للنشر2013-

المواقع على الشابكة:

www.bakerabubaker.info

baker.abubaker@yahoo.com

http:/ / www.facebook.com/ baker.abubaker

bakerabubaker@

http:/ / ar.scribd.com/ bakerabubaker/ documents

أن تكتب عن حركة فتح فأنت تكتب عن ثورة فلسطين، ثورة الأمة، ليس فقط لامتلاء الصفحات بالمنجزات أو الاخفاقات من التجارب مع الراحل الخالد ياسر عرفات الذي لفّت كوفيّته العالم واخوانه، وصولاً للرئيس أبومازن، وانما لأن معدل النقد والصراع والحوار الداخلي المرتبط بالأداء والعمل في إطار النهج النضالي في حركة فتح هو في حالة ثورة وهيجان وتفجر دائم لا يهدأ

